دوريــة أدبيـــة ثقافيــة فكريــة مستقلة

تأسست في 22.04.2012

القلم الجديد

رئيس هيئة التحرير: خورشيد شوزي / نائب رئيس التحرير: د.محمود عباس

السنة التاسعة - العدد 103 - 2021 م / 2633 ك

ملف خاص بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لانتفاضة الثاني عشر من آذار 2004 – الحلقة الأولى

خيل إلى كثيرين من الغيارى أن مدونة الثاني عشر من آذار ضاعت، بالرغم من الجهود الفردية في مجال أرشفة يوميات الانتفاضة، وهكذا بالنسبة لأهميتها ودورها الذي اجتمعت عوامل عدة لإخفاء ملامحها، ولقد سعى النظام طويلاً لاعتبار ماتم- أحداث شغب- عادية، وحقيقة، فقد كانت الانتفاضة نقطة تحول كبرى في تاريخ إنساننا الكردي في غربي كردستان أو كردستان- سوريا، بل كانت نقطة تحول بالنسبة للسوريين أنفسهم الذين تابعوا عبر وسائل الإعلام إسقاط تمثال الأسد الأب في مدينة صغيرة كـ عامودا، بالرغم من أن كثيرين من الذين كانوا يعتبرون أنفسهم معارضين، أو رافضين للنظام إلا إنهم في الوقت ذاته لم يكونوا مع الكرد، لم يكونوا مع انتفاضتهم لأن قلة من السوريين بل ندرة الندرة من تفهم مدى المأساة التي تعرضوا لها في الثاني عشر من آذار أو خلال عقود من وصول البعث الشوفيني إلى سدة السلطة.

زميلنا إبراهيم اليوسف اقترح علينا وعلى ولاتي مه إطلاق ملف الانتفاضة بمناسبة ذكراها الخامسة عشرة التي مرت قبل سنتين، إلا أن هول الأحداث التي تعرضنا لها: احتلال كركوك- احتلال عفرين- احتلال سري كانيي وكري سبي ومن ثم محاولة احتلال قامشلو وبقية مدن غربي كردستان جعلتنا ننخرط فيما هو يومي، ونرجئ إطلاق الملف إلى وقت آخر، إلى أن تجدد الاتفاق مع الزميل رئيس تحرير موقع- ولاتي مه- الذي يبدي تعاونه دائماً ليس معنا فقط وإنما مع كل الجهود الإعلامية الفردية والجماعية لطالما إنها في سبيل رسالة قضية شعبنا.

كان السؤال الذي يتردد: بعد سبعة عشر سنة من التحولات. عشر منها في ظل الحرب البائسة على السوريين، والتي أخذت أبعاداً وتشعبات كثيرة، وكان من نتائجها القتل والتهجير والدمار الحصار الرهيب على من تبقوا في الوطن، ترى هل لا يزال هناك من سيتجاوب مع أسئلة الملف؟

وما إن نشر الزميل رئيس تحرير موقع ولاتي مه أسئلة الملف حتى تم التفاعل الفوري معه وأجاب العشرات عن أسئلة الملف التي لم نردها حصرية بل مفتوحة، ووجدنا أننا أمام ما يمكن جمعه في- كتاب- عن الانتفاضة، لاسيما أن من هم شهود عيان كانوا من بين المشاركين، بل إن من بينهم حتى المعتقلة التي دونت ولأول مرة تفاصيل اعتقالها ورؤيتها للانتفاضة بدقة مؤثرة وبكل صدق، بالإضافة إلى المقالات ذات الطابع التحليلي أو اليومي وكلها مهم.

ونحن إذ نشكر الكاتبات والكتاب الذين تفاعلوا مع الملف بالرغم من أننا لم نوسع دائرة الدعاية له بالشكل اللازم وهذا ما يسجل علينا إلا أن التفاعل جاء بما يكفي لتكون المساهمات جزءا مهما من ملف الانتفاضة، كما إننا نشكر السيد رئيس تحرير ولاتي مه الذي أعد ونشر المساهمات وأخرجها بالشكل المناسب، وقد لوحظ أنها نشرت على وسائل أخرى تابعة للموقع وقرئت على نحو مشجع بالرغم من أن قارئنا بات معتاداً على قراءة الأخبار العابرة لا الملفات التى تبلغ آلاف الكلمات!

الكتاب المشاركون:

إبراهيم اليوسف، احمد رستم، احمد عبدالقادر محمود، احمد مرعان، بونيا جكرخوين، جان كورد، جميل ابراهيم، جوان يوسف، حزني كدو، حسين جلبي، حواس محمود، خالد بهلوي، خورشيد شوزي، رقية حاجي، زارا صالح، زاغروس عثمان، زهرة احمد، سلطانة داوود، سيامند ميرزو، شبال ابراهيم، شهناز كلو، صبحي حديدي، صبري رسول، صديق شرنخي، عبدالباقي حسيني، عبدالجبار شاهين، عبدالرحمن محمد، عبدالرزاق تمو، عبدالعزيز قاسم، علي شمدين، عمر كوجري، فادي مرعي، فائق اليوسف، فدوى حسين، فرحان مرعي، قهرمان مرعان آغا، كلستان بشير الرسول، كومان حسين، م.محفوظ رشيد، محمد خير بنكو، محمد سعيد وادي، محمود عباس، مزكين عبدالوهاب الحسيني، مصطفى أوسو، منال الحسيني، منال حسكو، منى عبدي، نارين عمر، نجاح هوفك، نذير عجو، نوروز بيجو، هجار يوسف بوتاني، هيفارون شريف، هيفي قجو، يسرى زبير

ملف السياسي و الأديب د.نورالدين زازا الحلقة (2/5) .... ص (9) ....

الفن كسلاح قوي بعد فشل السياسة

كرديات يقدمن في عرض فني رسالة كردستانية

تقرير: سلطانة داوود

أحيت الفنانة الكوردستانية. ابنة زاخو هافين السندي نشاطاً نسوياً مائزاً، أبهرت من خلاله المشاهدين، عبر عرضها المميز بها في مدينة كولن الألمانية، الذي افتتح في 12 اذار وسوف يستمر حتى العاشر من نيسان.

استوحت الفنانة فكرة عملها الفني من إحدى الروايات الكوردية للكاتبة (كاروش طه) والتي تتطرق فيها إلى مأساة وأوجاع الكورد وإلى وضع المرأة الكوردية، ودورها في حلبة الصراع السياسي المثقل بتبعات الواقع المؤلم لكوردستان، وتمحورت الفكرة التي ركزت عليها الفنانة هذه المرة، من خلال تسليط الضوء على المرأة الكوردية وزيها الكوردي الذي يعكس في طياته قضية شعب كامل ذاق الأمرين من ناحية ورمز الأنوثة في كوردستان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قامت الفنانة بطلاء الفساتين بالكلس الأبيض، لإخفاء معالمها، بقصد محو الهوية الكوردية، لتبين عمق رمزية .... ص (24) ....

من ضيَّع «مدونة الانتفاضة»؟

شهادات وآراء شخصية

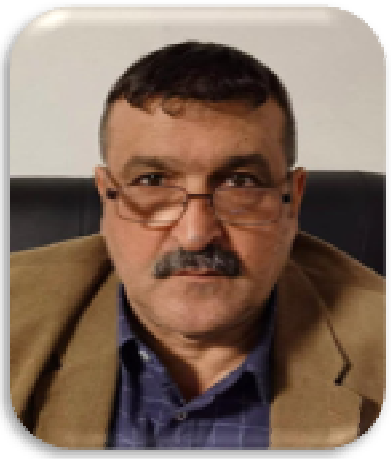

إبراهيم اليوسف

هل كانت انتفاضة حقاً؟

كثرت التسميات التي أطلقت على- انتفاضة الثاني عشر من آذار 2004، وذلك كل بحسب رؤيته، إذ كثرت تلك المصطلحات حول- ما جرى- ولن أقول- الحدث- هنا، وكانت وجهات النظر تتدرج بين من يراه حدثاً سواء أكان ذلك على نحو عفوي ومن رآه انتفاضة بل من رآه شرارة ثورة، ولابد لنا هنا أن نشهد ومن دون أية إشارة إلى أحد بأن التسمية كانت تتعلق بحالة مطلق التسمية، إذ كان من السهل بالنسبة إلى من كان خارج الوطن، ولاسيما بالنسبة إلى من هم في أوربا النظر إلى الحدث بعين محايدة، أكثر، من خلال قراءة الجاري على ضوء ربطه بالماضي والحاضر والمستقبل ناهيك عن أن أي تحليل لواقع السوريين- عامة- والكرد على نحو خاص، في ما هو ضمن الخريطة السورية المتشكلة حديثاً، وفق اتفاقات بل تواطؤات وتفاهمات دولية لابعد تاريخياً لها، يبين أن ماتم كان- في الحقيقة- بمثابة ثورة على نظام حزب البعث العنصري، والذي كان حكم الأسد أحد ترجماته!

لم نول، ونحن في لجة تسلسل المجريات بدءاً من صبيحة يوم الثاني عشر من آذار، عندما اقتحم جمهور الفتوة مدينة قامشلي وراح عدد كبيرمنه يستفزُّ أبناء المدينة الآمنة، وذلك أمام أنظار أجهزة الأمن التي دأبت أن تراقب دخول أي غريب- ولوطائراً أو فراشة- غريب إلى المدينة، إذ راح هؤلاء يطلقون الشعارات وهم في- الباصات- التي قدموا بوساطتها، إلى الدرجة التي نجد أن خطيب الجمعة في مسجد زين العابدين قد أوقف خطبته بسبب صراخ من دخلوا الجامع لاستخدام دورة مياهه أو شرب الماء، متسائلاً:

ما الذي يجري؟

ناهيك عن دخول هؤلاء الملعب البلدي، من دون تفتيشهم، في الوقت الذي تم فيه تفتيش جمهور مدينة قامشلي ومنع أحد من اصطحاب قلم ما، أو صندويشة، أوعلبة شراب معه، وهو ما دعا الكثيرين من المراقبين لوضع أسئلتهم بهذا الخصوص، لنكون أمام: مؤامرة- فتنة- حرب على الكرد، باعتبارأنه كان ولايزال ينظرإليها على أنها مدينة- كردية- بالرغم من العمل المنظم لتغيير هويتها، لذلك فإن كتاباتنا كانت تستهدف- في الغالب- فضح آلة الاستبداد، القتل، والدفاع عن الذين تم اعتقالهم عشوائياً، ناهيك عن المرافعة عن دماء الشهداء الذين استهدفهم رصاص أجهزة الأمن السوري بعد أن أجرى المدعو سليم كبول محافظ الحسكة اتصالاته مع الجهات العليا في دمشق، ليحصل على الضوء الأخضر في إطلاق الرصاص الحي على المواطنين، لنكون أمام العشرات من الضحايا ما بين شهيد وجريح!

لم يكن لدى من هم في داخل الوطن- رفاهية الوقت- ليسموا، على نحو دقيق" ما الذي قاموا به؟" لأنهم أدوا مجرد واجب في مواجهة الرصاص الذي استهدف فلذات أكبادهم، لينتفض في اللحظة ذاتها تاريخ من عقود في ظل سياسات التمييز العنصري الذي فرضه النظام القوموي العنصري ضد الكرد، منذ مرحلة ما قبل وصول البعث ذاته إلى السلطة، إلى أن جاء حزب البعث واستلم مقاليد الأمور، وقام باستكمال الخطوات التي تمت في سوريا للإجهاز على تسميتها، عندما كان اسمها" الجمهورية السورية" حتى العام 1958 قبل أن تدخل الصفة العربية إلى الجمهورية العربية المتحدة، ووصل أكثر من كردي إلى سدة رئاسة الجمهوية وهو يعمل ل" سوريته"، من دون أن يتم تقبل وفائه، لتكون أمام تعريب كامل للحياة العامة، وسعي لتذويب العنصر الكردي في بوتقة القومية الكبرى- بالتوازي ماكان يجري في تركيا وإيران وبغداد- وكان آباء وليس أجداد عشرات الآلاف من العائلات السورية في: حماة وحمص حلب ودمشق والساحل- على سبيل المثال- يتكلمون الكردية، ناهيك عن محاولة تطبيق سياسات التعريب بمحاولات محو ملامح المناطقة الكردية، وبتنسيق كبير مع تركيا وإيران!

حقيقة، إن التركيز على المصطلح/ التسمية لم يكن هاجس صانع الانتفاضة من الشباب الكردي الذي ووجه بالقمع، وإنما كان همه الصمود في مواجهة آلة القمع الرهيبة في محاولة الانتقام والثأر من –المدن الكردية- وقد نسب إلى شقيق الرئيس السوري بشار الأسد بأنه طلب محو مدينة عامودا التي أسقطت تمثال أبيه من الخريطة في انتفاضة 2004، إلا أن توقيت الانتفاضة في زمن ثورة المعلوماتية كان له تأثير كبير على تخوف نظام دمشق من أية خطوة من هذا النوع، كما تم من قبل من تنكيل بمدينة حماة، أو حتى حلب إثر مواجهة الأخوان المسلمين في أوائل ثمانينيات القرن الماضي، ولهذا فإن المصطلح ترسخ- في مظنتي- من خارج كردستان سوريا، المنتفضة في وجه نظام البعث العنصري، ليتساوق مع الفعل، وتكون انتفاضة حقيقية أسقطت هيبة النظام الدموي لأول مرة، في تاريخ البلاد، وعلى نحو سلمي صرف، ما أدى لأن ترتعد أوصاله، حتى وإن عمد إلى الابتزاز عبر- مبعوثيه- في دمشق، أو الجزيرة مستغلاً وجود مئات الشباب الكردي في المعتقلات!

في المقالات التي كتبتها- كمتابعة- للانتفاضة- وقد تركتها كما هي بعيون لحظة كتابتها- ثمة تركيزعلى تفاصيل ماهو جار، وإن كنت أذكر عبارة- الانتفاضة- مقالاً وتلفزة- إلا أن التركيز على جناية النظام. جناية أدواتهم كانا من أهم ما توقفت عنده، عبر متابعات دقيقة للخط البياني للجاري ذاته بما كان يجعل من المقالات فاضحة للجريمة المفتوحة ضد الشعب الكردي، جنباً إلى جنب مع مقالات إبراهيم محمود، وآخرين- للأسف فإننا لنحتاج إلى ببليوغرافيا بكتاباتهم وأسمائهم- ممن كتبوا بأسمائهم الحقيقية، أو من كتبوا بأسماء مستعارة، وقد نشرنا الكثيرمنها وكان كرم يوسف – مثلاً-ينشر بعضها بأكثرمن اسم، من بينها: ريكار قرطميني، ناهيك عن الأخبار التي كنا نرسلها لجهات عديدة.

رحم الانتفاضة!

قد لايكون- هنا- المكان المناسب للتحدث عن ولادة منظمات المجتمع المدني الكردية، إذ إن منظمات كثيرة ولدت من رحم الانتفاضة، وإن كنا قد وجدنا التجربة التي دعا إليها الشهيد مشعل التمو* في تأسيس- منتدى جلادت بدرخان*- الذي وئد في مهده، بعد أن أحدث صدى كبيراً، فقد تواصل الشهيد مشعل وقلة آخرون من الكرد- ربما أولهم فيصل يوسف- بالحراك الذي تم عقب توقيع بيان ال99 مثقفاً سورياً*، وما تركه من أثر كبير، هز أركان النظام الذي حاول جاهداً الضغط على الموقعين عليه للانسحاب منهم، من دون جدوى، إذ لم ينسحب إلا قلة منهم تكاد لا تذكر، وقد كانت مبادرة الشهيد مشعل في تطبيق النسخة الكردية من هذا النموذج، محاولة جد جريئة منه وممن كانوا معه، وأتذكرأنه تمت دعوة العديدين من العاملين في مجال المجامع المدني من مدن سورية لحضورندوة في أحد أحياء- قامشلي- إلا إن الجهات الأمنية منعت من إقامة هذه الفعالية، وبقي اسم- المنتدى- يوقع به الشهيد مشعل التمو حتى لحظة تأسيس وإطلاق- تيارالمستقبل- وبعد أن انفض من حوله زملاؤه، باعتباره الدينامو والمحرك لذلك المجتمع المدني الرائد!

تكاد تكون هذه التجربة المدنية الأولى لتأسيس منتدى ثقافي، بالرغم من أنه تم البطش بها، من قبل آلة النظام، إلا أن اسمها ظل في ذاكرة الكرد، ولاأدري- حقيقة- هل ولدت خلال الفترة التي سبقت انتفاضة آذار- منظمات مجتمع مدني فاعلة أم لا؟- وقد كانت هناك محاولات مستمرة، لاسيما من قبل الشباب* لتأسيس نوى ما، بالرغم من أن هوى السياسة كان يهيمن على الشباب وذلك بسبب المعاناة، والفقر، والبطالة، والتمييز العنصري بحق ذويهم، وبحقهم، لاسيما وإن الفضائيات العربية والكردية بدأت تظهر، وتعمل على كسر جدار العزلة على السجن السوري الكبير!

لقد كان في مدينة قامشلي منتدى ثقافي، أو ملتقى ثقافي، إذ كانت التسميتان تلهجان على الألسن، إلا أن تسميته الأولى عند تأسيسه في العام 1982 كانت- ملتقى الثلاثاء الثقافي- وقد لعب دوراً كبيراً في احتضان المواهب، وكان يعقد كل ثلاثاء في منزلي ومن ثم- أحياناً- في منازل أصدقاء قلة مقربين لي- بعد أن كرس نفسه- لنقيم بعض الأنشطة ذات الجمهورالكبير في قبو مكتب الحزب الشيوعي السوري، وقد لايتعدى ذلك إقامة نشاط واحد نوعي أو اثنين في المكتب، كل سنة، واستمرذلك سنوات طويلة، على هذا المنوال، لتخف نشاطاته تدريجياً بعد العام 2000، بعد أن أدى دوراً ثقافياً مشهوداً له، وفي أقل تقديرأنه ساهم في الدفع إلى القراءة، والكتابة، واحتضان المواهب الجديدة!

بعد انتفاضة آذار وجدنا أنفسنا أحوج إلى منظمات حقوقية، ما جعلنا نوقع بيانات لنا باسم" لجنة حقوق الإنسان الكردي في سوريا- ماف" الذي استقر عليه ليكون للمنظمة بعد تاريخي لاسم لجنة ولدت ووزعت بياناً ثم توقفت، بعد أن عملنا بأسماء سابقة، بالإضافة إلى أسماء أخرى كتبت عنها مفصلاً في مقال نشرفي أكثر من منبرحقوقي، قبل أن يتغيراسمها في مؤتمر قامشلي إلى- منظمة حقوق الإنسان في سوريا-ماف، وكان هدفنا الرئيس توثيق أسماء معتقلي الانتفاضة، ونشرها في وسائل الإعلام، لاسيما الإلكتروني منه، على أن مقرالمنظمة- أوربا- وهكذا فعلنا بالنسبة- إلى- اتحاد الكتاب والصحفيين الكرد في سوريا- الذي تم الاتفاق على أن يعمل باسم- رابطة الكتاب والصحفيين الكرد في سوريا- وذلك لأن أعدادنا كانت قليلة ولم ندع شرف تمثيل كل الكتاب والإعلاميين، ولكننا عبرهذه النواة كنا نرصد الانتهاكات التي تتم بحق الكتاب والمثقفين واللغة الكردية، وهكذا بالنسبة إلى منظمات أخرى: منظمة الدفاع عن معتقلي الرأي في سوريا- روانكه، ومنظمة حماية البيئة كسكايي- صحفيون بلا صحف- منتدى الشهيد معشوق الخزنوي- لجنة أصدقاء الشيخ معشوق الخزنوي- لجنة أصدقاء مشعل التمو" بعد خطفهما" بالإضافة إلى نويات مجتمع مدنية عديدة، أحاول توثيقها في مبحث خاص خارج هذا الكتاب!

أسماء هذه المنظمات أصبحت معروفة، وكان الكثير من الدبلوماسيين يسألوننا عنها، أو يلتقوننا على أساسها، وقد تم في منزلي، في العام 2005 اجتماع مع عدد من السفارات منها: الألمانية- السويدية- النرويجية- الهولندية إلخ، وحضرها، كما أتذكر، عدد من ممثلي منظمات المجتمع المدني- كردياً، وأتذكرأن كلاً منا عرض عليهم: بروفايل منظمته: الاسم- عدد الأعضاء- مجال العمل- رئيس المنظمة، ولا أدري حتى الآن، لماذا تجشم هؤلاء السفرللقاء بنا، والاستماع إلينا!

مؤكد أن هذه الإضاءة، ليست كاملة، ولاتعطي صورة إلا عما عملت لإي إطاره من منظمات، أو لأقل: أسهمت في تأسيسه، لأن هناك منظمات عديدة ولدت بعد هذا التاريخ، ففي مجال حقوق الإنسان ولدت المنظمة الكردية لحقوق الإنسان في سوريا- داد، كما أن الشهيد مشعل التمو أعد لتأسيس لجنة حقوق الإنسان- الراصد مع آخرين، لاأريد أن أستعرض أسماءهم لئلا أغفل عن ذكر أحد!

مواقع إلكترونية.. سبع عشرة سنة ألايكفي؟

لم أنظر، في يوم من الأيام، إلى ما أكتبه في مجال السياسة، وهو حقيقة في مجال الدفاع عن الأهل. الذات. المكان، في وجه آلة الاستبداد، مشروع كتب ورقية أضعها بين أيدي القراء، ولا حتى كتباً إلكترونية أنشرها في مدونة خاصة، إذ كنت أنظر إلى المقالات التي كنت أكتبها- كما سواي- بأنها لاتعدو أن تكون مجرد مواجهات لفضح الظلم الواقع على كاهل شعبي، انطلاقاً من رؤيتي لمهمة الكاتب هذه الرؤية التي أرى أن عوامل ذاتية وموضوعية اشتركت في صقلها: طبيعة الذات. الأسرة. الرؤى الإنسانية التي تشكلت في بيئتي وعبر خياري الإنساني، وكان ولايزال في نظري أنه من العار على الكاتب أن يصمت في وجه أشكال الظلم على الآخرين، من دون أن يكون له موقف ما مبدئي، عبر أي شكل من الأشكال المتاحة لإبداء الرأي، حتى وإن كان ذلك عبر إيماءة، أو تكشيرة!

عندما بدأت- الانتفاضة- وهي التي تمت خارج الملعب البلدي، عقب إطلاق الرصاص الحي على جمهور مدينة- قامشلي- في عصر12-3-2004، وفي صباح اليوم التالي 13- آذار 2004، قبل أن يتم قمعها بالذخيرة الحية، من دون أن تتم حتى الآن، محاكمة هؤلاء المجرمين، وفي هذا ما يدل على أن الذين أطلقوا الرصاص الحي على رؤوس وصدور الشباب المنتفض، بل الثائر، وعلى نحو سلمي، لم يتصرفوا من دون موافقة الجهات العليا في دمشق: وزير الداخلية- رئيس الجمهورية، وإن كان في إمكان هؤلاء تفريق المظاهرة بطرق أخرى من دون رفع أعداد الضحايا: شهداء وجرحى، في اليوم التالي، والبدء بحصار المدينة، والتنكيل بأهلها، وبها، بل وبكل كردي يتم - التقاطه- في شوارع المدن الكردية حتى وإن لم يكن قد سمع بما تم، وثمة أمثلة في هذا المجال تناولناها، أثناء حملات الانتقام، بل الثأر، في أسر من يقع في فخاخ هؤلاء الزبانية ناهيك عن قوائم الأسماء التي وصلت إلى الجهات الأمنية، عبر الفيديوهات التي قاموا بتصويرها للمتظاهرين، بأنفسهم أو عبر عملاء لهم اتخذوا أمكنة فوق أسطح

العمارات التي مر عبرها المنتفضون سلمياً!

أكثر من مرة، تحدثت عن أوهام شخصية كانت تساورني كلما طلب بعض أصدقائي مني أرشفة مقالاتي، إذ كنت أرى أن ما أكتبه فيما إذا كان مهماً فإن أبناء شعبنا سوف يوثقونه، منطلقاً من الأهمية الكبيرة التي كانت متابعاتي ومقالاتي تلقيها من قبل أهلنا في الوطن وخارجه، وهكذا من قبل هيئات إعلامية وحقوقية داخلية وخارجية، لاسيما إنني كنت أعمل على أكثرمن مجال، إذ كنت أصوغ بيانات باسم هيئات حقوقية أو للكتاب والصحفيين أو غيرها، من دون أن يكون لها هرم تنظيمي متكامل، ما خلا نوايا أو نويات محدودة الأسماء، لمن حولي من أصدقاء وصديقات أثق بهم! إلا إن مايحدث- الآن- هو ما إن أعود إلى الكثيرمن مفردات تلك المدونة، بتصنيفاتها الخبري منها، والمقالي، أو الحقوقي أو النقابي فإنني أكاد أفشل لولا نتف صغيرة محتفظ بها!

من التحديات التي واجهتني أن كمبيوتراتي الشخصية تعرضت مرات عدة للفيرسة، واضطررنا إلى الفرمتة، ليضيع- في كل مرة- ما هو منجز من المدونة، إلا إنني كنت أعلل النفس بأنه ما إن أبحث عن أحد النصوص المطلوبة فإن ذاكرة- غوغل- كانت تسعفني، قبل أن تشيخ هذه الذاكرة على امتداد عقد ونصف من الزمن، ناهيك عن أمر جد محزن وهو أن المواقع الإلكترونية التي ظهرت في الفترة ما بين 2000- 2010 راحت تغيب تدريجياً، لأسباب متعددة منها عدم جدواها بعد ثورة – شبكات التواصل الاجتماعي- إذ غدا لكل مواطن كوني إمكان أن يكون له ما لا حصر له من منابر إعلامية، بالإضافة إلى عدم مدّ يد العون لأصحاب هذه المواقع الإلكترونية التي راحت تتوارى: الواحدة منها تلو الأخرى، ونحن هنا أمام مسؤوليتين: شخصية توجه إلى صاحب المدونة ومجتمعية لأن صاحب المدونة- غالباً- ما كان يواصل مهمته على حساب جهده، ووقته، ونفقته، من دون أن يكون هناك أي عون مادي أو تعاون معنوي: كتابياً أو إدارياً وغير ذلك، بل إن صاحب الموقع الإلكتروني كان ضمن الوطن معرضاً للاعتقال والتعذيب، كما إنه كان معرضاً للإساءة، خارج الوطن، فيما إذا تناول بجرأة ماهو كردي، وثمة حملات تمت ضد بعض هؤلاء، ولا أعني هنا حق أحد في الدفاع عن ذاته، ولا التقصد والإمعان في تجريح أحد ما، وهوما كثربحق أحزاب وشخصيات كردية وكردستانية، على غير وجه حق، وكان يقف وراءها أصحاب مواقع إلكترونية متحزبة أو مأجورة!

و الآن، ومرة أخرى، لماذا لم أجمع مقالاتي وأطبعها؟

بعيداً، عن أوهام عناية الآخر، بأرشيفي. أرشيف الانتفاضة. كلها، دعوني- هنا- أن أبين ما كان يحدث لي، أمام ضغوطات بعض الأصدقاء، أو في ظل انعدام إمكانات الطبع، إذ كان يحدث لي- وإن على نحو سريع من دون أن أستغرق في هذه اللحظة أبعد من حدود هيمنتها- أن أسوف المسألة، معللاً لنفسي أو لهؤلاء الأكثر حرصاً: أنني سافعل ذلك، وكلما مرت ذكرى سنوية كنت أقول: آمل أن أستدرك الأمر في العام المقبل، لتكون أمامي محطات:

الخمس سنوات أو العشر سنوات، وما إن مرت هذه الأخيرة حتى أحسست بضرورة أن أفعل شيئاً، إلى أن غدوت واقع أنه لم يبق إلا شهر واحد على ذكرى مرور خمس عشرة سنة على الانتفاضة، ما جعلني أعود إلى ما هو موجود في أرشيف:

الحوار المتمدن- أو في كمبيوتري، أولدى الصديق محمد سعيد آلوجي في موقع- بنخت- أو كردستانا بنختي- أو في أرشيف- ولاتي مه- الذي قاوم لأجل البقاء والاستمرارية، وإن لم يكن موجوداً في مرحلة الانتفاضة، بل إن موقع- كميا كردا- كان قد ظهر بعد ذلك ونشرلي ولسواي فيه الكثير، إلا أن الموقع توقف، وتعرض- الهارد العام- لمشكلة لما تزل قائمة، وهكذا فإن مواقع أخرى مثل:

عامودا كوم. عفرين نت. كردستانا بنختي . كسكسور- تربسبي- دربيسي- سوبارو- تيريج قامشلو. صوت كردستان إلخ- قد توقفت" ومعذرة من مواقع نسيت ذكرها" ناهيك عن أن أكثرمن موقع إلكتروني شخصي قد تهكر، زد على ذلك أنني كنت أفرغ إيميلاتي، بين حين وآخر، لدواع اضطرارية، معولاً على ثقتي بالأرشيف الغوغلي أو المواقعي!

خلال السنوات الأخيرة الماضية راسلت عدداً من أصحاب المواقع، أو العارفين بشؤون- نسخ غوغل- الخبيئة أو الاحتياطية، لاسترداد ما كتبت، إلا أنني لم أفلح، ما جعلني أصر على القيام بطباعة- أولى- لما بين يدي من مقالات، على أمل أن أفلح يوماً ما في الحصول على أرومة ما كتبت، أو نسخ من كل ما كتبت ونشرت، وهوما يجعل هذه الطبعة غير شاملة لأرشيفي، كما أنني أرغب بأن أبين بأنني لا أقدم في هذا الكتاب الذي قسمته إلى أجزاء على تقييم ما يتعدى ما وثقته، من خلال منظور صحفي- أولاً- ومن موقع الرد على الأكاذيب والافتراءات التي كان النظام يطلقها ضد الكرد. ضد انتفاضتهم، وللأسف، فإن هناك من بيننا- وهم قلة القلة الشذاذ- من غدا لسان حال هؤلاء، من خلال موقفهم السلبي من- المتظاهرين- وتصديق رواية النظام، بل هناك من حاول إلحاق الأذى بكل من تنطع ورافع عن أهله، وهوما تم تدريجياً بعد انحسار الخوف ومواجهة كثيرين لهؤلاء: لم لم يكن لكم موقف مما جرى؟، وهوما يعرفه كل متابع في تفاصيل هذا الشأن!

ثمة ما ينبغي قوله إنصافاً، وهو أن أسرتي شاركتني في تحمل أعباء الموقف، وعلى سبيل المثال فإن تأمين بطاقة الإنترنت كانت تشكل عبئاً مالياً مرهقاً بالنسبة إلي، وهكذا بالنسبة لأكلاف الهاتف- إذ كان لدي خط هاتف تركي- بالإضافة إلى أن أكثر هذه النصوص كان ينضد ويعد للنشر بأصابع أبنائي وبناتي وكانوا طلاب شهادات، وعلى حساب دراستهم، وفي ظروف أمنية، واقتصادية جد صعبة. كما أن هناك من الأصدقاء والصديقات الذين نضدوا بعض هذه المقالات "أحمد حيدر- أيتان محمود" وإن على نحو جد قليل، بل هناك من فتحوا بيوتهم، بل هناك من جمع كل أرشيفي- ألكترونياً و ورقياً- وأخص هنا مسعود ديواني وسيامند ميرزو، أما مسعود فقد مدني بما هومنشور إلا أن تهكر كمبيوتري- مرات- أفقدني ما قدمه لي، كما إن سفر سيامند معي إلى الإمارات دعا إلى خسارة هذا الأرشيف العظيم، بقسميه: الورقي والإلكتروني!

-تأسس منتدى جلادت بدرخان بعد أسابيع من بيان ال99 مثقفاً سورياً، وذلك في 10-12-، وهو اليوم العالمي لحقوق الإنسان،2000 وكان الشهيد مشعل قد وقع عليه، لكن في القائمة التالية للبيان الأول، إذ بلغت أعداد الموقعين المئات، وكان من أعضائه: سيدايي كلش- الشهيد محمد أمين محمد- عبدالقادر بدرالدين- مروان عثمان- رزو أوسي وآخرون، لم يتم الإعلان عن أسمائهم" ولعل الصديق أكرم حسين على معرفة بذلك!"

-بيان ال99 مثقفاً، أطلق في سبتمبر 2000 بعد وفاة الرئيس حافظ الأسد" 1930-10 حزيران 2000" وطالب الموقعون عليه بإلغاء الأحكام العرفية وقانون الطوارئ وإطلاق الحريات العامة، وظهرعبدالحليم خدم ليعلن عن الحرب على دعوات المجتمع المدني على أنه دعوة- للجزارة-

- في لقاء السفارات في منزلنا حضرت منظمتا داد والراصد- كسكايي...؟

- تأسست منظمات أخرى: " أولها مكتبة جار جرا - مكتبة جلادت بدرخان -

*من مخطوط قيد الطباعة، بعنوان: من أسقط التمثال؟

في مقدمات انتفاضة 12 آذار- قامشلي -شهادات وآراء شخصية–

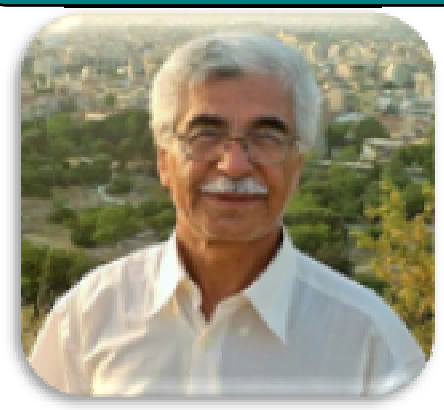

في ذاكرة الكورد: انتفاضة 2004

جان كورد

شهر آذار يحمل معه عطور الربيع وسموم الرياح معاً بالنسبة للأمّة الكوردية المغدورة، وليس هناك تنظيم أو حزبٌ كوردي إلاّ ويصدر بياناً يذكر فيه مآسي هذه الأمة وأيام سعادتها وانتصاراتها التي توالت عبر العصور في هذا الشهر، ومن ذلك العيد الوطني الكوردي في 21 آذار ورحيل القائد الأسطورة في الأوّل من هذا الشهر وذكريات عديدة أليمة ومفرحة، إلاّ أن هذه التنظيمات الكوردية ذات الخلفيات الفكرية المختلفة والتوجهات السياسية المتعددة الألوان قد فوجئت بالبركان الذي لم يتفجّر من ذرى جبال كوردستان المكللة بالثلوج كما يحدث لبراكين العالم وإنما تفجّر في وسط مدينة القامشلي الهادئة المسالمة بحيث أثار الاستغراب في صدور الحاكمين والمحكومين على حدٍ سواء، ألا وهو بركان الانتفاضة الشعبية الهادرة التي انطلقت من الشارع الكوردي يوم الثاني عشر من آذار 2004، وكأن مطرقة كاوا الحداد انفلتت من يده لتدكّ في وضح النهار قصور البغي و الطغيان من دون سابق إنذار.

حقيقةً، لم يتوقّع أحدٌ حدوث هكذا انتفاضة "كوردية" عارمة، فإن سوريا كانت ترقد كلها، من شمالها إلى جنوبها، بجمرات نارها تحت رماد البيروقراطية البعثية السائدة، وكانت عصي الخيزران وآلات التعذيب الوحشي تنتظر كل من تهمس له نفسه بعمل أي شيءٍ قد تفوح منه رائحة "معارضة حقيقة" في سوريا الأسد التي ظنّ البعض أنها ستبقى هكذا أسيرة نظام متعفن من شدة تراكم الفساد والجور الذي لا مثيل له إلى الأبد، فجاءت إنتفاضة 12 آذار من أقصى الشمال السوري لتعلن للعالم أن الوقت قد حان لإزالة هذا الركام من اللاعدالة واللا ديموقراطية واللا حرية في هذه البلاد. إلاّ أن النظام كان للكورد بالمرصاد وتمكّن من استخدام شتى وسائل الترهيب والترغيب للقضاء على "ثورة" عفواً "هبّة" بل "فتنة" الكورد التي ستحرق الأخضر واليابس في عرين الأسود.

إن عدم وجود تقييم دراسي دقيق وموضوعي عن تلك الانتفاضة الشعبية في 12 آذار 2004 يعود سببه إلى "عدم وجود " أو "ندرة" منظمات المجتمع المدني آنذاك والاعتماد فقط على الأحزاب المنظّمة التي يمكن لقياداتها التحكّم بالحياة الفكرية والسياسية، بل الثقافية- الاجتماعية لأنصارها وأتباعها، فالمسألة كانت أكبر من أن تتمكّن الأحزاب من حل طلاسمها ومعادلاتها.

ليس في تأريخ الحركة "الوطنية!" الكوردية ما فرّق بين زعمائها وكوادرها مثل ذلك اليوم قبل 17 عاماً من الزمن، ولم تلتفت فيها هذه الحركة لكتابة تقييم موضوعي لما وقعت في من أخطاء في ذلك اليوم فظلّ كل مفكّر أو كل سياسي طائش على موقفه من ذلك الحدث الجسيم حتى الآن، ففي نظر البعض كانت تلك الأحداث الدامية "إنتفاضة" بكل معنى الكلمة، ولو استجاب لها الديموقراطيون العرب في المدن الكبيرة مثل حلب ودمشق وحمص وحماه لتحولت إلى "ثورة الشعب السوري"، إلاّ أن الحقد العنصري الذي كان ولا زال يغمر أفئدة معظم قادة وزعماء المعارضة السورية حيال الشعب الكوردي، جعلهم في ارتباك لا يدرون ما يفعلون في ذلك اليوم وبعده بأيام، إلاّ أنهم في نهاية المطاف وقفوا ذات الموقف الذي كان عليه أنصار الجلاد العربي الكبير صدام حسين تجاه الوجود الكوردي برمته، فنظروا نظرتين مختلفتين تماماً لانتفاضة الشعب الكوردي وانتفاضة الشعب الفلسطيني، أي وقعوا في النفاق واللاعدل حيال شعبين يطمحان إلى نيل حق تقرير المصير الذي هو حقّ لكل الأقوام والشعوب، ولا زالوا هكذا حتى اليوم بعد كل التغيير الحادث في مسيرة الكفاح التحرري للشعوب

وهذا الموقف العنصري تجاه ما قام به الشباب الكوردي في ذلك اليوم التاريخي العظيم قد يمكن تبريره لأن "العروبة" تسيل في دماء الحكام والمعارضين العرب، إلاّ من رحم ربي وربك، وهم قلة لا يستطيعون تغيير المسار العنصري الفاضح في سوريا والعراق معاً. ولكن كيف يمكن تبرير موقف أولئك الزعماء الكورد، من حزبيين واقطاعيين وملالي ومثقفين، لبّوا نداء النظام المرتجف المرتبك آنذاك، فانقلبوا بسحر ساحر من طلاب "حرية وديموقراطية" إلى مؤيدين للنظام الدكتاتوري الفاسد وداعمين لفكرة أن ما جرى في المنطقة الكوردية من أحداث شبابية ليس إلاّ "فتنة" ساهم في إثارتها خونة الكورد لإسقاط "جبهة الممانعة والمقاومة" الذين يعيشون على فتات موائد الإمبرياليين والصهيونيين في دول الغرب المعادي للشعوب. ألم يكن معيباً أن تقف قياداتنا العريقة في السياسة ضد إرادة الشباب الذين لم يطالبوا سوى بتحقيق الأهداف الواردة في مناهج وبرامج أحزابهم الكوردية... لقد سادت عبارة "نحن ضد الاستعانة بالعامل الخارجي!" وسياسة "القضية الكوردية حلّها في دمشق!" و"الحوار مع النظام سبيلنا الوحيد لإحداث تغيير ما في الحياة السياسية السورية!"... وبالفعل أتذكّر ذلك الموقف المهين بشعبنا برمته وللمعارضة الديموقراطية على حدٍ سواء.

أمّا الذين كانوا يعلمون بما يجري فعلاً في ساحة النضال الشعبي، فقد ابتدعوا لتلك الأحداث مقولة لطيفة هي "هبّة" التي ذكّرتني وقتها ب"هبة الريح" التي ستخمد أو هبّة الرجل لأداء الصلاة ثم يرقد بعدها... ومنهم من شرع يمزج بين "الانتفاضة" و"الهبة" و"الفتنة" في آن واحد، وكأن الموضوع كان من خارج هامش العلاقة بين الشباب ورفض الواقع الذي يعيش فيه... أفلم تكن هبّات وانتفاضات وثورات الشعوب كلها من نفحات الشباب وتضحياتهم وشهادة رفاقهم؟

حاولت آنذاك بقلمي المتواضع أن أكتب عن حقيقة ما جرى في ذلك اليوم العظيم، حتى اتهمني بعض المتحزّبين بالعمالة والخيانة لسوريا ولأحزابنا الكوردية بالذات، إلاّ أن مسيرة التاريخ في سوريا أثبتت أن كل الذين كانوا ضد "الاستعانة بالعامل الخارجي!" صاروا يتفاخرون فيما بينهم على علاقاتهم مع ذلك العالم الخارجي، المبريالي الصهيوني الرجعي الكومبرادوري! وأنّ الذين كانوا يتفادون القول بوصف "الانتفاضة" لحراك شبابنا في ذلك اليوم، انقلبوا مع الأيام إلى محرّضين على مثل تلك الانتفاضة في كل المدن السورية، والذين أطلقوا وصفة "الفتنة" على ثورة الشارع الكوردي، شرعوا يتجنبون الحديث عن ذلك اليوم الذي أذلهم وفرض عليهم الخنوع للنظام الذي يعارضونه على مضض.

من أجل تقييم جيّد لتاريخ الحراك الكوردي المعارض وتأريخ تلك الانتفاضة بالذات، يجب أن تتضافر جهود المثقفين الأحرار الذين ينتمون إلى الشعب وقضيته لا المتحزبيين المتواكلين على زعماء لم يتمكنوا من تحقيق أي هدف من أهداف أحزابهم التي يتربعون على عروش قياداتها منذ عقودٍ من الزمن .

قيود الظلم...

..... إلى أم خوندكار

يسرى زبير

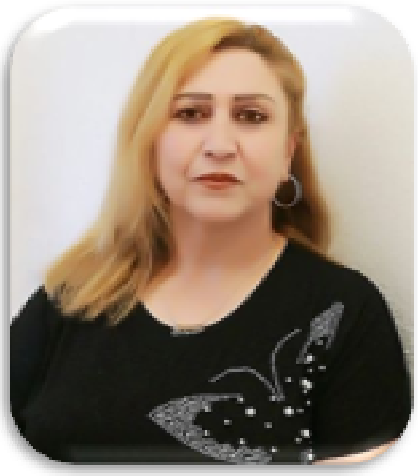

هذه القصة حقيقة جرت أحداثها في حي من أحياء دمشق، وهو حي زورافا، الذي يقطن غالبيته الكورد .

المشهد:

في زنزانة سوداء خلف القضبان الحديدية. يعصف الألم بسيدة كوردية، كانت تتعذب في الخفاء، وهي تجلس بين الجدران الأربعة في الزنزانة الضيقة، وهي وسط الظلمة المخيمة حولها .

أبت البكاء فعزة نفسها لن تسمح لذرف الدموع من عينيها المتصلبتين اللتين لم تذوقا طعم النوم وراحة البال، منذ أيام. قلقةً على أبنائها و أبناء بلدها لتعود بها مجريات الأحداث إلى تفاصيل ملعب قامشلو، ودقات قلبها تتصاعد حرقة على أبنائها الكورد. ترفع يدها إلى السماء تدعو الله أن يحميهم من الأيدي المجرمة، الآثمة.

تخرج من شرودها على أصوات تملأ المكان الموحش... تلتفت يميناً وشمالاً لا تسمع غير صرخات تعذيب من حولها، وكأنها صرخات استغاثة لأرواح تلتهب في نيران جهنم البشر. تغمض عينيها بألم وتناجي الأشباح من حولها، وتردد بينها ونفسها:

لم يرتكبوا اية جريمة. جريمتهم الكبرى انهم كورد. تتخيل بفخر أبناءها الأبطال، وصمودهم الذي أربك النظام وحاشيته.

كانت هي الأم العظيمة وهي تقف مرفوعة الرأس أمام الجناة، وهي تستجوب كالأبطال، وتقزم دورهم في الإفاة .

أم خونكار المرأة التي أنجبت أبطالاً لم يهزهم بطش النظام

وهم يقودونها للتحقيق:

ما هو التنظيم الذي تعملون ضمنه؟

يستجوبونها في مجرى التحقيق الظالم، عبر زبانية الأمن السياسي البعثي، وهي ترد بفخر:

نحن الكورد جميعنا منظمون في خدمة قضيتنا.

يقهقهون بسخرية وابتسامات شيطانية ترتسم على وجوههم، وكمن يصدر عنهم فحيح أشبه بفحيح الأفعى، يسألونها

هل لكم قضية؟ أنتم ابناء الجن .

تردد بفخر وشموخ نحن من أنجبنا أبطالاً وخلدنا التاريخ بالشجاعة والبطولات، ونحن أصحاب حق في هذا البلد.

يردون بسخرية

خذوها إلى المنفردة.

الويل لكم أنتم من تعادوننا وتتبجحون بالانتفاضة

يجرونها إلى زنزانتها ويمارسون بحقها أشد أنواع التعذيب الذي هو التعذيب النفسي .

يؤدون أمام زنزانته فصول بطولاتهم، من بينها قصص قتل الشباب الكورد تحت التعذيب .

يضحكون ويتسامرون... تسمع أصواتهم التي تقبض على أنفاس الروح .

نعم لقد مشطنا زورآفا وألقينا القبض على ابنها دلدار، وصهرها أكرم،

ودارين. لقد قتلناهم تحت التعذيب .

كانت صغيرة فهي لم تتحمل الضرب بالسياط كان يغمى عليها من الضرب على جسمها .

تقع هذه الكلمات على مسامعها لكي يكسروا من عنفوان روحها. مع تمزق قلبها في وحدتها .

دارين ابنتي الحبيبة طالتك أياديهم القذرة، إذا، وقتلوك... يا شهيدة. كيف سولت لهم أنفسهم إن يعذبوك حتى الموت .

صغيرتي المدللة شهيدة انتفاضة آذار ...

ليتني كنت أنا محلك ولست أنت ...

تردد في نفسها المكتئب الحزين، وتقول:

ابني دلدار مسجون مثلي مع صهري أكرم. نعم. إنه لفخر لنا أن نكون شهداء من أجل قضيتنا وقوميتنا،..

وهي تتصور في مناجاتها الداخلية صورة خيمة العزاء لصغيرتها دارين. وتتخيل عزاءها وكيف وهم يقومون بالواجب في غياب الأم وتردد في أيامها العصيبة بعد كل تحقيق..

أكيد ابني خوندكار وصديقه كريفي كاوا يقومون بواجب العزاء .

نعم كاوا في قامشلو لا يهون عليه ترك خوندكار في هذه الظروف أكيد يكون قد وصل من قامشلو الى الشام، ليقوم بالواجب مع خوندكار، فهو ايضا ابني الذي تربى معنا

تعد الساعات في تلك الغرفة المظلمة. نعم الساعات التي توقفت من زمن عمرها وهي في دوامة من أشباح يتحدثون معها، وتسمع أصواتهم من خلف القضبان والأبواب الموصدة، بأقفال تثقل روحها ..

تمر الأيام وهي في حالة ميئوسة يفتح باب الزنزانة، فجأة، وتسمع كلمة تجرحها أكثر

الإفراج...

يمسكون بيدها ويخرجونها من السجن وهي بالكاد تستطيع أن تمشي بخطوات مثقلة. لتسير في درب الجروح. وتقول في نفسها سأذهب لاستقبال المعزين في إبنتي

تسير بخطاها ودقات روحها المؤلمة. تصعد تلة زورآفا. وتتنهد في سيرها، وتقول:

حبيبتي ابنتي الشهيدة تقترب أم خندكار من دارها، وإذا بالمفاجأة التي كاد أن يغمى خلالها عليها، لترى ابنتها دارين واقفة أمام باب دارهم ظنت انها تتوهم ولكنها عندما سمعت صرخت بأعلى صوتها، وهي تقول: أمي الحبيبة حرة عندها أغمى عليها من فرحتها برؤية ابنتها حية .

تعرضت أم خندكار لأبشع أنواع الظلم، وهو التعذيب النفسي

إنها المرأة المناضلة الأم..

الانتفاضة

منال الحسيني

الإعصار الذي هب في أذار 2004 على المدن السورية حيث يتواجد الشعب الكردي الذي ذاق الأمرين على يد نظام الأسد (الأب و الأبن).

بدأت من قامشلو قلب كردستان سوريا، تلتها عامودا ثم امتدت و انتشرت كالنار في الهشيم إلى سائر المدن السورية حتى وصلت قلب العاصمة السورية دمشق لتتحول إلى اعتصامات و مظاهرات تجوب كل العالم بدأً من الدول الإقليمية إلى أوربا وأمريكا..

كانت الانتفاضة الكردية صدمة تلقاها النظام السوري دون سابق انذار والتي لم تخطر ببال القيادات الكردية ولا حتى كانوا يتجرؤون على تخيليها؛ كنّ يرددن آنذاك "إنها مفاجأة.. حقيقة لسنا جاهزين، الحدث أكبر من توقعاتنا ..الخ".

كانت الانتفاضة الكردية منعطفاً تاريخيا في حياة شعبنا الكردي في سوريا ونقطة تحول تاريخية، فبسقوط تماثيل الأسد سقطت معها الكثير من الأصنام الفكرية التي كان قد زرعها نظام القمع و الاستبداد في نفوس ابناءه ..نعم حطم الشعب جدار الخوف وفوبيا التابوهات والارهاب وحاز على مساحة لا بأس بها من الحرية التي كان ينشدها ليمارس أنشطته الثقافية والاجتماعية والسياسية حتى أنه تم أعلان يوم الانتفاضة كيوم للشهداء الكرد جميعاً ويتم أحياؤه كل عام في حديقة مقبرة قدوربك حتى هذه اللحظة.

حسبما أعلم أنه تم مساعدة عوائل الشهداء و الجرحى بشكل رمزي من قبل الأحزاب الكردية، و لكن لم تنبثق مؤسسات باسم ضحايا الانتفاضة لإن القبضة الأمنية كانت لا تزال قوية و لكن كان بالإمكان العمل سراً فيما لو كان هناك تمويل جيد لهكذا مؤسسة وهذا حسب رأي الكثيرين كان يقع على عاتق الجالية الكردية في الخارج ولكن حقيقةً الواقع مؤسف ومؤلم هنا لإن أغلب من هاجروا لا يعملون ويحصلون على مساعدات من الدولة، و مع ذلك ينبغي ألاّ نفقد الأمل بالسعي لتأسيس منظمات في الخارج لدعم أهلنا في الداخل والاعتماد على التمويل الذاتي في البداية ثم بالإمكان فيما بعد التواصل مع المنظمات الدولية واقامة علاقات ونشاطات مشتركة لتأمين التمويل الكافي.

نعم استطاعت الانتفاضة أن توحد الشعب الكردي في سوريا، ولكن هذا لم يكن كافياً ليغير النظام من سياسته القمعية وكان ولا زال له اليد الطولى في خرق الأحزاب ونخر جسد الحركة الكردية وتشتيت قواها وتشكيل حركة انشطارية داخلها لدعم الانشقاقات وتشكيل أحزاب هزيلة انهكتها المشاكل التنظيمية وأصبح جل تركيزها على توزيع المناصب و المكاسب.

كل ما يفتقده الشعب الكردي، يجيب على كل الاسئلة المطروحة هو التنظيم والعمل المؤسساتي والاعتماد على الكفاءات، كلٍ في مجاله وإقامة علاقات مع الشعوب الأخرى وخصوصاً التي نتعايش معها للتعريف بقضايانا وكسب تضامنهم ودعمهم واستثمار كل الفرص لتقريب وجهات النظر.

أتساءل دوما ماذا لو شارك كل الشعب السوري في هذه الانتفاضة ووقفوا يداً واحدة ضد استبداد النظام السوري، هل كنا سنحتاج إلى ثورة أطاحت بالكل دون أن تحصد ثمرة!!

من ذاكرة انتفاضة..

الانتفاضة التي حولت الطالبة الجامعية إلى معتقلة، وربة المنزل والمعلمة إلى سياسية ..الانتفاضة التي جعلتني أعي أهمية التنظيم في حزب يمثل تطلعات الجماهير حزب يحول شكل النضال السلمي من مجرد اصدار بيان أو تصريح إلى اعتصام وإضراب وتظاهر.

أتذكر أنني ركضت وأنا أحمل طفلتي الرضيعة في حضني وأمسك بيدي الأخرى طفلتي الأكبر صوب الشارع حيث الشعب الهائج و اطلاق الرصاص الحي حتى وصلت طلقات الرصاص قريبة من قدمي .. رأيت الدماء النقية على قميص صديقٍ، كانت دماء الجرحى الأحرار الذين هبوا لنجدة أهلهم في قامشلو و لكن ثمة أمر بتوقيف الباصات و السيارات اغلاق الطريق العام عامودا - قامشلو فقررت المظاهرة العفوية الذهاب سيراً على الأقدام نحو قامشلو و لكن رجال الأمن السوري كان لهم بالمرصاد، فعادوا أدراجهم وفي الطريق حطموا تمثال حافظ الأسد واتجهوا نحو الدوائر الأمنية وأحرقوا سياراتهم ثم اتجهوا إلى مديرية الناحية والشرطة ودخلوا مقراتهم حتى اخْليت تملماً.. ولكن كانت النتيجة اطلاق الرصاص الحي وجرح العشرات في عامودا واستشهاد العشرات مثلهم في قامشلو وجرح المئات واعتقال آلاف الكرد في سائر المدن السورية بشكل عشوائي، أما البقية فكانوا مستنفرين متأهبين لأي مداهمة. كان الهاتف الأرضي الوسيلة الوحيدة لنقل أخبار الانتفاضة.

تواصلت معي شقيقاتي من دمشق، حيث كن طالبات جامعيات، يستفسرن عما يحدث في قامشلو و عامودا و أنا كنت أسرد لهن كل التفاصيل لم يخطر ببالي أنهن سيشاركن باعتصام أمام البرلمان السوري و لا سيما أننا من عائلة محافظة، ثم سمعت نبأ اعتقال شقيقتيّ آلا- طالبة علم النفس - و مزكين - طالبة حقوق. انتابني خوف كبير عليهما وكان بادياً على ملامحي من شدة الشحوب الظاهر على وجهي حسبما قال لي أحد الجيران وظن أنني خائفة على زوجي من الإعتقال، لم يكن يدري أنني خائفة على أختيّ من بطش مخابرات الأسد من جهة ومن سطوة المجتمع الذكوري من جهة أخرى وكيف سيلتقى أبي الخبر وهو مريض القلب!!

كانت أيام عصيبة مرت عليّ و على كل كردي/ة، و لكن ما كان يهون علينا رائحة الآزادي التي كانت تفوح من نوافذ بيوتنا..

الانتفاضة كسرت حاجز النضال الروتيني الذي خلقته الأحزاب الكوردية

شبال ابراهيم

بداية أشكركم على هذه الاستضافة و أترحم على جميع شهدائنا الذين ضحوا بدمائهم و أرواحهم في سبيل تحقيق أهداف شعبنا الكوردي في إنتفاضة آذار 2004.

حقيقة عندما تعود بنا الذاكرة إلى ذلك اليوم العظيم و الحدث التاريخي تخطر في بالنا الكثير من الأمور و الأحداث التي باتت خافية على شعبنا و ذلك بفضل الاحزاب الكوردية وان لم تكن جميعها و لكن من دون شك القسم الأكبر منها.

بعد كل هذه السنوات من انتفاضة آذار 2004 الكوردي أروع ملاحم البطولة و الشجاعة و كسر حاجز الخوف و مواجهة هذه السلطة بكل مؤسساتها الأمنية و المخابراتية التي أسسها النظام السوري الاب و الابن لسنوات طويلة بالشكل السلمي.

نعم أصوات المتظاهرين آنذاك هزت المنظومة الدكتاتورية و أرعب سلاحها و أستشهد العديد من أبناء شعبنا برصاص النظام السوري الدكتاتوري و بصدور عارية.

قبل و بعد انتفاضة آذار 2004

حدثت مفارقات كبيرة لدى أبناء الشعب الكوردي في سوريا فمن الناحية الفكرية والنضالية كسر شعبنا حاجز الخوف من هذه السلطة الاستبدادية و أيضا كسر حاجز النضال الروتيني الذي خلقته الأحزاب الكوردية والتي كانت جل نضالها القيام بالندوات والأنشطة المتواضعة وتحول إلى إنتفاضة عارمة شملت عموم المناطق الكوردية وحتى وصل المطاف الى دمشق العاصمة في مناطق تواجد الكورد و لم يجدي محاولات النظام في إيقاف المظاهرات إلا بفضل الاحزاب الكوردية التي اتفقت مع اجهزة الأمن السورية ومن ثم قاموا باعتقال الآلاف من ابنائنا و إصدار العديد من المراسيم الشوفينية بحق الشعب الكوردي لمعاقبته و ايضا علينا أن لا ننسى دور المعارضة السورية الكلاسيكية و التي كانت حينها متمثلة باعلان دمشق و الذي لم يتجاوز حالة الصمت.

ولكن خلقت هذه الانتفاضة حجر أساس ليس لدى الشعب الكوردي فقط و إنما لدى عموم الشعب السوري الذي أنتظر الفرصة للقيام بدوره و علينا أن لا ننسى أن دور الشباب الكورد في 2011 عندما أشعلوا ثورتهم والتي كانت في 13 آذار 2011 عندما خرجوا من مقبرة الشهداء في حي قدوربك بقامشلو و لكن مرة اخرى قامت الأحزاب الكوردية بصدها و أطلاق التهم بحق المتظاهرين آنذاك .

بعد أيام قليلة من هذا الحدث تظاهر الشعب السوري ضد آلة القمع في سائر الأراضي السورية و كان للشباب الكورد الدور الابرز في استمرارية التظاهرات على عموم سورية وذلك بسبب خروج المظاهرات في المناطق الكوردية المنظمة قبل المناطق الاخرى .

مع الأسف مازال العديد من الجرحى منذ ذلك الوقت و حتى الآن يعانون من الاصابات و الآلام و الذين التجأ اغلبهم الى أوروبا بهدف العلاج و على نفقاتهم الخاصة و من دون أي إهتمام معنوي من قبل الأحزاب و المنظمات و الفعاليات الكوردية و التي كانت عليها أن تقوم بدورها تجاه هؤلاء الشباب الذين أصبحوا عاجزين جسديا و نفسيا و الذين تلقوا أشد أنواع العذاب من السجون السورية .

كما و من البديهيات و لتقديم الوفاء لضحايا الانتفاضة كان و لا بد إنشاء مؤسسة للعناية بضحايا الانتفاضة من جرحاها وأسر شهدائها لكن و مع الأسف لم ينجز هذا ايضا و هو برسم الإجابة لمن جعلوا أنفسهم أوصياء على الشعب الكوردي.

مرة اخرى احييكم مع فائق الإحترام والتقدير

انتفاضة 12 آذار أرعبت الأحزاب الكردية

عبدا لجبار شاهين

انتفاضة 12 آذار كانت انتفاضة الشعب الكُردي ولم يكن للأحزاب الكُردية أي دور فيها سوى بذل الجهود في اخمادها بشتى الوسائل.

اليوم كان يوماً لعرض صور الزعماء وتقديم الطاعة العمياء وشعارات تمجيد الزعماء الذين لم يكن دور لهم لا من قريب ولا من بعيد في هذه الانتفاضة الشعبية المباركة.

شبابنا وبناتنا يضحون بأرواحهم ويستشهدون بالعشرات والمئات والشعرات تطلق في غير اتجاه.

من شعارات اليوم:

بالروح بالدم نفديك يا قائد

bi can bi xwîn em bi tere ne ey serok

لا حياة بدون القائد

bê serok jiyan nabe

عندما نتحرر من عبودية الاشخاص ويكون ولائنا فقط لشعبنا وعندما تخلو مناسباتنا من صور المتألهين عندها سننتصر وننال حقوقنا المسلوبة بارادة الشعب والجماهير وبسواعد فتياتنا التي لا تبخل في تقديم ارواحهم في سبيل نيل الحقوق لا في سبيل تمجيد وتأليه الأشخاص.

انتفاضة 12 آذار أرعبت الأحزاب الكردية، التي تعتبر نفسها ممثلة للشارع الكردي زوراً، قبل النظام البعثي الدكتاتوري، لذلك سارعت تلك الاحزاب جاهدة بالموازاة مع النظام إلى إخمادها بشتى الطرق والوسائل التي في غالبيتها كانت خبيثة وطُبخت في مطبخ النظام..

انتفاضة ١٢ آذار اثبتت للشارع الحزبي الكردي في سوريا بأن الشعب الكردي في سوريا بروحه الثورية الجبارة متقدمة على الاحزاب الكردية من كل النواحي وبسنين عديدة وبالأخص في الحراك الثوري الفعلي، ومن ناحية أخرى عرت تلك الأحزاب امام الجماهير الكردية بأنها أحزاب الأيام الباردة ولا تصلح لقيادة المراحل الساخنة وحتى لا اهلية لها بقيادة الثورات الساخنة وحتى لا قدرات لديها وبادنى مستويات لحماية الشعب ولكن في المقابل تتفنن قيادات تلك الأحزاب التي تربت وترعرعت في ظل سلطات البعث الامنية لطيلة عقود سلطة البعث في حماية نفسها من الزوال الحتمي، تلك القيادات التي لا تجيد من السياسة سوى فن البقاء والحفاظ على مراكزها بشتى الوسائل وفي الأغلب وسائل خبيثة قد ترتقى الى مستوى خيانة عظمى.

انتفاضة 12 آذار 2004 أعطت زخماً لنضالات الشعب الكردي على كافة الأصعدة كردستانياً واقليمياً ودولياً

فادي مرعي

رئيس مكتب العلاقات العامة لتيار المستقبل الكوردي في سوريا

انتفاضة شعبنا الكوردي 12 آذار جاءت ردا على ممارسات النظام السوري من تمييز واضطهاد واستغلال واستبداد ومحاولات صهر القومية الكوردية وإنكار وجود الشعب الكوردي الذي يعيش على ارضه التاريخية في الجزء الكوردستاني الملحق بسوريا الحالية, استخدم فيه النظام السوري الدكتاتوري كافة اساليب القمع من قتل واعتقال استهدف الشعب الكوردي وراح ضحيتها عشرات الشهداء ومئات الجرحى وتعرض الالاف الى الاعتقالات والفصل والتعذيب والتشريد .

مازال الشعب السوري عامة والكوردي خاصة يعاني من الارهاب والذي بات في اغلب الاحيان مزدوج مابين نظام الاسد والمتطرفين والميلشيات التابعة له والمحسوبة على كافة مكونات المجتمع السوري في كل ذكرى لانتفاضة اذار نجدد العهد والوفاء لدماء الشهداء الكورد والسوريين ونطالب بإسقاط نظام الاسد وأجهزته الامنية وبناء سوريا الاتحادية الديمقراطية وندعو كافة ابناء شعبنا الكوردي الى التلاحم والتكاتف لمواجهة الارهاب وفق رؤية سياسية وعسكرية موحدة ضمن اطار كوردي شامل لكافة الفعاليات والأطر الحزبية مما يساعد في حماية الشعب الكوردي ووجوده التاريخي على ارضه ورفض كافة اشكال صهر القضية الكوردية في صراعات اقليمية على اسسس بعيدة عن الحق القومي الكوردي.

إن هذه الانتفاضة كسرت حاجز الخوف والترهيب وكانت البداية الحقيقية للثورة السورية التي إندلعت عام 2011 وأعطت زخما لنضالات الشعب الكردي على كافة الاصعدة كردستانياً واقليمياً ودولياً.

ان الظروف التي تمر بها الجزء الكوردستاني الملحق بسوريا معقدة ولا بديل عن التمسك بالنضال السياسي السلمي كخيار إستراتيجي لإنهاء الإستبداد والقمع وتمكين شعبنا الكردي لإنتزاع حقوقه القومية المشروعة الى جانب حقوق كافة مكونات الشعب السوري وعبر مظلة الأمم المتحدة والمحافل الدولية، لإيجاد حل سياسي للأزمة السورية عامة والوضع الكوردي بشكل خاص لإنهاء مرحلة القتل والتدمير والتهجير بحق شعبنا، وينهي العمل بالنظام المركزي الشمولي، وبناء سوريا ديمقراطية تعددية برلمانية اتحادية لكل السوريين.

كما أن المرحلة التي تمر بها كردستان سوريا وفي ظل التهديدات والأخطار المرتقبة يتطلب منا رص الصفوف والتمسك بثوابت قضيتنا على قاعدة المشروع الوطني والقومي الكرديين يتطلب مواصلة نضالنا السلمي مع كافة القوى المحبة للسلام والحرية حتى يتحقق طموحات شعبنا الكردي في الحرية والكرامة الى جانب كل مكونات الشعب السوري.

انتفاضة آذار 2004 .. أي يكن اسمها فقد أحدثت علامة فارقة في الذاكرة

جوان يوسف

أيّ يكن اسمها، انتفاضة، هبة، أعمال شغب، لا يغير من الامر شيئاً، الشيء الأهم أنها أحدثت علامة فارقة في تاريخ غرب كردستان رغم انها لم تحدث تغييراً جوهرياً في الواقع، على العكس تماماً إذا ما تجاوزنا الشعارات واللغة الشعبوية والهوارة التي اعتدنا عليها في توصيف أي حدث كردي، فان النتائج كانت كارثية بالمعنى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي على الناس ولم تحقق شيئاً مما كان يطمح إليه المنتفضين اللذين خرجوا معبرين عن غضبهم ومعاناتهم، وهنا لا أتحدث عن الحركة السياسية التي بالأساس لم تكن جزءا مهماً من الحراك السلمي العفوي الذي انطلق في 12 اذار 2004، فهي كانت مجرد راكب لصهوتها دون أن يكون لها أي تصور حول اتجاه حركتها والطريق الذي تسير اليه.

إن الحماس التي أبداها الكثيرون للانتفاضة، ومنهم كاتب هذه السطور، سرعان ما تحول الى كابوس، صارت أسماء المدن الكردية المقترنة بخانة الولادة أو السكن لعنة على الحواجز وفي التقدم للوظائف، في الجامعات وفي الدوائر والمؤسسات الحكومية، فغياب القيادة السياسية وفشل تأطيرها وتنظيمها وتحديد أهدافها حولت تلك الانتفاضة الى أعمال شغب وتخريب وتعاملت معها السلطة على هذا الأساس, وهذه مسألة طبيعية في كل الاحتجاجات والانتفاضات التي تنطلق بصورة عفوية هنا وهناك مالم تسعفها قيادة ميدانية واعية، وكثيراً ما تنتهي إلى عكس ما يريده الناس، بسبب عدم التنظيم وعدم وجود أهداف واضحة، وانا أعتقد أن انتفاضة قامشلو كانت لها من ذلك الضياع نصيب.

مع ذلك أحدثت الانتفاضة علامة فارقة ليس في ذاكرة الكرد فحسب بل في ذاكرة السوريين اللذين كانوا يعتقدون أن الكرد مجرد خرفان أمام آلة القمع السلطوية أو انهم مجموعة من البشر تفتقد الى روابط أصيلة بينهم.

الانتفاضة أحدثت تغيراً نوعياً في هذا السياق، لقد صاغت رسالة، وكانت عفوية أيضاً، أن كرد غرب كردستان "وهو الجزء الملحق بالجغرافية السورية الحديثة" من عفرين وحتى ديريك مروراً بمناطق وأحياء التواجد الكردي في المدن السورية يشكلون وحدة قومية لا لبس فيها، إنسانياً وسياسياً وجغرافياً، ولا يمكن تجاوزها أو الاستهانة أو التقليل من شأنها مهما كانت النتائج وهي مازالت تثير النقاش وتحفز على طرح الأسئلة من قبيل كيف استطاع ان يخرج هؤلاء الملايين الى الشوارع وكيف استطاعوا ان يلقوا برموز النظام تحت الاقدام، في حين لم يكن يتجرأ أحداً قبل الانتفاضة مجرد النظر اليها دون ان تعتريه القشعريرة.

أسئلة طبيعية لحالة فاجأت الجميع، بل وأدهشتهم جميعاً، الأحزاب الكردية والسلطة السورية ونخب المعارضة، لاسيما أنها جاءت قوية وعفوية، في آن، ومن دون تمهيد ولا تأطير ولا تنظير سابق.

لكن يبقى السؤال المشروع، بعد مرور 17 عاماً على الانتفاضة، هل غيرت من مفاهيم الخنوع والخوف التي كانت قائمة؟

وهل استفادت النخب والأحزاب الكردية من تلك الوحدة التي تشكلت خلال لحظات الانتفاضة، وماهي الدروس والعبر التي يمكن قراءتها اليوم؟

لقد عملت النخب الكردية والعربية على حد سواء تشكيل حالة من الثقة والاطمئنان المزيف التي تقول ان المشكلة الكردية هي مع النظام لوحده وان العامة أو من هم خارج النظام هم حلفاء حقيقيون للكرد أو في أقل تقدير هم ليسوا مع النظام.! أو لنقل بطريقة أخرى اعتادت الأحزاب الكردية والمعارضة السورية على تكرار مقولة ان المشكلة في النظام وغياب الديمقراطية والحريات هو العائق الأساس في استمرار فقدان الكرد لحريتهم وحقهم في صياغة مصيرهم، لكن الاحداث اظهرت ان المشكلة في جوهرها قومية وكشفت عن عورة النخب السياسية السورية واظهرت مدى التصاقها بالنظام عندما يتعلق الامر بالكرد.

بذات المستوى كشف سلوك المواطنين العرب ان العلاقات الاهلية والمدنية التي كانت قائمة لم تكن الا زيفا هشاً، سرعان ما ظهرت الحقيقة، أن سلوك العامة اسوء من السلطة الحاكمة، فهي اتجهت الى عقلية البداوة في الثأر والنهب وسرقة ممتلكات الكرد وتعمد اهانتهم في كل حديث بل واشتغلوا كمخبرين وسلطويين ضد الكرد.

على المستوى السياسي فقد أظهرت الانتفاضة مدى هشاشة الأحزاب الكردية وافتقادها الى رؤية سياسية وقدرة على تحمل مسؤولياتها، بالرغم من تسارعها في تشكيل ما سمي بمجموع الأحزاب الكردية كتعبير عن حالة اتحاد الا انها كانت فاقدة البوصلة لغياب الرؤية السياسية واتجهت الى المساومة مع السلطة وقبول شروطها بإيقاف الانتفاضة دون أي مقابل!.

نعم، الانتفاضة وحدت الشارع الكردي العفوي لكنها مزقت الحركة الكردية الى أحزاب مجهرية فمن 12 حزب اثناء الانتفاضة، اليوم لدينا ما يقارب 100 حزب وهذا ان دل على شيء فانه يدل على ان تلك او هذه الأحزاب لا تعبر عن طموح الشعب الكردي ولم تستطع انجاز مشروع وطني كردي وبقيت أسيرة المقولة السابقة للانتفاضة وهي ان لا خيار للكرد الا ضمن مشروع المعارضة السورية، وهذا ما أكدته الاحداث بعد 2011

غياب المشروع الوطني الكردي وغياب الثقة بالنفس والقدرة على اختيار طرق مختلفة للنضال والاكتفاء بالعمل ضمن زجاجة البيانات و التصريحات وتقديس بعض الشعارات كالمواطنة والديمقراطية والدولة المدنية يجعل من السهل اغلاق سدادة الزجاجة عليها واغراقها في كل مفصل مهم، وما يحدث الان هو استمرار لما كان.

لقد سلطت الانتفاضة الضوء على مشكلة في غاية الأهمية وهي مازال الوعي الوطني الكردي وعيا عفويا ولم يكتمل بعد الوعي الحقيقي بوجوده القومي الذي يتطلب تشكيل جبهة واحدة يحمل مشروع وطني واضح. لا بل ظهر من خلال الانتفاضة وبعدها وحتى الان الارتباك والضياع والتردد في طرح قضيته للآخرين باعتباره شعب يستحق الدولة الوطنية وهو ليس أقلية الا ضمن ظروف التقسيم الحالية وإنها مسألة مؤقته ولن تدوم .

سبعة أيام عجاف

مزكين عبدالوهاب الحسيني

ربما لن تسعفني ذاكرتي والحشو الكبير للأحداث التي مرّت معي طيلة هذه الأعوام السبعة عشر على تذكر تفاصيل اعتقالي إثر انتفاضة 12 أذار. كنت طالبة جامعية في السنة الرابعة في كلية الحقوق بجامعة دمشق، همي التخرج و تخفيف عبء المصروف الشهري عن كاهل أبي حينها. كنت أعيش مع أخواتي وأخي الأصغر في شقة بحي ركن الدين الشعبي بدمشق. لقد اعتدت أن أتصل من حصالات براق مع عائلتي في عامودا، أخبرتني أختي عن الاضطرابات و أعمال التعسف التي ارتكبت بحق الكثير من الكرد إثر مباراة لكرة القدم وكيفية اسقاط تمثال حافظ الأسد من قبل الشباب الكرد في عامودا و غيرها من المدن و ما لحقها من عمليات الاعتقال التي حدثت في سائر المناطق الكردية.

و هنا شعرت أنه من واجبي مساندة أهلي وتقديم الدعم لهم. و مع سماعنا عن طريق زميلة لي كانت تسكن في المدينة الجامعية بأنه سيتم تنظيم اعتصام طلابي أمام البرلمان يوم الرابع عشر من أذار و أنه كان سيتم تقديم عريضة تتضمن مطالبنا بالإفراج عن زملائنا الذين تم إلقاء القبض عليهم في اليوم السابق إثر مظاهرة طلابية في ساحة الأمويين. و بالفعل قمنا أنا وشقيقتي الكبرى بالمشاركة في الاعتصام بدون أدنى تردد أو التفكير بعواقب هكذا نشاط في قلب العاصمة دمشق. عند الوقوف أمام البرلمان مع عدد لا بأس بهم من الطلبة و وغيرهم من الشعب الكردي المتواجد في دمشق، كان ينتابني شعور لا يوصف من السعادة والإحساس بالديمقراطية التي طالما حلمت بها و كنت فقط أراها أو أسمع بها في نشرات الأخبار. يا لبراءتي و سذاجتي! إنه كان فخاً...

بعد أن جلسنا القرفصاء جميعاً وقام أحدهم بتقديم عريضة المطالب لقائد الشرطة الذي كان يحمل عشرات الشارات الملونة على كتفيه وذلك النسر الذهبي على قبعته، تسلم بكل هدوء الورقة و طلب منا الانصراف. كم كان تصرفه ماكراً ومنطوياً على خبث غير متوقع .

فبعد ابتعادنا عن مقر البرلمان نوعاً ما و وقوفنا إن لم تخني ذاكرتي في ساحة عرنوس، انهمر مئات من العساكر عديمي الأخلاق، لم أعرف حينها من أين جاؤوا حيث قاموا بتطويق الساحة من كل الجوانب .

كل ما كان بوسعي أن أراه تلك اللحظة دفعهم لنا بالقوة لركوب باص لا أتذكر شكله أو لونه، فقط أتذكر صراخهم (نزلوا راسكون). تلك اللحظة كانت أشبه بكابوس لفتاة أقرب لطفلة في أحلامها لتتحول في لحظة لمشروع معتقلة بين وحوش جائعة. وصلنا لفرع فلسطين كما أظن ولا أتذكر من أين علمت ذلك، استقبلنا ضابط كبير بالسن نوعاً ما وقال بصوت يحمل شيئاً من التأثر (يخرب بيتكون .. يخرب بيتكون)، وبعد مضي قليل من الوقت، تم إعادتنا للباص اللعين و التوجه لفرع الأمن الجنائي بحي كفر سوسة وذلك لأن فرع فلسطين لم يعد يستوعب المزيد.

تم وضعنا في غرفة تسمى النظارة مع مرحاض ضمناً، كنا في البداية حوالي ٢٣ فتاة و حسب ما أتذكر كان يقال إن الغرفة تتسع ل ثمانية أشخاص على الأكثر، وطبعاً العدد كان في تزايد، إما أن يضاف إلينا فتيات كرديات يتم اعتقالهن في وقت لاحق، حيث أنه كان في الرابع عشر من أذار قد تم صدور أمر بإلقاء القبض على كردي/ة حسب الهوية، أعني حسب محل السكن، أو إما أن تأتي فتيات.

عرفنا لاحقاً انهن متهمات بتهم كالدعارة أو تعاطي المخدرات، كنت أستمع إلى قصصهم المشوقة و كأنني أستمتع بمشاهدة أحد الأفلام المصرية التي كانت تعرض أيام الخميس على شاشة التلفزيون السوري في مراهقتي.

نعم، كنت معتقلة و أيقنت ذلك عندما تم مناداتي باسمي من ذلك الشباك الصغير في واجهة قضبان الزنزانة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل للتحقيق معي من قبل ضابطين تم تكليفهم واستدعائهما وقتها خصيصاً للتحقيق مع فتاة قادها فقط حسها القومي للخروج في مظاهرة بكل عفوية وبراءة. نعم كنت معتقلة عندما كنت أسمع صراخ و أنين زملائي الشباب في البهو المجاور لنا و كيفية تعذيبهم من قبل هؤلاء المجرمين. و عندها وقع على مسمعي كلمة (بساط الريح) من فم إحداهن من القاطنات معنا من أصحاب السوابق. كنا ننام جالسين، و كان كل ما أتمناه حينها هو نقلنا من هذا القن لمكان أوسع. أحياناً و بعد منتصف الليل كان يتم تبريد الغرفة بشكل لا يطاق ولا أعلم ما كان القصد من ذلك، كانت المصابيح مشتعلة دائماً و بإنارة بيضاء قوية، يا لسخائهم و كرمهم ! و كنا نعرف بالصدفة أو من محاضر الضبط

التي كانت تنظم عند التحقيق الوقت لأنه كان قد تم تجريدنا من ساعاتنا و كل مقتنياتنا الشخصية فور وصولنا هناك . كانت تتم إهانتنا جماعياً للأمانة وليس بشكل فردي. و لكن ما كان جارحاً ومذلاً عندما قاموا بإعطائي تلك اللافتة المخصصة للمجرمين والمكتوبة عليها رقم محدد كما أظن، وقاموا بتصوير وجهي من جميع الجوانب و أخذ بصماتي وتوقيعي على ورقة تعهد بعدم إعادة أعمال الشغب. و ما هو مطبوع في ذاكرتي تلك المرأة الناضجة ذات الملامح الكردية الجميلة، أتذكر بريق عينيها وصوتها الهادئ و كيفية دعمها لنا و محاولتها التخفيف عنا، كانت حينها تحاول تحفيظنا النشيد الوطني الكردي وكنا نردد الكلمات بصوت لا يكاد يسمع .

و أخيراً و بعد سبعة أيام عجاف في السجن تم إطلاق سراحنا بعفو رئاسي غير متوقع . كان هنالك طبعاً تبعات اجتماعية و نفسية لهذا الاعتقال و سماع نوع من القيل والقال، كوننا كنا فتيات وكان هناك من يعتبر الأمر عاراً. أما عن نفسي فكنت فخورة و لا زلت بهذه التجربة النادرة التي كانت نتيجة لرفضي للظلم و لقوة حسي القومي الذي تشربته مع حليب أمي.

الأسباب المباشرة لانتفاضة 12 آذار

زاكروس عثمان

اود التنويه إلى ان هذه المساهمة جزء من مخطوط لي يرجع تاريخ كتابته إلى سنة 2004 تحديدا إلى الدقائق الاولى من انطلاقة انتفاضة قامشلو 12 آذار حيث كنت متواجدا في ملعب شهداء 12 آذار في قامشلو وكان حينها يسمى ملعب 7نيسان، والذي منه بدأت شرارة الغضب الكوردي، لأكون مشاركا في الحدث ومتابعا له لحظة لحظة من اليوم الاول وطيلة ايام الانتفاضة إلى توقفها ومن ثم تتبع اثارها وتداعياتها خلال الايام والاشهر التالية، احببت العودة إلى اجواء 12 آذار لأضع بين يد المهتمين انطباعاتي عن الاحداث وهي في ذروة سخونتها، إذ كنت ادون مشاهداتي وملاحظاتي ومعلوماتي ليس لغرض النشر بل لتوثيق حدث وجدته منعطف في تاريخ كوردستان الغربية، كنت اكتب بشكل عفوي تحت ظرف خاص واستثنائي مشحون بانفعالات الغضب والترقب والخوف والحماسة، ولم تخضع رؤيتي للمشهد في 2004 للمراجعة او مؤثرات احداث وقعت في السنين التالية خاصة بعد انفجار الحرب الاهلية السورية 2011، فيما لو حاولت إعادة دراسة هذه الانتفاضة من جديد ربما تتبدل نظرتي إلى بعض جوانبها.

طيلة عشرين عام وإنا متابع مستمر لنادي الجهاد الرياضي فريق كرة القدم لمدينة قامشلو، حيث احضر مبارياته على ملعب المدينة و على ملاعب الأندية الأخرى، أرافقه كمشجع إلى المدن البعيدة، هذه المتابعة الطويلة جعلتني مطلعا عن كثب على شؤون وشجون النادي وجماهيره، و حسب خبرتي به أقول أن الشغب الذي وقع في ملعب قامشلو كان مدبرًا مسبقاً حيث لم تكن أحداث شغب شبيه بالتي تقع عادة في ملاعب مختلفة حول العالم، بل كان شغبًا له خلفية سياسية افتعلته جهات غريبة عن قامشلو وعن جمهور نادي الجهاد وسوف نوضح هذا لاحقا.

في صباح الجمعة 12 آذار2004 اغراني جمال طقس الربيع أن اصطحب طفلي الصغير إلى ملعب قامشلو لمتابعة مباراة نادي الجهاد مع ضيفه القادم من دير الزور نادي الفتوة، وقبيل دخولي الملعب راودني شعور غريب ومبهم جعلني أحس بانقباض في نفسي وحالة ضيق تحولت إلى مخاوف مجهولة حتى الطفل الذي كان يلح أن يرافقني إلى الملعب لم يشعر بالارتياح بل طلب مني العودة إلى البيت، سألته لماذا غيرت رأيك ألم تصر أن تحضر إلى الملعب، قال بلى ولكنني خائف، اعتقدت انه يخاف صخب الملعب وتحشدات المشجعين، سألته إن كان متوترا من كثرة الناس والضجيج قال أخاف من شيء ما لا اعرف ما هو، ربما براءة الطفولة أخبرته أن الأجواء المتوترة في الملعب ومحيطه ليس أجواء ملاعب بل أن مكروها سيقع، أما أنا توقعت في أسوأ الأحوال شغب ملاعب عادي لا أكثر و لا اقل باعتبار مشجعي نادي الفتوة القادمين من دير الزور مشهورين بإثارة أعمال الشغب في الملاعب و ندمت لأنني اصطحبت الطفل معي ولكنني تفاءلت خيرا ودخلت الملعب قبل موعد المباراة بنصف ساعة، وأخذت مقعدًا لي بين مشجعي نادي الجهاد بعيدًا عن مشجعي نادي الفتوة اللذين احتلوا القسم الثاني من المدرج الشرقي تحسبًا لأعمال شغب يقومون بها يتأذى منها الطفل، ولكن على ما يبدوا كنت طيب النية أكثر من اللازم فقد اخذ الجو العام في الملعب يزداد تأزمًا قبل بدأ المباراة وهذه إشارة مهمة بأن التأزم لم يكن بفعل تفاعل الجمهور مع المباراة ولا أجواء التنافس والحماس بين مشجعي الفريقين، بل كان توترات بعيدة كل البعد عن صخب الملاعب التي عايشتها ربع قرن، كان ثمة شعور عام أن شيء ما يدور في الخفاء فقد لاحظ الجميع تحركات مريبة وأمور غريبة يقوم بها أفراد من الجمهور الضيف وهي:

ـ أثناء تجول الجمهور القادم من دير الزور في شوارع قامشلو قبيل دخولهم الملعب تحرش بعضهم بالأهالي واستفزوا الناس بالهتافات القومية والسياسية المتعصبة بهتافهم للدكتاتور المخلوع صدام حسين و رفع صوره وهم يدركون مدى كره الأكراد لهذا السفاح الذي قتل مئات الألوف من إخوانهم على الطرف الآخر من الحدود وما ارتكب هناك بحق القومية الكوردية من فظائع و جرائم.

ـ ملاحظة الجمهور أن أجهزة الأمن المشرفة على ضبط الأمن و الانضباط في الملعب كانت تتشدد في تفتيش مشجعي نادي الجهاد أثناء دخولهم الملعب وتتساهل في تفتيش مشجعي نادي الفتوة، وهذا يثير الكثير من الشكوك حول الجهة التي أوعزت إلى شرطة حفظ النظام للقيام بذلك.

ـ ما إن صعد مشجعو نادي الفتوة المدرجات حتى اخذوا بالتحرش بجمهور الجهاد والاعتداء على بعضهم و استفزاز بعضهم الآخر وترديد هتافات وشعارات تمجد صدام حسين و ترفع صوره، ولم يكتفوا بذلك بل هتفوا بعبارات نابية تسيء للرموز القومية و القيادات الكوردية، حتى لم يسلم من حقدهم البارزاني الخالد ومام جلال وكاك مسعود.

كظم الجمهور الكوردي في ملعب قامشلو غيظه وتحمل وقاحة الضيوف ومشاكساتهم، ولكن الجماعة كانت لها نوايا أخرى وكانت مكلفة بمهمة معينة عليها القيام بها، وكان لا بد من افتعال أي حدث حتى يباشروا التنفيذ، ولأنهم فشلوا في استفزاز الجمهور الكوردي عادوا إلى الإساءة إلى الرموز الكوردية، فلم يتقبل الشباب الكوردي مزيداً من الاهانة، وقام يدافع عن كرامته القومية بالرد على هتافات مشجعي نادي الفتوة من مدينة دير الزور معقل الصداميين التاريخي على الأراضي السورية، بل إنها كانت و ما زالت توالي صدام أكثر من موالاتها للنظام السوري، وهنا كشفوا عن نواياهم الحقيقية فقاموا بفتح ترسانة حقدهم الشوفيني، أكياس.. حقائب و حاويات.. يخرجون منها أسلحة الغدر حجارة.. قطع معدنية.. شظايا الزجاج.. خناجر و سكاكين، وبدأ القصف المدفعي التمهيدي من ناحية المدرج المخصص لمشجعي الفتوة على الناحية المخصصة لمشجعي الجهاد، مطر من الحجارة و السكاكين والبلور والحديد ينزل فوق رؤوس جمهور نادي الجهاد بغزارة...

لم يكن هناك من حسب حساب هذه الغيمة العنصرية فالشارع الرياضي في قامشلو أناس مسالمون متحضرون يأتون إلى الملعب للمتعة و التسلية و الترويح عن النفس ويجلبون معهم أطفالهم وطعامهم و شرابهم على نية حضور مباراة وليس خوض معركة، نزهة لا تحتاج سلاح بل المرح والموسيقا، وحين بدأ القصف العنصري الغادر فوجئ الجمهور الكوردي بمعركة لم يكن مستعداً لها، لم يكن أحدنا يحمل معه حصاة صغيرة ولذلك لم نملك على المدرجات ما ندافع به عن أنفسنا و أطفالنا، لنسكت القصف.

تراجع الجمهور الكوردي وتدافع الناس على المدرجات هرباً من القصف، وحوصرت الجموع في زاوية ضيقة من المدرج، و القذائف تأتيهم من الأعلى بينما شرطة حفظ النظام كانت تعرقل حركة الناس لمغادرة المدرج و تستقبلهم بالهراوات وأعقاب البنادق وكأنهم يريدون أن تقع أكبر إصابات بين مشجعي نادي الجهاد وكشاهد عيان في قلب المشهد صرنا محاصرين بالشرطة من الأسفل وبالقذائف من الأعلى فلم يعد أمامنا معبر للخروج من تحت رمايات الشوفينيين، وأصبحنا أهداف سهلة تحت مرمى قذائفهم، فكثرت الإصابات بيننا وسالت الدماء، وأينما التفت كنت أجد مصاباً، بدأ الأطفال بالصراخ وهم يتساقطون بين أقدام المتدافعين مرعوبين، وتكدست الأجساد على بعضها بعضاً، والقصف مستمر، ارتفعت صيحات وصرخات الجرحى و المصابين والدماء تسيل بغزارة، كنت وسط هذا المشهد المرعب لا أصدق ما يجري أمامي وأنا محاصر بطوفان بشري يدفعني ذات اليمين و ذات الشمال و يقذفني تارة للأعلى وأخرى للأسفل، لم أكن قادراً على التحكم بحركاتي، صرت جزء من كتلة بشرية متلاصقة هي التي تحركني، انضغط جسدي وسط هذه الكتلة وبت أفقد القدرة على الشهيق و الزفير، وصرت بين حالة من الوعي و اللاوعي، وما كان يبقي في جسدي قليلاً من الصمود هو ابني الذي أحمله تحت إبطي واضع رأسه تحت ذراعي لتفادي ضربة تقضي عليه، وكان إلى جانبي شاب قوي البنية وهو يجد الحالة المزرية التي أنا فيها، أراد ان يساعدني في حماية الطفل من هؤلاء الكلاب...

نعم كثير من الشباب و الفتيان جعلوا أجسادهم مظلات لحماية الاطفال وأصيب معظمهم بجروح ومنهم الشاب الذي يحمي طفلي، حيث تلقى قذيفة حجر على رأسه فأخذت الدماء تتدفق منه كصنبور ماء، حاولت إيقاف نزيفه ولكنني تلقيت ضربة في خاصرتي أسقطت الطفل من يدي ليقع بين الأقدام المتزاحمة، فعلت كل ما بوسعي لأنتشل الطفل ولكن لشدة الازدحام لم أستطع غير التقاط طرف إصبعه الذي علق بطرف إصبعي وبقيت منحنياً حتى لا أفقد هذه الوصلة الواهية بيني و بين الطفل الكي أخذ يصرخ برعب و ضيق وانزعاج بابا.. بابا.. بابا أخرجني من هنا إنني اختنق ثم غاب صوته وبرد إصبعه بيدي ودارت الدنيا في رأسي، هل مات الولد؟ ماذا أقول لأمه وجدته وأخته، كيف أسامح نفسي وأنا حملته إلى الموت بيدي؟..

أفكار قاتمة ومشاعر مزعجة حاصرتني ماذا سأفعل إن كان قد مات، هل أنتحر هل أشعل النار في جسدي وألقي بنفسي بين تلك الجموع الغادرة لأحرقها كلها أم أنتزع بندقية شرطي وأفرغ كل رصاصاتها في رؤوس هؤلاء الكلاب، ماذا أفعل ؟؟؟ كنت في هذه الحالة السوداوية وقد نسيت ما يجري من حولي حتى سمعت بعضهم ينادي محذراً، يا شباب العصابة تخرج تخرج المسدسات والبنادق، وهنا لم يبقى أمام الناس من خيارات سوى الموت برصاص الضيوف أو أعقاب بنادق الشرطة أو القفز من أعلى المدرج إلى الأرض، فإما كسر رقبة أو نجاة وهذا أفضل من البقاء تحت القصف المباشر، فأخذ بعضهم يقتحم حاجز الشرطة عنوة ويشق طريقه إلى خارج المدرج والبعض يقفز من المدرج على الأرض، وهذا ما خفف من الازدحام على المدرج، فلم يبقى عليه غير من كان برفقتهم أطفال، انزاحت الكتلة البشرية عني وأنا بدون أمل ممسك بيد الطفل وأول ما قمت به هو انتشاله من الأرض والسير به لمغادرة المدرج قبل أن تصل قذائف أخرى، وأقول شهادة حق أن شرطي ساعدني على نقل الطفل من المدرج إلى حرم الملعب، ربما تعاطف معي لأنه اعتقد مثلما اعتقدت أنا بأن الولد ميت، جلست على الأرض وأنا خائف متردد، الطفل في حجري ومن أين لي الجرأة لأنظر إليه وأتأكد من موته أو نجاته، ومن حسن حظي انه رأف بحالي واصدر أنيناً خافتاً موجعًا ثم سكن من جديد، انكبت عليه بالعناق ثم تفحصت جسده الغض لم تكن عليه إصابات ظاهرة ولكن كل جسده أصبح كدمات زرقاء قاتمة من كثرة دهسه بين الأقدام، وبعد قليل أخذ يسترد وعيه، وفيما بعد أصيب بإعاقة عقلية خفيفة لان رأسه تعرض للدهس الشديد، فيما بعد قال الاطباء انه بسبب ما تعرض له اصيب بعقدة الاضطهاد.

الشرطة أو القفز من أعلى المدرج إلى الأرض، فإما كسر رقبة أو نجاة وهذا أفضل من البقاء تحت القصف المباشر، فأخذ بعضهم يقتحم حاجز الشرطة عنوة ويشق طريقه إلى خارج المدرج والبعض يقفز من المدرج على الأرض، وهذا ما خفف من الازدحام على المدرج، فلم يبقى عليه غير من كان برفقتهم أطفال، انزاحت الكتلة البشرية عني وأنا بدون أمل ممسك بيد الطفل وأول ما قمت به هو انتشاله من الأرض والسير به لمغادرة المدرج قبل أن تصل قذائف أخرى، وأقول شهادة حق أن شرطي ساعدني على نقل الطفل من المدرج إلى حرم الملعب، ربما تعاطف معي لأنه اعتقد مثلما اعتقدت أنا بأن الولد ميت، جلست على الأرض وأنا خائف متردد، الطفل في حجري ومن أين لي الجرأة لأنظر إليه وأتأكد من موته أو نجاته، ومن حسن حظي انه رأف بحالي وأصدر أنيناً خافتاً موجعاً ثم سكن من جديد، انكبت عليه بالعناق ثم تفحصت جسده الغض لم تكن عليه إصابات ظاهرة ولكن كل جسده أصبح كدمات زرقاء قاتمة من كثرة دهسه بين الأقدام، وبعد قليل أخذ يسترد وعيه، وفيما بعد أصيب بإعاقة عقلية خفيفة لأن رأسه تعرض للدهس الشديد، فيما بعد قال الأطباء إنه بسبب ما تعرض له أصيب بعقدة الاضطهاد.

تم إخلاء المدرج من الناس بعد ان تحول إلى لوحة سريالية مرسومة بلون احمر، نظر الناس إلى بعضهم بعض، ليس هناك شخص واحد غير ملطخ بدمه أو دم قريبه أو ابنه أو صديقه، اللون الأحمر يغطي الجميع، الكل ثيابهم ممزقة الكل فقدوا حاجاتهم الشخصية الكل مصابون بجروح، الكل في ذروة الغضب، أشيع خبر وجود قتلى مما زاد من هياج الناس، فأخذ جمهور قامشلو يرد الاعتداء ويهاجم عصابة دير الزور، بعد أن تسلح الناس بحجارة الملعب، وحين طوق الكورد عصابة الدير تدخلت شرطة حفظ النظام ليس لفض الاشتباكات وتفريق الناس و فرض النظام بل وقفت علانية و بشكل سافر إلى جانب العصابة القادمة من دير الزور، وأخذت تضرب أبناء قامشلو بالهراوات وأعقاب البنادق، وهذا ما أدى إلى خروج الأمور عن السيطرة، فالإنسان مهما كان واعياً أو متسامحاً لا يستطيع التحكم بأعصابه إلى ما لا نهاية، وهو مقتنع أنه يتعرض للإهانة والاعتداء دون مبرر، هنا يصبح التسامح تهاون وتفريط بالكرامة وليس من طبع الشخصية الكوردية التفريط بالكرامة وتحمل العدوان...

طالب جمهور قامشلو بالقبض على عصابة الدير التي اعتدت على الناس للتحقيق معها ومعرفة هويتها ودوافعها والجهة التي كلفتها بافتعال أعمال الشغب، ولكن كالعادة السلطة المختصة تأخرت عن التدخل في الوقت المناسب وحين تدخلت كان التوتر و الاحتقان قد بلغ مبلغاً خطيراً، وكان تدخلها تدخل غير حكيم وغير مدروس حيث لم تستشف مقدار الغضب الذي سيطر على الناس ولم تحسب حساب أن أي تصرف أرعن منها تجاه عشرات الألوف الهائجة قد يشعل ثورة، لأن سلوك الإنسان في حالة

الهيجان الشديد يتحول إلى سلوك غريزي – فطري عنيف غير خاضع لسلطة العقل، ولذلك يجب توقع أسوأ فعل يقدم عليه الإنسان وهو متوتر، وكان على أجهزة الأمن تجنب استفزاز الجمهور بكلمة أو سلوك أو فعل يزيد من هياجه ويدفعه إلى التحرك..

لم تعمل السلطات الأمنية على تهدئة وتخفيف التوتر ولم تستمع إلى جمهور قامشلو، بل تعاملت مع الجموع الغاضبة بمنتهى الغباء حين انحازت بسفور إلى جانب العصابة الآتية من دير الزور، وأدى ذلك إلى انفجار بركان الغضب الكوردي، زلزال يرفض الإهانة ليتحول الاشتباك بين العصابة الديرية و الكورد إلى اشتباكات بينهم وبين الشرطة، حين اكتشفوا أن السلطات تقف مع الجناة وتحاول حمايتهم و إنقاذهم وتهريبهم إلى مدينة الحسكة في سيارات حكومية لطمس معالم الجريمة ومنع كشف خيوطها والجهات التي تقف خلفها، وحين اكتشف الناس تواطئ السلطة بدأت الصدامات بينهم وبين الأجهزة الأمنية المختلفة التي لم تتأخر في استخدام السلاح الحي لضرب مواطنين عزل لم يطالبوا بأكثر من القبض على الجناة و تقديمهم للمحاكمة.

خرجت الاحتجاجات من إطار الملعب إلى الشوارع المجاورة وتحولت سريعا إلى انتفاضة، حين استخدمت الأجهزة الامنية العنف المفرط ضد المحتجين، وانتشار انباء عن سقوط قتلى، والسؤال الذي يحير الجميع هو كيف تحول شغب ملاعب إلى مجزرة.

كان بمقدور سلطات محافظة الحسكة احتواء الموقف وحصره في إطار شغب ملاعب، وتطويقه ضمن نطاق الملعب، فيما لو تعاملت بمرونة مع جموع غاضبة، لولا ان كل ما حدث كان مدبرا بالأصل، ولم يكن شغب ملاعب بل شغب سياسي شوفيني عنصري قامت به جهات في السلطة السورية على مستوى العاصمة والمحافظة بالتعاون مع أنصار صدام حسين من السوريين و العراقيين، وتولى المجرم سليم كبول محافظ الحسكة وقتذاك الاشراف المباشر على تنفيذ العملية، إذ بعد توسع نطاق الاحتجاجات إلى المدينة وتحولها إلى مظاهرات عارمة، سمح كبول لقوات الشرطة بإطلاق الرصاص الحي على المحتجين، حيث امر بالقول (اقتلوا هؤلاء الكلاب) لذلك كانت السلطة تحاول بشتى الوسائل وبسرعة طمس الجريمة وتصويرها على انها مجرد شغب ملاعب، اما العصابة القادمة من ديرالزور والتي اشعلت الشرارة باعتدائها على جمهور نادي الجهاد، فقد توارت عن الانظار حيث قامت اجهزة الاستخبارات السورية بنقلها إلى مدينة الحسكة ومن ثم إلى ديرالزور.

ويجدر الاشارة إلى ان إذاعة دمشق لعبت دورًا غير متعمد في إثارة الجمهور الكوردي و تأجيج الأوضاع حين أعلنت على الهواء مباشرة نبأ وقوع الأحداث في ملعب قامشلو لاعتقاد القائمين عليها بأن الأحداث مجرد شغب ملاعب عادي، وتم الحديث عن الإصابات وعن وجود قتلى، وهذا ما دفع بكل كوردي في سوريا إلى السؤال عما يجري في قامشلو، لأن مشجعي نادي الجهاد لا يقتصرون على أبناء المدينة فحسب بل كذلك أبناء مختلف مدن وارياف كوردستان روزئافا، الذين يجدون في نادي الجهاد فريقهم القومي، و يأتي آلاف المشجعين من عامودا تربة سبي ديريك درباسية تل كوجر الحسكة وسري كانيية إلى قامشلو لحضور مباريات النادي وتشجيعه، ومن لا يحضر يتابعون المباراة على الهواء مباشرة من إذاعة دمشق التي تخصص برنامج لتغطية مباريات دوري كرة القدم للأندية السورية، وهذا ما يبقي المستمعين في مدنهم و قراهم على تواصل مع مجريات الامور في الملاعب، وحين سمع الأهالي عن أعمال شغب وجرحى و قتلى في ملعب قامشلو تقاطروا إلى الملعب من المدينة وخارجها، للاطمئنان على ابنائهم واهاليهم ممن حضروا إلى الملعب، وكل اعتقادهم إن المسألة شغب ملاعب اعتيادي، لكن ساعة وصولهم فوجئ الجميع بالمجزرة وشاهدوا بأعينهم الدماء النازفة وعرفوا الحقيقة، جرحى وقتلى وصدامات مع الأجهزة الامنية وأزيز الرصاص يسقط مزيدًا من الضحايا، في تلك اللحظة نسي الناس البحث عن ذويهم والاطمئنان على سلامتهم ليشاركوا إخوانهم محنتهم دفاعًا عن كرامتهم وحياتهم، لتتسع حركة الاحتجاج وتتأزم الأحوال داخل الملعب وخارجه، وجموع الناس تتزايد وتتقاطر إلى قامشلو وملعبها، وهم يطالبون بالقبض على عصابة دير الزور ولكن المجرم كبول كان مصرًا على فتح معركة مع الشعب الكوردي برفضه الاستجابة لمطلب المتظاهرين وإصداره الأوامر باستخدام الرصاص ضدهم مما زاد من فورة الغضب لتقع أحداث عنف بين الأجهزة الأمنية وبين الشباب الكوردي الأعزل وتسقط وجبة جديدة من الضحايا قتلى وجرحى بينهم أفراد من عصابة الدير الزور فشلت الأجهزة الأمنية في تهريبهم إلى الحسكة.

ساءت حالة طفلي فرجعت إلى عامودا قبيل المغيب، تركت المدينة وهي أشبه بساحة حرب وبقيت في حالة من الفوران والغليان حتى ساعات متأخرة من الليل، انتشر خبر الأحداث والمجزرة في المنطقة و داخل البلاد وخارجها بفضل وسائل الاتصال والإعلام الحديثة والفضائيات، وأصبحت ملايين القلوب معلقة بقامشلو عروسة كوردستان المذبوحة، الجميع يتابعون الأخبار لحظة بلحظة لم يعرف كوردي واحد النوم أو الراحة تلك الليلة الرهيبة، أجهزة الهاتف لم تتوقف عن الرنين، الاتصالات لم تنقطع بين الكورد في المهاجر وفي أجزاء كوردستان الأخرى، الكل يستفسرون عن مجريات الأحداث وتطورات الأمور وهم متلهفين على سماع أي نبأ جديد عن عروستهم المغدورة .

كانت المخاوف أن يقدم النظام تحت جنح الليل على أعمال قمع وحشية بحق قامشلو وأبنائها من قتل وتصفية واعتقالات وتدمير، فالذاكرة الكوردية تختزن صور قاتمة من هذه المآسي، عمليات إبادة مقابر وجماعية ارتكبتها حكومات دول السيطرة بحق القومية الكوردية، فما يمنع السلطة السورية عن الإقدام على عمل مماثل، وهو الوحيد من بين حكومات دول السيطرة الذي لم يرتكب إبادة جماعية بحق الكورد، في ليلة 12 على 13 آذار تذكر الكورد مأساة حلبجة وخافوا أن تتكرر في قامشلو، ماذا بوسعهم أن يفعلوا فيما لو أقدم النظام السوري على حماقة كهذه، في تلك الليلة لن تهدأ القومية الكوردية في الشرق الأوسط ولا في العالم ولم يتركوا جهة دولية أو حكومة في عواصم القرار الدولي إلا واتصلوا بها وحذروها من مغبة إقدام حكام دمشق على عمل غير مسؤول تجاه قامشلو، مضت تلك الليلة ونحن كلنا ساهرون وجاء صباح 13آذار ولا احد منا يعرف كيف انتهت الليلة الماضية، ونتيجة التوتر الشديد الذي ساد الشارع الكوردي برزت الاحتقانات والتراكمات السابقة لتشتعل دفعة واحدة.

يمكن القول أن الانتفاضة في يومها الأول الجمعة الدامية كانت ردة فعل طبيعية على المجزرة ولكن في الأيام التالية السبت وما تلاه فأنها تحولت إلى فعل سياسي منظم، فقد تدخلت أحزاب الحركة الكوردية في الانتفاضة العفوية وكانت هذه أول تجربة لها في قيادة فعل شعبي ميداني بهذه الضخامة وهذا الاتساع، ولم تنجح في إدارة الانتفاضة بالشكل الأمثل ربما لضعف قادتها وترددهم واختلاف مواقفهم من الانتفاضة بين داع لإيقافها فورا واعتبارها تحرك صبياني، وبين من اعتبرها انتفاضة ولكنه لم يعرف كيف يقودها، لقلة الخبرة ولافتقار الشعب إلى ثقافة التظاهرات و الاحتجاجات.

لم تقتصر سياسة التمييز العنصري التي يطبقها النظام السوري بحق القومية القومية الكوردية على الصعد الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية بل طالت حتى الجوانب الثقافية الرمزية والمعنوية، ومن صور هذا التمييز ان السلطة تمارسه تجاه الكورد حتى في حقل الرياضة، فالمنطقة الكوردية تكاد تكون محرومة من البنية التحتية اللازمة لمختلف النشاطات الرياضية والألعاب، والقليل الموجود لا يكفي الحاجة، وهو ثمرة جهود ذاتية أكثر ما يكون جهد حكومي إضافة إلى حرمان المنطقة الكوردية من المنشآت الرياضية فان السلطة تمارس التمييز في المعاملة بين الأندية الرياضية المحسوبة على الكورد وبين الأندية الأخرى في سوريا، وكثيرا ما يتعرض نادي الجهاد الفريق المحسوب على الكورد للإجحاف والاضطهاد، لان الرياضة في سوريا مسيسة، حيث تمنح الافضلية للفرق العربية على حساب الفرقة الكوردية هذا من جهة ومن جهة اخرى تعطى الافضلية للفرق العلوية ثم فرق العاصمة ثم فرق المدن الاخرى، تبعا لهذه السياسة الشوفينية يتم محاربة نادي الجهاد بشتى الوسائل والطرق، الإهمال والعقوبات، توجيه حكام المباريات إلى التلاعب بمبارياته مع الفرق المنافسة ودفعه إلى الخسارة، حرمان لاعبيه من اللعب ومعاقبتهم، وممارسة الضغوط المالية والنفسية على النادي ولاعبيه، والعمل على شطب نقاطه للهبوط به إلى درجات ادنى، واجبار اللاعبين على التخلي عن ناديهم واللحاق بالأندية المدعومة في العاصمة أو الساحل .

يذكر ان الاتحاد الرياضي العام في سوريا، عبارة عن جهاز سلطوي يعين بقرار سياسي ويأخذ التوجيهات من قيادات النظام الحاكم، وحيث انه يطبق سياسة عنصرية عامة ضد الكور فإنه يصدر توصيات إلى السلطة الرياضية بمحاربة الاندية الكوردية وعرقلتها ومنعها من تحقيق اي انجاز رياضي، وفي هذا الصدد هناك تضييق كبير على نادي الجهاد الذي يتم عرقلته ومنعه من الحصول على اية القاب رياضية، بهدف دفعه إلى الانحلال والزوال، وما ذكرته هو غيض من فيض بخصوص المظالم التي يعاني منها نادي الجهاد الرياضي بأوامر من السلطات السياسية، هذه المظالم جعلت محبي النادي ومشجعيه يشعرون بالاسى والغبن، ويمكن القول انها تحولت إلى تراكمات مختزنة في الذاكرة الجمعية لجمهور نادي الجهاد، اضيفت إلى حالة السخط العام من نظام شوفيني ـ عنصري، لتنفجر كل هذه التراكمات تعبيرا عن سخط الشارع الكوردي من سوء معاملة السلطة له وحتى لأنديته الرياضية .

ماذا جرى في ملعب نادي الجهاد، من قتل الشبان المحتجين، يعرف عن الشارع الرياضي في قامشلو بأنه أكثر جمهور رياضي في سوريا يمتاز بوعي عال وثقافة رياضية راقية وروح متسامحة وجمهور مسالم، ونادراً ما يقوم بأعمال شغب في ملعبه أو ملعب الخصم، ولم يحدث انه ارتكب تجاوزات بحق النادي الضيف والمشجعين المرافقين له، في 12 آذار2004 حضر جمهور نادي الجهاد إلى الملعب كما يحضر أية مباراة للمتعة و الإثارة وتشجيع ناديه، وكالعادة أحضر الناس معهم أطفالهم، ولو كانت لدى الكورد نية مبيتة لإثارة أعمال شغب ما كانوا غامروا باصطحاب صغارهم إلى ساحة يعرفون إنها سوف تتحول إلى أرض معركة هذا من جانب، ومن جانب آخر لو كانت في نية الكورد إشعال معركة ما كانوا دخلوا الملعب وهم عزل من السلاح، ولهذا فإن محاولات توجيه الاتهام إلى الكورد بأنهم من بدأ بإثارة أعمال الشغب وإشعال فتيل الأحداث هي محاولة مضحكة، الغرض منها التستر على المجرمين الفعليين اللذين خططوا للجريمة مسبقاً، وأستطيع الجزم أنه في الساعات الأولى من الأحداث لم يكن لأي جهة سياسية كوردية علاقة بالأمر، بدليل ان أحزاب الحركة الكوردية دون استثناء تفاجأت وأصيبت بالاضطراب والذهول ولم تدرك كيف تتعامل مع حدث ضخم لم تكن تتوقعه، بكلام آخر الأحزاب كانت آخر من يعلم، فلو كانت الانتفاضة من تخطيط الأحزاب لكانت مستعدة لها وتعمل على قياداتها منذ البداية، ولكن لم أجد حزباً انبرى ليتولى القيادة، وهذا يعني ان الاحتقان والتوتر في الملعب لم يكن مصدره الجمهور الرياضي لنادي الجهاد ولا الكورد ولا الأحزاب الكوردية.

ما حدث هو ان جمهور قامشلو الرياضي فوجئ بانه يتعرض دون سبب لاعتداءات سافرة داخل ملعبه، ما أدى إلى تسارع الأحداث التي لم تترك للكوردي خيارات كثيرة بل فرضت عليه أن يتحول من موقع المفعول به إلى موقع الفاعل، ربما لأن الحدس الشعبي أحس بشيء غير طبيعي يجري على الأرض، وما ان تحرك الكوردي للدفاع عن نفسه أفصح المجرمون القادمون من دير الزور عن نواياهم وأهدافهم، وتبين انهم تحت حماية شرطة النظام، لم يبقى أمام الكورد سوى الرضوخ للأمر الواقع وخوض معركة فرضت عليهم فرضاً، للدفاع عن أنفسهم وحماية أطفالهم وصون كرامتهم القومية، الجميع قرروا التحدي، توحدت الإرادة المشاعر والمواقف لدى كافة فئات الشعب الكوردي، من نساء ورجال وكبار و صغار و أحزاب إلى زعامات اجتماعية، وما يثير الاهتمام أن البعض من المواطنين الكورد اللذين كانوا محسوبين على النظام قد استيقظ ضميرهم ودبت في عروقهم دماء الكورديايتي ليقفوا إلى جانب أبناء جلدتهم متضامنين قولاً و فعلاً، الطعنة الأثمة ايقظت الحجر فكيف لا تحرك نخوة البشر، انخرطت هذه الفئة في حركة شعبها ونسيت امتيازاتها ومصالحها الخاصة التي نالتها من وراء تبعيتها للسلطة، لتشارك في رفض الظلم و القهر بعد ان طفح الكيل وما عاد بوسع الكوردي تحمل المظالم أكثر، رفض الكوردي مهما كان اتجاه انتمائه فظاعة الجريمة، حيث طغت عاطفته القومية والإنسانية على الاعتبارات الأخرى، وهذا يفسر كيف تحولت الأحداث بسرعة كبيرة إلى فيضان بشري يجري في شوارع قامشلو.

في المساء انتزع الكورد زمام المبادرة من العصابات الشوفينية والعنصرية، وشعر النظام انه اخطأ الحساب ودخل في ورطة لا يعرف الخروج منها، وتأكد له ذلك في صباح 13 آذار حين خرج الكورد في كل مكان للتضامن مع قامشلو، وعبر الشعب عن إرادته فيما عجزت سلطات النظام عن التحكم في سير الأحداث، إذ كان جواب الكورد قوياً سريعاً وغير متوقع، أربك الجهات التي دبرت جريمة ملعب قامشلو فلم تعرف كيف تخرج نفسها من ورطة أكبر من حجمها دون أن تدفع ثمناً باهظاً لمغامرة غير مدروسة.

من هي الجهات المجرمة التي قتلت إخواننا في محيط ملعب قامشلو و زرعت الأسى في قلوب أمهاتنا وذكريات قاتمة لن تفارق مخيلة كل طفل كوردي كان موجوداً في الملعب، الاجابة تحتاج إلى لجنة تحقيق دولية، ولا أظن ان النظام سوف يسمح بذلك، ولكن استنتجت ـ بتحفظ ـ من مشاهدات مباشرة ومعلومات وأحاديث سمعتها من عشرات الشبان في محيط الملعب ومن موظفي بشركة النفط والغاز جنوب مدينة الحسكة، ان النظام السوري أوجد شبكة إجرامية خصوصاً لتنفيذ هذه العملية:

ـ جهات في السلطة السورية بمحافظة الحسكة وبالعاصمة دمشق، مسؤولين سياسيين و إداريين و أمنيين.

ـ عناصر موالين لصدام حسين من العرب السوريين من سكان محافظة دير الزور بالإضافة إلى عراقيين من فلول فدائيي صدام الهاربين من الفلوجة إلى سوريا.

ـ عناصر إرهابية مجهولة الهوية.

تقاسمت أطراف العصابة الأدوار، عناصر من النظام السوري تولوا عمليات التخطيط وتوفير الظروف المناسبة للمنفذين للقيام بالعملية دون عراقيل "دعم اللوجستي" من تسهيل حركة المجرمين للتنقل مع أسلحتهم من مواقعهم إلى قامشلو وتسهيل دخولهم الملعب دون تفتيشهم، ومن التدخل الميداني لمساعدتهم إن كشف أمرهم أو فشلوا في القيام بالمهمة، أو إنقاذهم في حال الضرورة و الطوارئ.

أما المنفذون فهم العصابة التي جاءت مع جمهور نادي الفتوة من دير الزور و تسللت إلى الملعب تحت قميص الرياضة وهم شراذم الصدامين العراقيين و السوريين، وكانت الخطة أن يقوم هؤلاء باستفزاز جمهور قامشلو من خلال التحرش بالمواطن الكوردي والاعتداء عليه والإساءة إلى رموزه القومية لافتعال مشاجرات وأعمال شغب توفر ذريعة لتنفيذ الجريمة الحقيقية التي كلفوا للقيام بها لتكون مبرراً لارتكاب أجهزة النظام عمليات قتل بحق الشبان الكورد.

افتقدنا إلى قادة حقيقيين..

نارين عمر

- ماذا عن أحوال أبناء شعبنا قبل وبعد الانتفاضة؟

كما هي العادة لدى شعبنا منذ آلاف السّنين، تحوّلت الانتفاضة إلى ما نستطيع أن نسميها بازاراً علنياً، تمكّن بعض الأشخاص والأحزاب والجهات من استغلالها والمتاجرة بها، وبذلك حققوا انتصارات وأمجاداً لم يكونوا يحلمون بها، بينما ظلّ معظم الذين ضحوا، وناضلوا، وقاوموا في الخفاء والتّعتيم الإعلامي، وحتى الشّهداء والجرحى منهم لا نتذكرهم إلا مرّة واحدة بالعام الواحد.

- لماذا لم تنبثق مؤسسة للعناية بضحايا الانتفاضة : جرحاها وأسر شهدائها؟

أعتقد أنّ جواب هذا السّؤال مدفون في ذاكرة ووجدان الأحزاب الكردية والشّخصيات والجهات الأخرى التي تبنّت الانتفاضة والتي كانت هي حينها الممثّل الشّرعي لشعبنا، وكانت هي صاحبة المؤسّسات والمنظّمات، أمّا بالنّسبة إلى منظّمات المجتمع المدني فكانت قليلة، وحتى لو وجدت لا أظنّ أنّها كانت ستفعل شيئاً مهماً، فها هي الآن تعمل منذ أكثر من عشرة أعوام ولا يوجد فارق كبير بين عملها وعمل الأحزاب.

- استطاعت الانتفاضة أن توحد أبناء شعبنا : لماذا هذا التشتت الذي آلينا إليه؟

لأنّ الأحزاب والشّخصيات التي تسير في ظلّها سيطرت على الموقف، وظهر من جهة أخرى أشخاص ليس لهم أية علاقة بهذه الأحزاب صاروا شركاء لها في السّيطرة على الموقف، وأولياء أمور الشّعب وحماتهم، فكما استطاعوا أن ينتزعوا صفة الانتفاضة ممّا جرى استطاعوا أن يعيدوا الشّعب الموحّد إلى خانات التّشتت والضّياع.

- أين مدونة الانتفاضة؟ أين ما كتب عنها وما وثق ليومياتها وتفاصيلها؟

علينا أن نحوّل هذا السّؤال أيضاً إلى أولي أمر الكرد حينذاك الذين قادوا البلاد والعباد.

- ماذا عن مذكرات المعتقلين : أيعقل أنه لم تصدر لأحد من هؤلاء مذكراته.

بكلّ تأكيد دوّن معظمهم مذكّراتهم، أو دوّنها غيرهم عنهم، ولكن السّؤال هو:

إلى من سيسلّمونها؟ من هي الجهات التي ستتبناها وتنشرها وتوصلها إلى الجهات المعنية أو إلى الرّأي العام الكردي والعربي والعالمي؟

من سيسمعهم أو يستمع إليهم؟ بعض هؤلاء ابتعدوا عن السّاحة واختلوا بنفسهم وباتوا يتجنّبون تذكّر تلك المرحلة أصلاً.

- إلام تعيد سبب سرعة حماسنا وتفاعلنا مع أي حدث كبير إلا أننا نفتقد لأدوات ديمومة هذا الحماس والتفاعل؟

أعتقد أن سبب ذلك يعود إلى افتقادنا نحن الكرد إلى قادة حقيقيين، وحماة مخلصين ومناضلين، مستعدين لحمايتنا والسّير بنا إلى مراكب النّصر والسّلام مهما بلغت التّضحيات. مع الأسف الشّديد ما نزال نفتقر إلى مثل هؤلاء القادة والمناضلين ليس في الأحزاب الكردية فحسب، بل وفي منظّمات المجتمع المدني والمشهدين الثّقافي والأدبيّ كذلك. هذا لا يعني أنّ شعبنا يفتقر إلى أمثال هؤلاء، بل بسبب الأشخاص والجهات التي تكون نائمة في قنّ الخوف والجبن والخشية في أيّام الظّلم والاضطهاد والخوف، ويظهرون بشكل مفاجئ وفجائي في أيّام الثّورات والحروب والانتفاضات، يمتطون مراكب الاستغلال والانتهازية ومسح الجوخ، وأوّل ما يفعلون أنّهم يحاربون المناضلين والمخلصين الذين ضحوا بكل شيء من أجل شعبهم، ويبعدونهم عن السّاحة، ويتسلّمون هم زمام الأمور، وهم بالأصل يفتقرون إلى شروط السّياسة والرّيادة فإنّهم يرجعون شعبنا وقضايانا سنوات ضوئية إلى الوراء، ويحرموننا من اللحاق بسبل ديمومة الحياة الموصلة إلى الحرّية والعيش الكريم.

الحقائق تقول نحن من خرب إنجازات انتفاضة قامشلو

د.عبدالرزاق تمو

يتحدث ابن خلدون حول العبر التي يستخرجها الإنسان من التاريخ و لكن هل فعلاً لنا هذه القدرة على الاعتبار. كل ما عاشته الأجيال الكوردية في سوريا من أحداث قاسية منذ قرن حتى انتفاضة قامشلو 2004 حتى قيام الثورة السورية هل استطاعت النخب أن تهتدي به؟ انهيار بعض الدول و تقسيم فلسطين و سقوط صدام حسين و سنوات الجمر التي عاشتها الحركة الكوردية و الديمقراطية في السجون و المهجر و كل الحركات الاجتماعية و الحالة السورية بكل فصولها و المصير التراجيدي لرؤساء مثل القذافي و مبارك و بن علي...كلها صفحات مفتوحة لمن يريد و يعرف كيف يقرأ. السياسة لعبة خطرة و أول الضحايا من يتوهمون العصمة المزيفة التي يمنحها بروتوكول القيادة السياسية.

للاسف عند الحديث عن انتفاضة قامشلو بعد سبع عشرة عاما نجد أخطاء قاتلة بحق الشعب الكوردية بكل أطيافه وهي ليست خطأ واحدا، بل أخطاء مهلكة هي التي قادتنا إلى هذا المصير المؤلم المطروح في أسئلتكم وهي التي حشرت اليوم الشعب الكوردية في الجزء الكوردستاني الملحق بسوريا بين البربرية والاحتلال.

ما هي هذه الأخطاء القاتلة التي قادت إلى هذا المصير المهلك ؟

أولا: التساهل المروّع والإفراط الشنيع بمعايير السلوك السياسي وأخلاقياته والتعامل الساذج مع جيل من الشباب كسر حاجز الخوف ويملك مؤهلات متنوعة تمكنه من بناء مجتمع كوردستاني حر في سوريا.

ثانيا: إن كل حركات المعارضة والمقاومة في العالم تعمل على استقطاب عناصر من الجيل القديم ولكن ضمن معايير وحدود وتخصص لهم مسؤوليات محددة، فليس من المعقول أن يتحول مسؤول حزبي عفا عليه الزمن في حزب ما إلى ممثل جديد في هيئة ثقافية أو حقوقية أو مدون يتحدث عن ارث الانتفاضة اومسؤول في مؤسسات المجتمع المدني و العناية بضحايا الانتفاضة.

في الحالة الكوردية السورية تحول كل مسؤولي الأحزاب السياسية إلى عناصر قيادية في كل الأطر العليا التي تهتم بما بعد الانتفاضة مما سهل على اهمل كل منجزات انتفاضة قامشلو بحكم تكوينهم السياسي والحزبي والنفسي والمهني والقبلي للتعاون مع أي طرف يؤمن بقاءهم في أماكنهم الحزبية من جديد تحت أي شعار ملفق.

ومن مبدأ المصارحة والمكاشفة في هذه اللحظات الحرجة أن نشير إلى الدور الخطير الذي قامت به الأحزاب الكوردية في سوريا والكوردستانية في إعادة تأهيل ودمج عناصر النظام الأسدي بعد انتفاضة قامشلو 2004،حيث أصبح هؤلاء جزءا من التشكيلة القائمة اليوم الداعمة لجهود الحرب على الشعب الكوردي وكان هذا أحد مبررات دمجهم وتسويقهم في مواقع حساسة. وهذه هزيمة علنية أخرى لقوى قومية تسمي نفسها في أدبياتها قوى كوردستانية.

ثالثا: الخطأ القاتل الثالث هو أيضا متعلق بهذا التساهل الخطير الذي وصل إلى مرتبة الجريمة السياسية بناء على نتائجه المدمرة هو: فقدان أو غياب المرجعيات السياسية والأخلاقية والثقافية في الإعلام الحزبي بحيث مكن هذا التساهل كل من خرج من الأحزاب الكوردية بدون كفاءة أو قدرة أو موهبة أو ضمير سياسي أو أخلاقي من أن يشارك في الشأن العام بدون علم وبسلوك سوقي، الأمر الذي سهل على هذه العناصر التي كان النظام يرعاها، من نقل تقاليد السلطة إلى قمة قيادة أحزابنا الكوردية في سوريا وتمزيق صفوف الأخيرة في الفتن والمحن وإثارة الغبار والمشاكل التافهة لغرض زج القوى السياسية الكوردية والطاقات الفكرية في معارك ثانوية وهامشية.

رابعاً: النخبة السياسي التي تتسم بالانتهازية والبراغماتية والغوغائية والسطحية السياسية، وهذه البنية هي التي تمد الجسور اليوم مع قوى الداعية للحرب والاحتلال، وهي التي تقف طوال تاريخها على الطرف النقيض بل العدو للمشروع القومي الكوردستاني في التغيير وشكلت كابحاً مخففاً لكل الاندفاعات الشعبية رغم كل تبجحات هذه القوى في تبني مشروع التغيير. وفكرة التغيير عندها تعني البقاء في مواقعهم الحزبية.

خامسا: كانت هناك منذ عشر سنوات رؤية ومطالبة ومنذ وقت مبكر نسبيا بإعادة نظر في السلوك السياسي الكوردي وفي ميراثه وفي اللغة وفي الثقافة وفي الفكر والعقلية ...الخ ...الخ.، لكن هذه الدعوة جوبهت بقوة وقسوة ووحشية سواء من الأحزاب التقليدية، أو من قبل الأحزاب التي جاءت بعد قيام الثورة السورية 2011.

سادسا: إن الذين قاموا بعملية قمع فكرة المراجعة وإعادة النظر وتغيير المفاهيم وخلق مرجعيات جديدة هم فعلوا ذلك لأسباب مختلفة وهم ليسوا جماعة واحدة. ولكن اهمهم عناصر النظام السوري (الأسدي) التي قاومت فكرة تغيير قواعد وقيم السياسة الكوردية في سوريا لأنها تعرف أن أية مرجعيات جديدة وحقيقية ستبعد رجالها عن حقل المشاركة السياسية كزمر قائدة وليس كقوة محتلة لجزء من كوردستان وهي تريد أن تقود مرة أخرى. لذلك فهي في رفضها لفكرة المراجعة الشاملة الفكرية والسياسية والثقافية إنما تعلن أنها تقاومها حفاظا على (المصلحة الوطنية) وصيانة للتقاليد وهذا كذب وهراء ونفاق مفضوح.

فهذه العناصر هي أبعد ما تكون عن المشروع الكوردستاني وهي كما أثبتت الأيام ورغم فوات الأوان إنها عناصر مرتزقة قلبت الطاولة على القوى السياسية الكوردي التقليدية التي تدفع اليوم ثمن تساهلها المروع والخطير والذي لا يقل خطورة عن خطأ وهي جريمة توحي الى تحالفها مع النظام الأسدي.

سابعا: وهذا الخطأ هو الآخر من الأخطاء الفادحة.

خطأ فقدان الذاكرة السياسية.

أي أننا في كل مرة وفي كل حقبة نجد أنفسنا أمام نفس المشاكل بدون حل وهي مشاكل صارت دورية ومزمنة وعصية وفي نفس الوقت حلتها البشرية عبر طرق عديدة مثل قضية الحرية والسلطة والقانون والدولة والأقليات والحقوق..الخ.

وهذا، وأيضا، نتيجة إجهاض فكرة إعادة النظر والمراجعة لأن القادة السياسيين لدينا كما ثبت بالتجربة غير قادرين على قيادة مشروع تغيير وطني جوهري لذلك ظلت المشاكل التي كان يجب أن تحل منذ عقود تركض أمامنا في كل حقبة.

ثامنا : وهو من الأخطاء المهلكة التي قادت إلى استبعاد الشباب والمثقفين وأصحاب المؤهلات من العمل السياسي بل الكفر بهم هو: ثقافة الوصم والتخوين وقد برعت في هذه الثقافة أحزابنا السياسية (على مر تاريخها!) حتى وصل عدد من شملهم هذا المنهج السلطوي نصف سكان كوردستان سوريا بل أكثر.

وهذا الخطأ البنيوي الشنيع، وقد قدم بهذا الشكل خدمة مجانية للسلطة الأسدية، هو خطأ منهجي مزمن في تقاليد هذه القوى، قاد إلى شيوع عدمية سياسية وعبثية أخلاقية ولامبالاة ونزعة الهرب من العمل السياسي لأن كثيرين وجدوا أنفسهم على غير توقع أمام سلطة أخرى ثانية تحاكم وتوصم وتحذف وتعاقب وتصدر قرارات..الخ.

وكان يمكن لمراجعة شاملة لما جرى في انتفاضة قامشلو أن تقود نحو تجديد الهوية ونحو خلق ذات أخرى بعيدا عن التبجح والازدواجية ومراجل ثقافة ذكورية لم تنتج إلا الجبن، ولم تجلب إلا الاحتلال.

للاسف شعارنا الدائم هو نحن، أولا، نحن أخيرا....لكن الحقائق تقول نحن من خرب إنجازات انتفاضة قامشلو مرة أخرى، ولن نعيد النظر، حتى بعد المحرقة الحالية و القادمة، لا في المشروع الوطني الكوردستاني ولا حتى في مشروع دواجن .

الرحمة لأرواح شهداء انتفاضة قامشلو 2004.

الذكرى السابعة عشر
لانتفاضة الثاني عشر من آذار 2004

صديق شرنخي

نشكر موقع ولاتي مه و جريدة بينوسا نو لمبادرتهم في تخليد يوم كوردي لا أعتقد انه سيتكرر يوماً بهذا العمق والشمولية والشموخ, يوم تفاعلت فيه كل خلية في جسم كل كوردي من اقصى قرية في عفرين إلى أقصى قرية في درك وفي دمشق وحلب وكل من عرف نفسه انه كوردي ع أرض كوردستان سوريا, يوم تحقق فيه الحلم القومي الذي تخيلناه على أرض الواقع ليومين فقط عندما اقتلعت الانتفاضة العارمة في عمقها ومساحتها وهياجها كل عروش الظلم ودكتها مثلما فعل (إبراهيم الخليل) بتحطيم أصنام العبودية ويوم شهد (كاوى الحداد) علة أرض الواقع تجسيدا لشخصه وأسطورته العظيمة.

حالة لا تتكرر في تاريخ الشعوب إلا في كل قرن ربما واحدة، سأموت ولن أجد مثيلاً لها في أرض كوردستان. نحن جيل الخمسينات من القرن الماضي عاصرنا قمة الظلم العربي والشوفينية والعنصرية البغيضة التي أسس لها (عبد الناصر) ليقتلع كل القيم الديموقراطية والحضارية التي كانت قد أسس لها الفرنسيون والأوربيون في المنطقة وشارك في حينها كوردنا الأوائل كرؤساء جمهورية وقادة ووزراء في بناء دولة حديث العهد أسمها (الجمهورية السورية).

رويداً رويداً تحولت بفعل الفاشية أو الاشتراكية القومية التي انطلقت من الوحدة الممسوخة حتى تسلم البعث لقيادة (الجمهورية العربية السورية) التي صبغت بعروبة فجة مزرية كل شيء في السياسة والطبيعة والحجر والشجر، كما الأحزاب والجامعات والجيش والشارع والزبالين والعتالين والقوادين والعاهرات. ولم يبقى للكوردي الا الريح كما قال (محمود درويش)...

وهنا دعونا نقف عند التطور البطيء لحال الكورد منذ الوحدة والبعث حتى عشية الانتفاضة لأن ذلك يحتاج الى ملف خاص، ولكن لنحاول رسم اللوحة السياسية لما قبل فترة الانتفاضة التاريخية والتي لا يكفيها فعلاً هذه التسمية البسيطة كونها كانت ثورة شعب بحق وحقيقة.

كان قد توفي الطاغية حافظ الأسد ليس بوقت بعيد، ليجلس على كرسيه ابنه بشار الذي كنا نعتقد بأنه شاب هش وأنه سيبدأ عهداً ديموقراطياً جديداً، وافتتحت المنتديات في دمشق وحلب وقامشلو وغيرها إشارة الى ذلك التحول الخادع .

قبلها بفترة كان قد تجرأ حزب يكيتي الكوردي في سوريا ليقارع السلطة ويوزع منشورات ضد الحزام والإحصاء العنصري في الجزيرة حيث كسر حاجز الخوف رغم اعتقال كوكبة من المناضلين ثم خروجهم من السجن بعد أحكام قاسية، ولكن صنع اعتقالهم أجواء نضالية جديدة، وكسروا ترهل الحركة الكوردية الني ترنحت قبلها بعدة سنوات.

الحدث الأبرز كوردسانياً كان ولادة وتطور الإقليم الكوردستاني في العراق، والذي شهد نمواً كبيراً في فترة قصيرة واحتل الزعيم البرزاني مكانه في قلوب جميع الكورد ودول المنطقة. ولم يستطع الآبوجيين مقاومة تأثيره واستقطابه القومي فأصبح رمزاً لكل أبناء الشعب الكوردي،

ولخشية النظام الذي تراجع عن جميع وعوده بالديمقراطية وبناء سوريا جديدة تحت مسمى الحرس القديم والحرس الجديد، وبعد أن تمكن بشار الأسد من تصفية وضعه الداخلي تفرغ لتلقين الكورد حسب اعتقاده درساً قاسياً كي لا يفكر يوماً بالتجربة الكوردستانية العراقية، ولذلك فبرك مسرحية ملعب قامشلو مستثمراً حقد أبناء دير الزور على الكورد في مباراة عادية على أرض ملعب الجهاد ذو الطابع الكوردي، ولم يتوقع أبداً أن تلتهب الأوضاع بهذه الحدة، ويثور أبناء شعبنا يداً واحدة بدءا من قامشلو ومدن الجزيرة وانتشاراً في كل ارض وجد فيها كوردي في سوريا .

خرجت الجماهير الى الشوارع، قطعت طرقات المدن، حطمت أصنام الطاغية في أول حدث تشهده سوريا بعد السبعينات، هتفت الجماهير بإسقاط النظام، هرب زبانيته وتوقعوا في مخافرهم ودوائرهم أكثر من يومين، لم يبقى أي مظهر للسطلة في مناطقنا، أحرقت دوائرهم ومؤسساتهم وسيطرت عليها الجماهير كأنها لوحة لعشرة أيام هزت العالم ل (جون ريد).

امتدت موجة التأثير حتى أطراف كوردستان الأخرى، وتفاعل شعبنا الكوردي في أوروبا والشتات كما لم يتفاعل قبلها مع أي حدث، وقاموا بالمظاهرات أمام السفارات وفي شوارع مدن أوروبا، قدموا المساعدات لأهالي الشهداء والجرحى والسجناء فيما بعد.. حقيقة كان حلم بالخلاص لم يتصوره أي منا من قبل تجسد فيه كيف يتم تحرير الشعوب وكيف هي لحظة الانقلاب في التاريخ.

ولما كان الحدث زلزالاً كما وصفه النظام نفسه استدرك حجم الخطر الذي وقع فيه، توافد قادته الأمنين من بختيار و محمد منصورة وشقيق الرئيس ماهر الأسد محاولين تدارك الوضع عندما وصلت الموجة الى القمة وبدأت بالانحدار.

وفي هذه اللحظات العصيبة لملمت الحركة الكوردية أشتاتها واتحدت في إطار (مجموع الأحزاب الكوردية) الذي تكون من إحدى عشر حزباً حينها وأدار الصراع بإنشاء غرفة عمليات مشتركة بدءا من الأيام الأولى وحتى فترة طويلة أدارت فيها التضامن والتواصل الكوردي العام، ثم التهدئة ومتابعة وضع الشهداء والجرحى وتجريره في خدمة الحدث، ثم استلام المساعدات التي قدمها عموم شعبنا وخاصة من أوروبا التي لعبت دوراً كبيراً في هذا الميدان بحيث غطت المساعدات مصاريف الجرحى مع العلم ساهمت كل المستشفيات في ذلك وتم مساعدة ذوي الشهداء والسجناء وما تبع ذلك من أعباء مالية، حتى تعويض أصحاب المحلات التي نهبت فيما بعد في سوق قامشلو من قبل جنجويد حلكو وجماعة محمد الفارس الذي يعملون الآن بنفس المهام لصالح النظام.

أما كيف تفاعلت الأحزاب الكوردية المصدومة في عين الحدث فمنهم من أراد لها الاستمرار والديمومة وترك الأمور تتطور بدون أن يكون هناك تصور واضح الى أين وكيف سيتفاعل العالم مع انتفاضتنا خاصة بعد ان عاد النظام الى رشده، وبدأ يهدد بالعصى الغليظة والتدمير والفتك وخاصة بعدما تركت حركتنا وحيدة في الميدان بدون المعارضة السورية، واستطاع النظام أن يصل مرة أخرى الى مركز القرار الكوردي بواسطة بعض أحزابنا الكوردية التي كانت صديقة لها سابقاً.

في الطرف العربي من سوريا رغم معاناته الطويل من قمع النظام وفتكه وتدمير حركة المعارضة فيه اعتبر الانتفاضة الكوردية حركة قومية او انه تعام عن وجودها، والتزمت الصمت المطبق ولم تتفاعل وطنياً مع انتفاضتنا رغم اننا تعايشنا سابقاً الحراك الوطني مشاركة في المنتديات وأنشطة المعارضة جميعها، وحينما كنا نقيم مظاهرات في دمشق تضامناً مع معتقلين أمام محكمة أمن الدولة العليا وفي المناسبات الأخرى بحيث كنا نرى أغلب الشخصيات الموجودة الآن على ساحة الصراع السوري تحضر وتشاركنا تلك الأنشطة. واقتصر حضورها فيما بعد في التضامن مع انتفاضتنا بوفد زار قامشلو وأقر بأن القضية الكوردية هي قضية وطنية بامتياز .

وجدنا نفسنا وحيدين في هذه المعمعة بدون دعم خارجي او تخطيط مسبق او ترتيبات دولية في حين حشد النظام الأنظمة الإقليمية والدولية مثل روسيا لصد الطريق أمام تفاعلهم مع قضيتنا، وفي ذلك أذكر ان النظام التركي قدم دعماً لوجستياً ومعلوماتياً خوفاً من امتداد آثاره الى تركيا .

الفعل الكوردستاني كان محدوداً وليس بمستوى التوقع بسبب وضعه السياسي وارتباطه بشبكة معقدة مع الدولة العراقية رغم انه فعل ما يستطيع فعله لنا حين ذاك.

إعلامياً كانت للانتفاضة يومياتها وبياناتها في الجرائد الكوردية. والمواقع الالكترونية فعلت جيداً لتغطية الأحداث، كنا نسجل الأحداث بأرشيف يومي للشهداء والجرحى والممارسات الحكومية، والمساعدات والتفاعلات مع القوى الوطنية في سوريا، والمراسلات ثم الوفود القادمة من العاصمة وغيرها من الأوربيين الذين وصلوا سراً وعلنياً، جميع هذه الأحداث كانت ترد في اعلام الأحزاب الكوردية كل على حده وخاصة في مدونات (مجموع الأحزاب الكوردية) التي تشكلت حين ذاك كما قلنا من أجل قيادة المرحلة حيث كنا في غرفة عملياتها في ظل الاحداث.

للأسف جميع هذه الوثائق والبيانات والصور هي الآن مبعثرة ومشتتة هنا وهناك، وهي وحدها التي تستطيع أن تكون سجلاً حافلاً وحياً لرصد تلك المرحلة.. وأدعو كل المهتمين والمعاصرين لتلك الانتفاضة المباركة العظيمة أن يستجمعوا إرث تلك الأيام وخاصة في الوطن، إذ لم يكن الإعلام الالكتروني في حينها مثل اليوم يغطي كل شاردة وواردة.

المجد لانتفاضة شعبنا في سوريا 12 آذار 2004 وما تلته من أحداث متعلقة بهذه الأيام الرائعة التي يفتخر بها كل كوردي في سوريا .

انتفاضة قامشلو
بعد ست عشرة سنة

منى عبدي

تبقى انتفاضة قامشلو نقطة تحول محورية في تاريخ الكُرد، في الجزء الكردستاني المحلق بسوريا ، كونها كسرت حاجز الخوف ووحدت خطاب الشارع الكردي بعيدا عن الإملاءات و التوجهات..

عدا ذلك فقد كانت الانتفاضة البوابة لتدويل قضية الكُرد السوريين، وصورة عكست مظلومية الكُرد على أرضهم التاريخية، للغرب، وحتى للدول العربية..

صحيح أننا خسرنا في الانتفاضة عددا من خيرة أبنائنا، لكن يبقى لها الاثر العميق في ذاتنا و مخيلتنا، لانها كانت الشرارة التي من خلالها تبين مدى رغبة الإنسان الكردي في الحياة الحرة الكريمة .

لكن بكل اسف يغيظنا اليوم، ويؤلمنا ما وصلت إليه الحالة الكردية، وتشرذم الكرد، لأننا لو قارننا الوضع العام إبان الانتفاضة واليوم، سوف نلاحظ جلياً الهوة الموجودة حالياً والتي تسببت في ضياع الكردي وحقه، بين هذا وذاك، دون رقيب ، فضلاً عن غياب دور كردي مميز يليق بمكانته ووجوده في سوريا، وكل هذا يعيد للذاكرة كيف كنا؟ وإلى أين وصلنا.؟

الحلول المتأخرة أفضل من الاستمرار على وتيرة الخطأ، ويعلم القاصي والداني أن الكُرد السوريين لديهم كل الحق والشرعية ليكونوا على أرضهم، متمتعين بجميع الحقوق، ولكن كل هذا لا يمكن تحقيقه وسط غياب دور فعال لرجالات السياسية الكردية، و تخاذلهم المشين مع القضية .

اليوم يختلف الوضع جذرياً عمّا كان عليه عام 2004، وسوريا مقسمة فعلياً بين الدول ذات الشأن، والكردي وحده محروم من" الكعكة" بالرغم من أحقيته، فلو اجتمع الفرقاء الكُرد على كلمة واحدة وعملوا معاً بإخلاص ووفاء، وسوف يظهر لهم وللشعب المغلوب على أمره آفاق الحلول وبشكل سلس لان الحقّ الذي لا يمكن طمسه، لو كان وراءه حكمة وحنكة.

المدينة المشاغبة!!

هيفي قجو

تحت وطأة الرصاص هدر البحر البشري هائجاً واتجه نحو تمثال الوحش الرابض في وسط المدينة. بدأت أمواج الناس تتلاطم هنا وهناك، صرخات متتالية تدعو إلى تحطيمه، أيادي بعض الجبناء تشابكت كطوق رادع لكن عبثاً، خرَّ تمثالُ الوحش متبعثراً، الرأس هنا واليد هناك.

في تلك الليلة اندفع سليل الوحش نحو المدينة متوعداً حرقها عن بكرة بشرها وشوارعها، بيد أنه تراجع لسبب ما غير واضح، أخمّن أنه سمع عن جنون هذه المدينة المتمردة!!

أثبتت الانتفاضة بأن الشعب الكوردي والحركة السياسية في كوردستان الغربية يفتقد إلى قائد ومرجع سياسي

محمد سعيد وادي

في الذكرى السابعة عشرة لانتفاضة شعبنا الكوردي على جرائم النظام البعثي الشوفيني، ردا على المجزرة التي حصلت في الملعب البلدي في قامشلو، على أثر المباراة بين الفريقين الرياضيين، فتوة من دير الزور والجهاد من قامشلو، يبدو إن الخطة كانت مدبرة ومحبوكة من قبل السلطات الأمنية حيث شحنت الأجهزة الأمنية جماهير ديرالزور المعروفين بولائهم للنظام الدكتاتوري في العراق صدام حسين وشوفينيتهم وحقدهم على الكورد، خاصة بعد سقوط أحد الرموز الشوفينية العربية صدام حسين، حيث حصلنا على المعلومات الهامة متاخراً.

بعد مجيء جمهور فريق الفتوة إلى القامشلي بدأوا برفع الشعارات الاستفزازية ضد الكورد و رموزهم القومية كالبارزاني والطالباني، وعند دخول جمهور الجهاد الى الملعب قامت السلطات بتفتيشهم بشكل دقيق وعدم السماح لهم بإدخال حتى جريدة، أما جمهور الفتوة فقد دخل الى الملعب بدون تفتيش وكانوا مصطحبين معهم الأحجار ومهيئين أنفسهم والشر بادي في تصرفاتهم من خلال ترديد الشعارات الاستفزازية ضد جمهور الجهاد، فحصلت اشتباكات بين الطرفين وتدخلت السلطات لصالح جماعة دير الزور وبأوامر من محافظ الحسكة المجرم سليم كبول، جرى إطلاق الرصاص الحي وبدم بارد على الجمهور الكوردي مما أدى الى استشهاد مجموعة من الشباب الكورد على يد السلطات الفاشية للنظام البعث الشوفيني، متجاهلاً بأن هؤلاء مواطنين سوريين قانونياً وإنسانياً، ومطلوب منه حمايتهم ومساواتهم مع المواطنين العرب، مما دفع الكورد بشبيهم وشبابهم الى الانتفاضة ضد الظلم والقهر والقتل والحرمان من أبسط القيم الانسانية، حيث ثار الشعب الكوردي من عين ديوار في أقصى الشمال الشرقي ومروراً بكافة المدن الكوردية في الجزيرة وكوباني وعفرين الحبيبة وحلب والأحياء الكوردية في دمشق زور افا وركن الدين دون أن يكون بقرار من الحركة الكوردية أو أية جهة أخرى متجاوزاً كافة الأطر التنظيمية مما حدا بتعطيل كافة المؤسسات ودوائر الدولة في كوردستان الغربية، واستطاع شبابنا في عاموداً من كسر تمثال الرئيس السابق ووالد الرئيس الحالي وإزالته متجاوزاً جدار الخوف الذي نسجه هذا النظام الفاسد وأرعب الشعب السوري بكافة طوائفه ومكوناته.

•استطاعت الانتفاضة ان توحد شعبنا وتعيد الثقة الى أبنائها وتثبت للأعداء بأن إرادة الشعب الكوردي لا تقهر و أقوى من أسلحة العدو ومخططاته، لكن النظام لم يقف مكتوف الأيدي بعدما شاهد بأم اعينه وحدة الشعب الكوردي من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب. اعترف رأس النظام من خلال خطاب متلفز بأن الشعب الكوردي نسيج أساسي من الشعب السوري محاولاً بذلك امتصاص غضب الشعب الكوردي لحين ترتيب وضعه للانقضاض على الانتفاضة والحصول على المعلومات التي سيستخدمها.

•ومن جهة أخرى قامت الأجهزة الأمنية باعتقال الآلاف من أبناء شعبنا وزجهم في السجون وتعذيبهم في المعتقلات واستشهد بعضهم تحت التعذيب كالشهيد فرهاد محمد صبري محاولا بذلك كسر الشوكة الإعلامية للنظام من خلال عملائها الداخل بالترويج بأن الكورد إذا لم يعتذروا للنظام سيجعل من الجزيرة حماه ثانية.

ما هي العبرة من الانتفاضة:

أولاً: استطاعت هذه الانتفاضة المباركة كسر حاجز الخوف من النظام البوليسي الأمني الدكتاتوري.

ثانياً: وحدت إرادة الشعب الكوردي متجاوزاً الخلافات بين الحركة السياسية التقليدية.

ثالثاً: استطاعت هذه الانتفاضة ان تمهد الطريق أمام الشعب السوري بعد سبع سنوات القيام بانتفاضة أخرى ضد النظام الدكتاتوري في كافة المدن والبلدات السورية عام 2011.

رابعاً: هذه الانتفاضة مهدت الطريق أمام كافة المكونات من الشعب السوري التعرف على القضية الكوردية وعدالتها.

وعلى الرغم من ذلك كان هناك تقصير كبير جداً من قبل الحركة السياسية بحق الانتفاضة وذلك في بعض الأمور التالية :

- عدم الاستفادة من مكتسبات الانتفاضة ودراسة النقاط الايجابية و توظيفها لصالح عدالة القضية الكوردية .

- عدم تشجيع استمرارية الانتفاضة والضغط على النظام حتى يتم تحقيق بعض المكاسب للشعب الكوردي .

- ساهمت الحركة الكوردية في إجهاض الانتفاضة لإرضاء النظام وتحميل المسؤولية الى جهات خارجية واعتبار ذلك فتنة من جهه ما .

- كشفت الانتفاضة عجز الحركة السياسية الكوردية القيام بمسؤوليتها التاريخية لعدم استطاعتها اتخاذ قرار مناسب في الوقت المناسب.

عند انتهاء مهام المجرم سليم ونقله من المحافظة شارك أحد رموز الحركة الكوردية في مراسيم توديعه بأن نقلك من محافظتنا خسارة كبيرة لنا وكنت ملح هذه المحافظة وستترك فراغاً مهماً، وبهذا الأسلوب الانبطاحي شجع هذا النظام الفاسد و الدكتاتوري في قمع الكورد والحركة السياسية.

لابد لنا الاعتراف بأن الشعب الكوردي والحركة السياسية في كوردستان الغربية يفتقد الى قائد ومرجع سياسي للقيام بما يملي عليه الواجب القومي وتسخير ذاته والتضحية بحاضره ليحقق المكاسب لمستقبل شعبه.

نحن بحاجة إلى قائد سياسي محنك يضع مصلحة شعبه وقضيته فوق كل الاعتبارات الأخرى ليتخذ القرارات في الوقت المناسب لصالح القضية الكوردية العادلة.

وهكذا تم طي هذا الملف المهم دون الاستفادة من العبر والدروس التي رافقها وكشف الأسباب الحقيقية وراء ذلك.

كسر حاجز الخوف

منال حسكو

حدث ذلك 12/03/2004 في مدينة السلام قامشلو, حين أقدم النظام على تنفيذ مشروع خبيث، كان في ظاهره مباراة بين فريق ديرالزور وفريق قامشلو، ولكن كان مخطط بدقة للوقوع بين الجمهور من خلال رفع صور صدام حسين و الهجوم على القادة الكورد و رفع شعارات ضد القومية الكوردية من طرف جمهور فريق ديرالزور الذي أمن له وسائل النقل بشكل مدروس، في داخل الملعب كانت هناك خطة من قبل المخابرات و بدأ من خلاله الاحتكاك بين جمهور الفريقين و تحول سريعاً إلى الضرب و التدخل السريع من قبل الشرطة لصالح جمهور ديرالزور و إطلاق الرصاص الحي على الكورد كما كان مخطط له...

لم يكن يتوقع النظام الاستجابة السريعة و ردة فعل الشعب الكوردي من ديركا حمكو إلى تربسية و قامشلو ثم عامودا و كوباني و عفرين وصولاً إلى قلب حلب و دمشق، و لقن أبناء الشعب الكوردي النظام درساً لن ينساه، ولكن وبكل أسف لم تستثمر الحركة الكوردية ذلك الحدث الكبير لصالح القضية بل شاركت قسم منها في إطفاء ذلك الحدث بل وصل إلى حد الشكوك فيها، لهذا نرى اليوم بأنه لا يوجد أي شيء لصالح تلك الانتفاضة، و هذا يعود إلى عدم تحمل الحركة الكوردية المسؤولية و قد أظهرت ذلك من خلال النقاط التالية :

*عدم بناء مؤسسة للعناية بضحايا الانتفاضة .

*الانتفاضة وحدت أبناء الشعب الكوردي في كوردستان المحتلة من طرف سوريا وبكل أسف الأحزاب السياسية لم تستطع الحفاظ على ذلك و بالعكس تماماً مزق الموقف و ما نراه الآن خير دليل .

*عدم وجود مدونة للانتفاضة يدل على الخوف من تحمل المسؤولية، لم يكن هناك أية جهة أو حزب يملك الشجاعة على ذلك.

*إلى هذه اللحظة ليست هناك مذكرات للمعتقلين وهذا أيضاً من سلبيات الحركة الكوردية التي لم تتعود الإستفادة من هكذا أمور، فيقع على عاتق الحركة الكوردية جمع المعلومات و وضعها على شكل كتاب تحت عنوان (من مذكرات معتقلي الانتفاضة).

*من المعروف بأن الحركة التحررية هي التي تقود الشعب و تكون في المقدمة ولكن وبكل أسف ليست في الحالة الكوردية في كوردستان المحتلة من طرف سوريا، حيث الأحزاب لها الدور السلبي في قياة الشعب و قد ظهرت ذلك الدور السلبي في إطفاء الحماس عند الشباب في الثمانينات من القرن الماضي حين استشهد شهيد نوروز سليمان آدي، و كذلك في انتفاضة قامشلو، و قد تم اتهام الشباب من طرف بعض الشخصيات السياسية بعبارات غير لائقة، و التهرب من تحمل النتائج وصولاً الى الجلوس مع القوة الأمنية و محافظ الحسكة و الاعتذار منهم على ما قام به الشعب الكوردي و بالأخص الشباب، كل هذه الأسباب و غيرها دوماً تكون السبب وراء فقدان الشباب لروح الحماس.

وفي الختام لابد من القول بأن المعارضة الحقيقة كانت و مازالت هي المعارضة الكوردية و إن شرارة الانتفاضة كانت من قامشلو ؟

الطريق الى صيدنايا

محمد خير بنكو

لم يكن حمو موجوداً في الملعب يوم 2004/03/11 لكنه سمع مثل غيره القصة التي بدأت بتمجيد الفريق القادم من دير الزور الى مدينة قامشلو، للطاغية صدام حسين و هم يجوبون شوارع قامشلو. لم يجرؤ سكان قامشلو على مواجهة الفريق و مشجعيه، كما لم تحرك أجهزة النظام البعثي الأمنية ساكناً، رغم حالة العدم توافق و عدم الانسجام بينه و بين نظام الطاغية العراقي .

فوجئت جماهير الجهاد بأن الجمهور الضيف يدخلون حرم الملعب مدججين بالأحجار و كأنهم قد تجهزوا لمباراةٍ بالحجارة بدلاً من مباراة كرة القدم .

كان حمو بين جموع الشباب المتجمعين الراغبين بالوصول الى قامشلو للمشاركة في تشييع جنائز الشهداء الذين استشهدوا برصاص أجهزة النظام بعد ان أعطاهم المجرم سليم كبول، محافظ الحسكة آنذاك، الحق في استخدام الرصاص الحي لقمع المتظاهرين العزل الذين ثاروا دفاعاً عن أنفسهم في مواجهة أحجار الفريق الآخر. منعت الشرطة و الأجهزة الأمنية وسائط النقل من التوجه من عامودا الى قامشلو، و إزداد عدد المنتفضين الشباب في مركز المدينة، و بين الإستسلام لعدم الذهاب و الرغبة الجامحة في دواخلهم علت أصوات تطالب بالذهاب سيراً على الأقدام. دون تفكير بالمسافة و الوقت و الطريق بدأت الأقدام تخطو بإتجاه الشمس الصباحية التي بدت و كأنها تبكي الشهداء و ترتجف خوفاً من القادم. وصلت طلائعهم الى مدخل المدينة دون أن يلتفت أحد الى تمثال الاسد الأب المنتصب وسط دوار بسيط في أول مدخلها و كأن بهم يقولون لأنفسهم (لدينا مشوارٌ آخر)، ما إن إقترب الجمع من مفرزة الأمن السياسي على طريقهم حتى بدأ عناصر المفرزة بإطلاق الرصاص في الهواء خشيةً من غضب هذه الجموع الغاضبة و تخويفاً لهم . تراجع الجمع تحت صرخات البعض حرصاً على سلامة الشباب الغاضب و عكس الجمع إتجاهه عائداً نحو المدينة بينما جمرات من البراكين تشتعل في دواخلهم و هم يستذكرون معاناتهم مع قمع المخابرات منذ الولادة، ابتداءاً من أسمائهم المفروضة عليهم من شُعَب النفوس الى الوظائف مروراً بأغانيهم الفلكلورية و لغتهم الممنوعة عليهم.

إمتطى حمو تمثال الدكتاتور و جعل رجليه تدليان حول رقبة التمثال كمن يركب ظهر دابة ، بدأ بتحريك رجليه ضارباً التمثال من جنبيه متذكراً أيام كان يرعى بضع غنمات له خلف بيادر القرية المنتصبة على تلة قرب المدينة، وقد أمسك برأس التمثال و هو يحاول تحطيمه بمهد وصلت الى يده من حيث لا يدري.

تعالت الضحكات فمنهم من كان يشتم حمو ، كعادة أهل عامودا، و يصرخ:

إمسك بإذنيه كما كان يمسك بأُذنيك إستاذ القومية.

و منهم من كان يقترح حرقه كما إحترقت الأجساد الغضة لأكثر من مئتين و خمس و ثمانين تلميذاً في سينما شهرزاد في عامودا في عام 1960. كان حمو منهمكاً بالطرق على الرأس و الرقبة و هو يضحك: رأسه قاسي ، إنه أقسى من رأس أمك حنيفة.

لم تفكر الجموع الغاضبة لحظة فيما سيؤول إليه الوضع، ربما ظنوا بانه نهاية حقبة من القهر و الحرمان و كان يتراءى أمام ناظرهم سقوط تمثال توأمه البعثي في العراق، و اكملت الجموع تحطيم رمزاً لديكتاتورية حكمتهم لسنين بل أغلبهم ولد في ظل حكمه و اكملوا مسيرة الانتقام فحرقوا المفارز و المخافر و سياراتهم و لم تأبى البراكين في دواخلهم ان تهدأ حتى وصلوا الى مقر المحكمة و المركز الثقافي و المصرف الزراعي، يتذكر حمو بعض الاصوات التي حاولت منهم من حرق المركز الثقافي قائلين بانها ملك للمدينة فرد البعض من الشباب الغاضب متسائلاً: و هل لنا كتبٌ فيها؟ و لم ينتظر جواباً من أحد بل اكمل كلامه مترافقاً بشتائم : أنها ثقافتهم.

لم يكن التعذيب في المفارز مختلفاً كثيراً، لكنه كان يختلف من جلادٍ الى جلاد و من ضحية الى أخرى حسب التقرير المكتوب عنه. كانت حصة حمو من ذلك كبيرة، كيف لا يكون كذلك وقد حفل التقرير بتفاصيل عن كيفية ركوبه التمثال، فكان له حصة الاسد من التعذيب، جُرب فيه كل أصناف التعذيب، من دولاب و كابل رباعي و كهرباء، لكل صنف لسعته فتعذيب الكبل يجعلك تمارس العَّد و ستستمر بالعد حسب قوة تحمل جسمك ، تكون الضربات الأولى موجعة ولا شك بأنك ستفقد الإحساس بجسمك رويداً رويداً حتى تفقد لأنه في هذه الطريقة أيضاً الكبل او الكرباج كما يسميه البعض هو أداة التعذيب و يبقى وظيفة الدولاب هي فقط حجزك و منعك من أن تتفادى الضربات.

للتعذيب بالكهرباء قصص و حكايات، الأداة المستخدمة هو عبارة عن جهاز صغير شبيه بجهاز الهاتف القديم اليدوي و قوته حسب سرعة تدوير المقبض الشبيه بمقبض محرك الليستر الذي كان يستخدمه والد حمو على بئر الماء لزراعة الخضرة الصيفية من بندورة و خيار و كوسا كمصدر للعيش الى جانب عمله كسائق موسمي على الحصادات. يختلف أيضاً مكان التكهرب حسب الجلاد، المسمى المحقق، فقد يربط السلك بأصابع يديك أو قدميك و ربما يربطه بعضوك التناسلي لسهولة إنتزاع الإعتراف. بداية تحريك المقبض ستشعر بلسعة خفيفة في جلدك ثم يتطور حتى تشعر و كأن شرايينك ستنفجر و خاصة في جانبي الرأس و تحديداً فوق الأذنين.

أغميَّ على حمو أكثر من مرة، و في نهاية كل جولة تعذيب كان يرمى به في المهجع المكتظ بأجساد رسمت عليها خرائط العالم بشكل فوضوي. العائد من جولة التعذيب كان الأحق في التمدد قليلاً ريثما يسترد أنفاسه، فالمكان لا يتسع للكل فكان لزاماً عليهم التناوب في التمدد لأخذ قسط من الإغفاء أو الجلوس. الرسومات المتشابهة على الثلاثين جسداً في الغرفة خلقت لديهم شعور العائلة التي ورثت نفس الوشم ، فكانوا يشجعون بعضهم البعض و هم بدواخلهم يحتاجون الى من التشجيع ، كلما كان يسترد حمو أنفاسه كان يخاطب من حوله مشجعاً رغم رجفان الكلمات بين شفتيه لدرجة كانت الكلمات تتقطع في جملها فتبدو كحروفٍ متناثرة على آثار السياط المنتشرة على جسده:

لا تخافوا يا شباب، إذا تحملت الضربات الاولى فسوف تنقذ نفسك من الاعتراف، صدقوني انها بسيطة، لتكن عزيمتكم قوية، إصمدوا و تحملوا قليلاً لتخرجوا من هنا. في لحظات الهدوء بين جلسات التعذيب كانوا يتناقشون فيما بينهم الاحتمالات المقبلة، و أحياناً اخرى يتذكرون النهفات التي مرت معهم خلال المسيرات و الإعتقالات، كان حمو يعيد لجاره عبد الإله القادم من سري كانيه شريط سقوط التمثال دون المرور بالجزء الخاص به، و يحكي له عبد الإله عن بعض التفصيل عن سري كانيه، بينما حسنو كان يحكي عن كيفية جلوس جكرو على كرسي مدير ناحية الدرباسية و كيفية إنتزاع الأسلحة من الشرطة، و يسهب آخر ليقول بل أنه طلب منهم إلقاء السلاح و أمرهم بالزحف.

ثمانية و عشرون يوماً تعرض فيها حمو لأكثر من ضعفها من فصول التعذيب و ما يقاربها من حالات الإغماء مصراً على روايته : كنت في القرية أسقي الزرع و لم أنزل الى البلدة البتة إلا حوالي الظهر و ذلك لجلب الخبز الآلي.

الطريق الى سجن صيدنايا كان طويلاً جداً، أطول من أية مرة سافر فيها من قبل. كثيراً ما سافر حمو الى دمشق فالطريق من قامشلو الى دمشق لم يكن متعباً ، كان البولمان يقف في إحدى الاستراحات في تدمر و عادة ما كانت ليلاً، فينزل الركاب متكاسلين ليتمموا أحاديثهم على طاولات الإستراحة أو يتدرجون حول المكان و يستغلون الوقت في إشعال أكبر عدد ممكن من السكائر إستعداداً لساعات أخرى من السفر للوصول الى دمشق، لكن هذه المرة كانت الرحلة مختلفة.

سرد حمو الحكاية و كأنه يعيشها ،كانوا ثلاثة هو و ابراهيم و قهرمان، أياديهم مربوطة خلف ظهورهم و عيونهم مطمشة، و كلمة مطمشة للدلالة على تغطية العيون بقماش أو أية مادة لحجب الرؤية، تحركت السيارة التي كانت عبارة عن جيب عسكري دون أن يعرفوا وجهتهم . لم يستطع الثلاثة ان يتبادلوا أطراف الحديث لصغر السيارة، فكان كل واحد منهم يعيش ذكرياته و خوفه من ما سيحدث له. يتذكر حمو سروره و هو راكب على كتفي التمثال مدلياً رجليه فيرتسم إبتسامة إعتزاز على محياه المتعبة من شة التعذيب، يرن صوت والده حين طلب منه عدم الذهاب الى المدينة في ذلك اليوم، فقد كان ذلك اليوم دورهم في إستخدام البئر و سقاية الزرع . كانت المسافة تبدو و كأنها تتمدد، لا أحد يعرف الوقت، في الطريق و بعد ساعات طويلة توقفت السيارة إنقطع أصوات السائق و العسكر، يبدو أنهم توقفوا في استراحة ما لكنهم لم يطلبوا من الثلاثة النزول لقضاء الحاجة أو لشرب بعض الماء. بينما كان الثلاثة مشغولين بآلامهم متناسين لذة الإستراحة و اكل البلح و الدخان، عاد صوت السائق طالباً من من معه الإستعجال: خلصونا يا شباب.

لم يعرف حمو وقت الإنطلاق أو الوصول و كان طول الطريق مشغولاً بالتحقيق مع نفسه، كان بعض الأحيان يفكر بالإعتراف ليتخلص من تأليف القصص دفاعاً عن برائته و هو يعلم بأن المخبر الملعون قد أعطاهم الكثير من التفاصيل عن كيفية تحطيم التمثال و بأن الجموع الغاضبة بعد إن فشلت في تحطيمه بكل ما كانت تملك من أدوات، لجأوا الى حيلة أخرى، فقد تجمع العديد منهم و حملوا عاموداً من أعمدة مؤسسة الكهرباء الذي كان مرمياً بالقرب من الدوار و بحركة منسقة كانوا يعودون لمسافة و يضربون بكل قوة بمؤخرة التمثال .

في فرع الفيحاء بدأت جولة من خمسة عشرة يوماً من فصول التعذيب و بنفس الطرق القديمة و بحقد جديد، حيث كان يرمى به في دورة مياه تسمى بالمنفردة، تعرض خلالها جسم حمو للإنهيار فأصبح كبناء تعرض لعدة هزات أرضية قوية و بات آيلاً للسقوط ، بينما في خارج جدران المعتقل و قريباً من قطع التمثال المحطم ، كانت المباحثات تجري حول ترميم التمثال.

رُميَّ ب حمو في سجن صيدنايا بعد فشل الجلاد في إنتزاع اعترافه بالمشاركة في الركوب على كتفي التمثال و تحطيمه، بينما اعترف البعض خارج أسوار السجون بدلاً عنهم بخطيئة تحطيم التمثال و وعدوا بتدارك الأمر. بعد أكثر من عام تم الإفراج عن حمو و الكثيرين من السجن بموجب عفو و مكرمة، حسب تعبيرهم، من الأسد الإبن. كان إستقبالهم من قبل الجماهير عرساً جماهيرياً حتى أحست الأجهزة الأمنية بخطأ قرار الأسد بينهم و بين أنفسهم.

كانت المفاجأة كبيرة عندما وجد حمو تمثالاً إنتصب في مكان التمثال الذي شارك في تحطيمه و كأنه رُمِمَ بأيادٍ محلية لأن التمثال الجديد كان أصغر حجماً من السابق و كأن به فقد أجزاءاً أثناء ترميمه أو أنه انكمش خجلاً بعد ما تم إهانته على يد الشباب الغاضب، بينما جسد حمو ما زال لم يُرَمَم بعد.

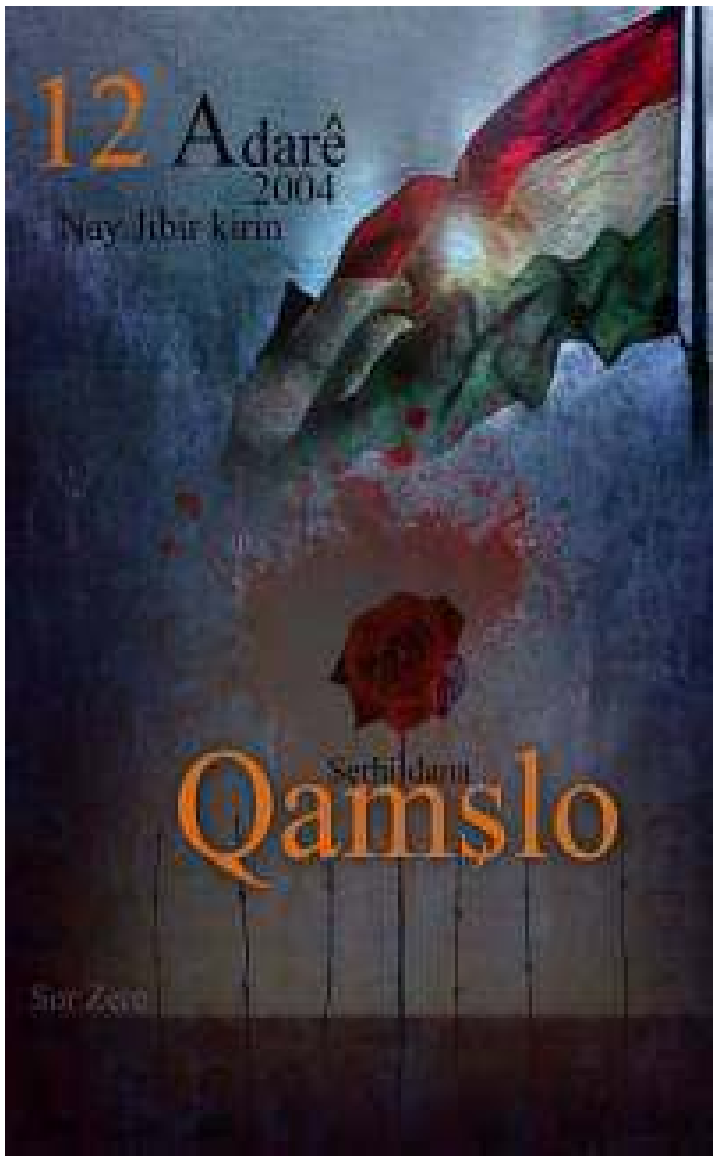

من ملفات جريدة "القلم الجديد-Pênûsa nû" وبالتعاون مع موقع "ولاتى مه" عن الأدباء والكتاب والفنانين الكرد

ملف الدكتور نورالدين زازا - الحلقة(1/5)

في ذكرى مناضل وأديب:
الدكتور نورالدين زازا
خورشيد شوزي

باقتراح من المفكر الصديق إبراهيم محمود رئيس تحرير الجريدة السابق، وبالتعاون مع موقع "ولاتى مه – welatê me" - استطعنا في "بينوسا نو" أن نعد ملفاً عن مناضلنا الكبير الدكتور نورالدين زازا- لنشره على أربعة أجزاء- نجلي خلاله بعض الحقائق، لاسيما أنه ومنذ أن وطأت قدما الدكتور زازا هذا الجزء من تراب وطنه تعرض لحملة شعواء من قبل الأنظمة المحتلة لأرضه، بعد أن ألظت نيران الحقد أفئدتهم، لأنهم لم يستطيعوا أن يغيبوا كردستان عن قلوب أبنائها، ولا استطاعوا أن يخمدوا جذوة الحب بين الأرض وجذورها أبناء الكرد.

حاول الإخوة والأخوات الكتاب أن يلقوا بعض الضوء على ما تركه مناضلنا وراءه من إرث نضالي و ثقافي، ومن معاناة شاهدة عيان المثقف الكردي فيه، وأي تاريخ سُجّل باسمه حتى الآن، وكيف تم التعامل معه، ونظَرة كل منهم في هذا التاريخ، وفي شخصه باعتباره شاهداً على مأساة نضال، و ثقافة، ومأساة مثقف ظهر في الزمن الكردي الصعب، ولا زال هذا الزمن مستمراً، وأريدَ له أن يكون خارج ديموغرافية كردستانيته، ليموت وفي روحه حسرة من كرديته، وكيف يتم التعامل مع ذكراه إلى الآن هنا وهناك... كل حسب نظرته.

وفي الجزء الأخير من الملف لايسعنا إلا أن نشكر كل من ساهم في إغناء هذا الملف الهام، كما نأمل من جميع المثقفين عند تناولهم السيرة النضالية لشخصيات كردية أن يلتزموا الحياد في أفكارهم و أبحاثهم ليكون النقد والتحليل دقيقاً وموضوعياً، وأن لا يطلقوا أحكاماً جزافاً في وسائل التواصل الاجتماعي أو غيرها من المنابر، فالدراسات النقدية يجب أن تكون معمقة ومستندة إلى مصادر موثوقة، ومراعاة الأوضاع العامة للزمان والمكان في والظروف المعاشة في تلك الفترة، كي تكون الاستفادة من تجارب هذه الشخصيات النضالية معنوياً وسياسياً، وبذلك نكون قد خطونا خطوة نحو تخطي عتبة الجهل بما حدث في الماضي؟ لأن التشتت والتخوين وخلق الحجج في توسيع شرخ الخلافات وتصعيد الصراع الداخلي بين القوى الكردية ستكرر نفسها بأساليب مغايرة؟

رحلة عابرة في سيرة زاخرة 2،

المحامي محمود عمر

(قراءة في كتاب نور الدين زازا المعنون بصرخة الشعب الكردي، أو حياتي الكردية)

(في هذه السيرة لا تقرأ مذكرات مناضل ولكنك تقرأ تاريخ أمة حال حياته)

نورالدين وعسر الولادة:

في القامشلي: تم نقل اخي اليها بصفته الطبيب الحكومي الدائم عام 1935 وعمل فيها حتى عام 1937 حيث افتتح فيها عيادة, ورغم الاحتجاجات التركية على نشاطه, إلا ان السلطات الفرنسية تحاشت الاحتكاك به لشهرته ومحبة الناس له, فقد كان يتقاضى أجرة المعاينة خمس ليرات بدل خمسين, ويعالج الفقراء ويصرف لهم الأدوية بالمجان.

أخي والطبيب بوغوص: كان عدة أشخاص من ذوي النفوس الضعيفة يستغلون بساطة وجهل الناس ويمتهنون الطب ويجنون الأموال دون أن يكون له أية دراية علمية, وكانوا السبب في مقتل العديد من الناس نتيجة أخطائهم ومن هؤلاء الطبيب بوغوص الأرمني الحمامي, نسبة الى حمام كان يملكه في السوق وكانت مهنته الأساسية, فقد تسبب في مقتل أحد الآغوات الكرد حيث أجرى له عمل جراحي دون ان يعقم أدواته, وبعد ان كشفه أخي أنذره وطلب منه عدم ممارسة الطب ولكنه جاءه مهدداً بالمسدس, ولكن ومع إصرار أخي حاول العمل تحت ستار اسم طبيب حلبي ترك له العيادة إلا ان اخي كان له بالمرصاد حيث استدعى السلطات التي دكته في السجن ولم يفرج عنه إلا بعد دفع كفالة مالية والتعهد بعدم ممارسة الطب.

جكرخوين: رفع هذا الشاب الشاعر الجامح الطموح لواء الوطنية ودعا الى التحرر من التقاليد البالية ومن سلطة الإقطاعين ورجال الدين الذين يستغلونهم أبشع استغلال، نظم آلاف القصائد وأصبح يلقيها في المقاهي والساحات ودواوين الآغوات والمسارح، وبالرغم من محاربته بشتى الوسائل من المستغلين والرجعيين إلا انه ظل ينشد للتحرر والوعي والوحدة في سبيل الوطن والاستقلال.

الأمير جلادت بدرخان: سمح له الفرنسيون بإصدار جريدة (هاوار) لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام, متصلة وبقيت فرنسا على موقفها الى ذاك اليوم الذي ساند فيه الكرد القوميين العرب من أجل استقلال سورية, فرضت اجراءات قسرية بحق المثقفين الكرد, وتم توقيف نشاطاتهم وإقفال جرائدهم ونفيهم الى دمشق وتدمر ومن بين من تم نفيهم عارف عباس الذي كان يسكن في ديريك, فطلب مني رعاية أسرته وكان السريان المرتبطين بالفرنسيين يهددوننا بالقتل ان لم نغادر ديريك.

ثورة ساسون: كانت المقاومة في (ساسون) قد استمرت اثنا عشرة عاماً بقيادة اسرة (علي يونس) وبعد انهاك قواهم لجأ أكثر من ستين عائلة منهم الى سورية, بقيادة عبدالرحمن الابن الأكبر لعلي يونس ورغم أميته إلا انه كان خبيراً بالخطط العسكرية وسياسياً محنكاً وموهوباً، حتى ان الأتراك كانوا يلقبونه بمعلم الفكر في ساسون, وبعد ان خسر خمسة من إخوته ونصف افراد قبيلته, تمكن من فتح ممر الى سورية نقل عبره النساء والأطفال، رفض الفرنسيين منحه اللجوء السياسي وأبعدوه الى دمشق وبقيت عوائله في الجزيرة.

عبدالرحمن علي يونس في دمشق: كان محاطاً بالمثقفين الكرد والضليعين في اللغة الكردية ثابر على الاهتمام باللغة وكان كأي تلميذ نجيب في كل صباح يجتاز شوارع الحي الكردي الضيقة بهدوء حاملاً كتبه ودفاتره يذهب الى بيت (عثمان صبري) ليتعلم اللغة الكردية ويثقف نفسه, وبعد عدة أشهر تمكن من القراءة والكتابة وأصبح يكتب القصائد والقصص باللغة الكردية بعد ان قارب الستون من العمر.

بداية مأساة ديرسم: تحتل (ديرسم) شمال شرق كردستان تركيا منطقة جبلية مغطاة بغابات البلوط الكثيفة، موقعها الرصين جعلها بعيدة المنال عن أيدي الغزاة والمستعمرين، وظلت مستقلة عن التأثير المباشر حتى للإمبراطوريات الكبيرة فبعد الرومان، والسلاجقة, فشل العثمانيون مراراً وتكراراً من إخضاعها مما جعلهم مرغمين على القبول بالحكم الذاتي التام للقبائل الاثني عشر التي كانت تعيش بوئام هناك منذ مئات السنين.

أتاتورك وديرسم: بعد سقوط السلطنة لجأ اتاتورك الى المكر والحيلة، فقد دعا (سيد رضا) وهو زعيم ديرسم القوي بلا منازع, ورتب له استقبالاً ملكياً واصطحبه الى البرلمان, وعرض عليه رئاسة المجلس النيابي استمرت المصالحة الى عام 1937 حيث تمكن اتاتورك من لم شمل قواته, حيث أرسل إنذاراً الى (سيد رضا) أرفقه باغتيال العديد من المثقفين الكرد.

الجنرال المتوحش عبدالله باشا: عينه أتاتورك ليقود كل الجيوش التركية في كردستان واتخذ من (ايلازيغ) مقراً له، جمع حول نفسه أكثر من مائة ألف مسلح لقمع الكرد وكان يقصف القرى التي لم يبق فيها سوى الأطفال والنسوة, وكان جنوده يسدون منافذ الكهوف التي لجأ اليها الأهالي بالإسمنت, وقد صرح تركي صحفي في بيروت عام 1963 بأنه التقط صورة لأحد الأنهار في (ديرسم) وهي مليئة بالجثث إلا ان صوره لم تر النور لآن ضابطاً تركياً سرقها بينما كامن نائماً, ولم يتم الكشف عن فظائع (ديرسم) إلا من خلال (نوري ديرسمي) الذي فر من المذبحة ولجأ الى سوريا حين اتفق مع المسؤولين السوريين الذين كانوا على خلاف مع انقرة على نشر فظائع الجيش التركي بحق ديرسم وعموم كردستان والمقاومة البطولية التي أبداها الكرد حيث عنونت جريدة القبس في أحد العناوين (الكرد جنود منذ نعومة أظفارهم).

نهاية مقاومة ديرسم: خلال عامين خضعت ديرسم لحرب شاملة أحرقت مئات القرى وحرقت مئات الآلاف من الهكتارات وتم ذبح الناس عن بكرة أبيهم وفي نهاية 1938 لم يعد لديرسم المستقلة وجود. وتم تشتيت حوالي مليون كردي الى غرب تركيا وأطلقت على (ديرسم) منطقة محظورة ولم يعد اليها سكانها المبعدون الا بعد عام 1950 بعد انتصار الحزب الديمقراطي في الانتخابات..

الحرب العالمية الثانية: خاض الكرد حرباً عن الغير في الحرب العالمية الأولى, فكانت نتائجها كارثية عليهم الويلات والتشرد والمآسي وتقسيم وطنهم وكي لا تتكرر المأساة ولأن الوعي القومي الكردي بدأ يتطور, حاول الكرد لملمة شملهم من جديد,التف الناس حول الوطنيين الغيورين من أمثال الشاعر (جكرخوين) وغيره من المناضلين, وشهدت الجزيرة حركة سياسية وفنية نشطة بالتزامن مع ما كان يشهده الحي الكردي في دمشق الذي كان بمثابة خلية النحل حيث اجتمع فيه الساسة والمثقفين والشعراء من كل حدب وصوب واتسعت دائرة النوادي والجمعيات الثقافية والفنية والرياضية وكان تعليم اللغة الكردية يتم في دمشق بشكل علني ومنظم .

فريق كردستان الرياضي: من بين هذه النوادي في عام 1939 تم تشكيل فريق كرة قدم باسم فريق كردستان واشترك بمعظم الدوريات والمباريات التي كانت تشهدها دمشق، وفي عام 1940 حصل على البطولة في الدوري الذي نظمته نوادي دمشق وكتبت الصحافة (كردستان المنتصرة).

الأرض تكتسب أهمية كبيرة في الجزيرة عام 1945: في ذلك العام بدأ السيد (م.خباز) اللبناني الأصل الذي كان مديراً لمصرف سورية ولبنان في القامشلي بمشروعه في استثمار الأرض الزراعية بالجزيرة, ونجح نجاحاً باهراً حتى انه لقب (بملك الأرض في الجزيرة) ومعه تشجع الناس على استثمار الأرض والعمل فيها، وكنت من بين الذي استثمروا أرضهم في (حالو صفان) بمساعدة المزارعين الكلدانيين الكرد الذين نزحوا من تركيا وكان الإنتاج يوزع بيني وبينهم مناصفة، ورغم اغراءات م .خباز لاستثمار ارضنا إلا انني رفضت الفكرة ونجحت مثل غيري وبمساعدة هؤلاء الفلاحين النشطين في مشروعنا.

تنظيم(هيوا) في السليمانية: كان لهذا التنظيم فروع في جميع انحاء كردستان العراق, وتميز بنشاطه وحراكه بين الجماهير وكان منتسبوا التنظيم من جميع الطبقات, بمساعدته استطاع البرزاني ورفاقه الهروب من السليمانية والوصول الى برزان عام 1943 وبعد فترة وجيزة وبعد ان لملم صفوفه حقق الانتصار تلو الانتصار على قوات بغداد مما حدا (بنوري السعيد) الطلب من البرزاني وقف الأعمال القتالية والوعد بعرض مطالبه على بغداد والموافقة عليها.

البرزاني يزور بغداد وينتزع الاعتراف بحقوق الكرد: زار البرزاني بغداد وحصل على اعتراف الحكومة بالحقوق الثقافية والإدارية لكردستان العراق وفي طريق العودة تم استقبال البرزاني استقبال الأبطال, حينها تكون لدي رغبة جامحة بلقاء هذا البطل وقيادات هيوا في العراق. رفض الإنكليز إعطائي تأشير ة الدخول فكان لا بد من طريقة أخرى.

رحلتي المأساوية العراق: كنت قد تعرفت على أحد قيادات (هيوا) في لبنان حيث كان يدرس صديقي(آمادي) الكيمياء في الجامعة الأمريكية وكان كلما يزور القامشلي فيما بعد قاصداً إياها من الموصل كان يمر عليَ, وعدني (آمادي) بتحقيق رغبتي في زيارة البرزاني ولم يمض الوقت الطويل حتى أرسل الي من يخبرني بأنه في انتظاري في احدى القرى الحدودية.

زراعة الأرز: كنت قد زرعت أطناناً من الأرز عام 1944 وكنت أنتظر

الموسم بفارغ الصبر إلا ان مرسال (آمادي)جعلتني أترك كل شيء والتوجه بالسرعة القصوى نحو كردستان العراق, التقيت بصديقي وكان السفر في الفجر ولم يكد يمض على مسيرنا الساعتين حتى كنا في قبضة الشرطة العراقية التي اتهمتنا في البداية بأننا جاسوسان ألمانيان تم إنزالنا بالمظليات بقصد التجسس, تم اقتيادنا الى المخفر ومنه في اليوم الثاني الى سجن موصل المركزي, وفي مسيرة السجن الطويلة كانت الآلام والمعاناة, والقذارة, والقمل الذي كان يجتاحنا كجيش عرمرم, وصنوف التعذيب التي كان يتعرض له السجناء السمة الأبرز لاثني عشر شهراً طويلاً من حياتي في السجون العراقية, بعد عشرة أيام في السجن والتحقيقات جاء والد زوجة آمادي ليخبرنا بأن السلطات رفضت طلب المحامين الكرد للدفاع عنا, وبأن تهمتنا تحولت من جاسوسين للألمان الى جاسوسين للبرزاني وان فوق يد السلطات العراقية يد انكليزية تتحكم بكل شيء وان علينا الصبر, تم سوقنا بعد ذلك الى بغداد ووجدنا أنفسنا بعد سفر شاق ومنهك في أكبر السجون الإصلاحية في الشرق الأوسط

(رمزي آغا) في السجن: كنت قد التقيت بهذا الرجل ذو الوجه البهي من قبل في لبنان, حيث كان قد أشيع بأنه تم نقله الى أحد السجون في الصحراء المصرية وانه ربما لقي حتفه هناك, (رمزي آغا) هو من أحد الأسر الوطنية العراقية من حوالي (هولير) كان يكره الساسة الإنكليزية ويرى فيهم معاداة للكرد و حقوقهم وكان متأثراً بالسياسة الألمانية، رحل نحو استنبول, ومنها الى المانيا حيث انضم الى منظمة شباب هتلر وأصبح موجه للحزب وجندته المخابرات الألمانية ثم أنزلته مع ضابط ألماني حوالي هولير حيث أمن لهما عثمان ـ وهو من خدم والده بيتا في الريف ـ ولكن سرعان ما اكتشف الإنكليز أمره وأودعوه في السجن وكان رجلاه مربوطتان بسلاسل حديدية تنهي بكرة حديدية ضخمة يحملها بين كفيه حيناً ويسير بها حيناً آخر, ومعه كان مسجوناً ذلك العجوز (عثمان)ورغم آلامه ومعاناته كان يؤمن بعض حاجياتنا ويطلب عدم مقابلتنا في العلن حتى لا يصيبنا أذى وكانوا يذيقونه أشد أنواع العذاب ويهددونه دوماً بالموت، كانت رؤيته من جديد رغم كل ما فيه أمراً مدهشاً لنا لأننا حمدنا الله انه ما زال على قيد الحياة.

التدخلات لإطلاق سراحنا: كان (علي حمدي) وهو مسؤول تنظيمات هيوا في بغداد يزورنا بين الفينة والأخرى يمدنا بكل المستلزمات من طعام وثياب نظيفة وكان يخبرنا بأن الجميع يستخدم نفوذه لإطلاق سراحنا وعلينا الصبر، وان الملا مصطفى البرزاني قد تدخل شخصياً لدى السلطات العراقية والبريطانية وكذلك فعل الوزراء الكرد ولكن دون جدوى حيث ان البريطانيين والعراقيين كانوا يعدون العدة للقضاء على البرزاني والحركة الكردية وضرب كل الوعود بعرض الحائط

سجن العمارة: بعد مرور ثلاثة أشهر من بقائنا في سجن بغداد والويلات التي تعرضنا لها أضربت عن الطعام طالباً نقلي الى سجن خاص بالمعتقلين السياسيين وتمت الموافقة وتم نقلي الى سجن العمارة حيث كانت ظروف الإقامة فيه أفضل بكثير من سجن بغداد.

شخصيات التقيت بهم في سجن العمارة:

النقيب مير حاج : من مواليد 1943 كان قد عين ضابط ارتباط من قبل حكومة بغداد لدى البرزاني.

القاضي عوني يوسف: تهمته انه رفض إدانة الكرد الذين دخلوا العراق دون جواز سفر.

سعيد عبدالغني: من زاخو تهمته انه آوى القاضي عوني يوسف.

عبدالله الشرفاني: زعيم قبيلة شرفان تهمته انه يثير الاضطرابات

صديق شنشل: صاحب ايديولوجية القومية الإشتراكية العربية المعروف بعدائه للشعب الكردي, إضافة الى الكرد والعرب كان في المعسكر بلغار, ومجريون, وألمان.

مميزات معسكر العمارة: كان يدار من قبل الإنكليز وكان مسموح لنا بلقاء بعضنا البعض والتحدث بحرية كما كان هناك مكان خاص يستطيع فيه المعتقلين المتزوجين من اللقاء بزوجاتهم.

تدخل النواب السوريين من أجل إطلاق سراحي: تدخل ستة عشر نائب سوري لدى حكومة نوري السعيد لإطلاق سراحي بعد عدة أشهر من اعتقالي وتم ابلاغي بأنه سيتم نقلي الى بغداد وبعدها سيتم تسليمي الى السلطات السورية, وبعد ان قاربت مدة سجني العام الكامل تم تسليمي الى السلطات في تل كوجر, ورغم محاولات السلطات الفرنسية تدخل بعض عناصر الأمن السوري ورفضوا تسليمي لهم, وقام رئيس الأمن بمرافقتي حتى مدينة القامشلي, ووافق على طلب أخي بإخلاء سبيلي على أن أمتثل للمحكمة حين استدعائي, وبعدة عدة أشهر وصل كتاب المحكمة ولكني كنت قد استفدت من صدور مرسوم للعفو, وطيلة أسابيع كان الضيوف والأصدقاء يعاودونني وقد أطلقوا علي لقب (الناجي من الخطر) من أجل القضية الكردية.

في بيروت: بعد استراحة ليست بطويلة توجهت الى بيروت لدراسة العلوم السياسية في الجامعة الفرنسية وفيها طلب مني كاميران بدرخان الحلول محله كمذيع للبرامج الكردية في اذاعة بيروت، تحمست للفكرة وكانت معظم برامجي تتناول القضية الكردية وحقوق الكرد وما يتعرضون له من مظالم وعن استعدادات كرد ايران لإعلان جمهوريتهم وعن تجهيز البريطانيين قواتهم للقضاء على البرزاني, واستمر العمل طيلة عام 1946 حين وضعت السلطات اللبنانية يدها على الإذاعة واستلمتها من الفرنسيين ومنعت البرامج الكردية, حينها قمت بافتتاح مدرسة ليلية لتعليم اللغة الكردية ودام عملي فيها الى عام 1947 حين حصلت على شهادتي الجامعية وكانت الوجهة هذه المرة سويسرا للتحضير لرسالة الدكتوراه.

سويسرا..... جنة الله على الأرض:

في خريف عام1947 أبحرت عن طريق بيروت وايطاليا نحو سويسرا للحصول على شهادة الدكتوراه وكنت أحسب ان هذا البلد الذي لا يشارك في الحروب, وهو مهد الصليب الأحمر, ويصنع سكاكر لذيذة, وفيه النظام الديمقراطي راسخ, ويوصف بأنه جنة الله على الأرض, لا بد انه يحمل من القيم ما يؤهله لتفهم معاناة شعبي ودعم قضيته, ولكن دهشتي كانت كبيرة وأنا ارى على مقاعد الدراسة ان قلة من السويسريين يعرفون شيئاً عن القضية الكردية, لذلك كانت رسالتي تقتضي فتح باب النقاش حولها وحول معاناة الكرد, وحرمانهم من حقوقهم دون شعوب المعمورة, في عام 1948 انتقلت الى (جيكوسلوفاكيا) بصفة متطوع من الفرقة السويسرية وحاولت أن أطرق باب اذاعتها لشرح أفكاري ولكن دون جدوى, في عام 1948 استقرت الأمم المتحدة في (قصر شابو) بباريس, وكنت من بين الوفد الكردي الذي يحمل مذكرة دبلوماسية عن وضع الكرد ومأساتهم وعندما سدت الأبواب في وجهنا, عزمت على الالتقاء بالمندوبين بشكل انفرادي, انتظرت طويلاً أمام قاعة الاجتماعات وسلمت نسخة من المذكرة للدبلوماسي الدنماركي الذي وعد رغم إلحاحي بقراءتها, دون عرضها على الأمم المتحدة, لم أفقد الأمل وكان الشخص الوحيد الذي استقبلني بحفاوة هو ممثل يوغوسلافيا الذي كان سفيراً في لبنان ويحمل معلومات جيدة حول الكرد وكردستان.

وقد قال لي هذا الرجل ان بلغراد وخلال تاريخها أحرقت ست مرات وسيأتي اليوم الذي تحصل فيه كردستان على استقلالها.

بعدها استدعاني أمين المحفوظات لدى الأمم المتحدة وأخبرني ان قوانين الأمم المتحدة لا تجيز التدخل في الشؤون الداخلية للدول ولكن لا تقطع الأمل وحاول تضخيم هذا الملف قدر الإمكان في انتظار اليوم الذي ستتغير فيه الأمور.

رابطة الطلبة الكرد في أوربا: حرمت الحكومة العراقية أحد الطلبة الكرد من المنحة الدراسية وكان لا بد من تقديم يد العون, وكان ذلك دافعاً للتفكير بإيجاد منظمة تضم الطلبة الكرد في أوربا, وتم ذلك بإرادة ستة طلبة دعوا البقية الى الاجتماع والإعلان عن المنظمة في شهر كانون الثاني 1949 وبعد انتخابي رئيساً لها سمحت لنا حكومة لوزان بنشر صحيفة (صوت كردستان) باللغات الكردية والفرنسية والإنكليزية وكانت الصحيفة تثير سخط الأنظمة الغاصبة لكردستان وكذلك سخط الأحزاب الشيوعية فيها ومنظماتهم في أوربا, لأنهم كانوا يرون فيها ضرب لوحدة الطبقة العاملة وضرب من الشوفينية الكردية فما على الكرد سوى الانصهار في القوميات الكبيرة خدمة للمشروع الأممي.

حضور مؤتمر الشباب الديمقراطي العالمي في (بودابست): رغم محاولات الأحزاب الشيوعية إقصاءنا استطعت بالتعاون مع بعض رفاقي من فرض وجودنا من خلال ارتدائنا الزي الكردي لنثير فضول الصحفيين وبقية المندبين ونلفت نظرهم الى مطالبنا، وفي يوم مناهضة الاستعمار, ألقيت قصيدة كنت قد نظمتها سابقاً عن القائد (مصطفى البرزاني) والتي نشرت في اليوم التالي في الصحافة المجرية, وأعطت لحضورنا نكهة أخرى, حينه اعتبرتني تنظيمات اليسار لدول الشرق الأوسط منبوذاً, وعميلاً, وحاول ممثل الحزب الشيوعي السوري منعي من إلقاء تقريري ولكن دعم أحزاب أمريكا الجنوبية ساعدني كثيراً في طرح التقرير.

وبعد أيام وفي العاصمة البلغارية(صوفيا)حضرت في مقر مجلس الاتحاد الدولي كممثل كردستان وبعدها رجعت الى سويسرا وأنا أحمل نشوة النصر.

وفي عام 1950 أسس (كريستيان نزارا) اللجنة الاوربية لإطلاق سراح (ناظم حكمت) الذي كان قد مضى على حكمه ثلاثة عشرة عاماً وحكم عليه بالإعدام, وكلفتني الجامعة بإلقاء كلمة عنه, وحاول الطلبة الترك منعي إلا أن معد الأمسية سارع الى لجمهم قائلاً: لكم ان تناقشوه بعد القاء كلمته, بعدها حاول بعضهم إلقاء زجاجات الكوكا كولا الفارغة علي لكن تدخل الطلبة الأمريكيين منعهم من ذلك.

ابعادي من قبل الشرطة السويسرية: بعدها استجوبتني الشرطة الفيدرالية وحين استفسرت عن الأمر كان الجواب ان التحقيق معي جاء بناء على طلب السفير التركي الذي يهدد اذا لم يتم إبعادي فستسحب تركيا جميع طلابها من سويسرا, وكان له ذلك إذ أمرتني الشرطة السويسرية بعد عدة أشهر بوجوب مغادرة البلاد خلال خمسة عشر يوم مع عدم الحق بعودتي إليها إلا بعد عامين, ولكن وبفضل محامي صديق استطعت البقاء لإتمام دراستي عبر تجديد إقامتي كل فصل من جديد, والسكن بعيداً في بيت ريفي, وكان هذا البيت يذكرني بكردستان دوماً, وفيه اكتشفت المؤلف الرهيب والعجيب للكاتب الجيكي (فوجيك) الذي يأتي تحت عنوان(مكتوب تحت المشنقة) وهي سيرة حياة استوحيت الكثير منها, وفي عام 1956 حصلت على إجازة الدكتوراه في العلوم التربوية وكانت الوجهة من جديد نحو سوريا.

سوريا من جديد ....ومهام جسام: في نهاية حزيران عام 1956م كانت الوجهة سوريا حيث استقبلني في بيروت أخي وبعض رفاقه بعد غياب طويل وشعور بمهام أكثر جسامة مع هذا اللقب الجديد, حيث كان الكرد السوريون يعقدون علي أمثالي الآمال, فهل تجربتي ودراستي وتأثير النظام الديمقراطي في سويسرا ستؤهلني لأحقق بعض ما يصبوا اليه الكرد السوريين.

سوريا في عهد الوحدة:

كانت سوريا أثناء فترة غيابي قد مرت بتحولات هامة وعلى مختلف الصعد:

فعلى الصعيد السياسي: ونتيجة للتململ من الانقلابات المتكررة, حصل عام1954نوع من الاتفاق بين البرجوازيين والجيش يقتضي بإعادة الحياة السياسية والديمقراطية واطلاق الحريات العامة, ومع هذا المناخ عاد النشاط للشركات التي كانت مقفلة منذ زمن.

وعلى الصعيد الزراعي: ادى التوسع في زراعة القمح والشعير والقطن, الى جعل سوريا بلدا مصدرا لهذه المواد كما ادى الى تطوير في صناعة النسيج والشمندر والسكر.

وفي **مجال التعليم:** كنتيجة لتحسن الوضع الاقتصادي بدأ التعليم وبجميع مراحله ينتشر بين جميع طبقات المجتمع.

العادات: كان واضحا في المدن ان البرجوازيين قد تركوا هندامهم القديم وأصبح ارتداء القبعة مظهرا مألوفا وكذلك الخروج حاسر الرأس وتغير كذلك طباع وزي أهل المهن والحرف.

النساء: كان التطور مذهلا فعند مغادرتي لسوريا كان 99%من المسلمات يرتدين الحجاب وبعد تسع سنوات أصبحت هذه النسبة قليلة جدا.

الجيش: أصبحت 50%من ميزانية الدولة تنفق على الجيش وتم لمه في فيلق كبير بعد ان كان عبارة عن جيش مرتزق تابع للفرنسيين وتحول الى جيش قومي بقيادة الكوادر المنحدرة من البرجوازية الريفية المسيسة. ولكن ونتيجة تفكيره الدائم في الانقلابات وعدم استقراره استطاع ناصر 1958ان يفوز بسورية بسهولة.

في المجال الاقتصادي: كان التحول الأكبر قد شهدته الجزيرة السورية حيث ان ادخال الألة في عملية الإنتاج والتطور الزراعي قد دفع الإقطاعيين الى اجبار فلاحيهم على ترك الأرض والهجرة نحو المدن وهناك تحول هؤلاء الى عتالين وأصحاب حرف وعمال بناء وتجار .وعند هؤلاء تكون المناخ الخصب والملائم لاحتضان الفكر القومي الكردي.

الحزب الشيوعي السوري: كان قد حارب بشجاعة الحكومات البرجوازية والعسكرية الموالية للأمريكان لما بعد الحرب العالمية الثانية, وفي عام 1954 انتخب أمينه العام خالد بكداش الستاليني نائباً في البرلمان السوري, واستطاع ان يقنع رئيس الوزراء البرجوازي (خالد العظم) ببناء علاقات متينة وقوية مع الاتحاد السوفيتي, وتطورت هذه العلاقات من مجال الصناعة والتجارة الى التعاون العسكري وأصبح مألوفا رؤية ضباط وخبراء روس على الأرض السورية.

حزب البعث: حاول بأفكاره العروبية التصدي لشعبية الحزب الشيوعي وكان مؤسسه ميشيل عفلق مروجاً للأفكار النازية قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية 1939 ـ 1945م.

الوحدة بين سورية ومصر: قبل ان يقبل ناصر بالوحدة ,اشترط حل جميع الأحزاب السياسية ,قبل بذلك الجميع وكان البعثيون السباقون لذلك, بينما رفض الحزب الشيوعي هذا الشرط وكذلك فعل الحزب الديمقراطي الكردي.

جلسة البرلمان للتصويت على الوحدة: نائبان فقط رفضا الإقرار هما خالد بكداش الذي سيطرد الى موسكو, وخالد العظم الذي فضل البقاء في سوريا.

الشعب الكردي بين قومية البعث وأممية الشيوعي في سوريا: شعر الكرد بالتهميش أكثر من أي وقت قد مضى وبأنهم مهددون من قومية البعث وبأن الشيوعي السوري قد خدعهم ..... يتبـــع .....

الكرد بين الأطلال والآمال

جان كورد

لم نجد الكورد في ضيقٍ نفسي واضطرابٍ وغمٍّ أشدّ مما هم عليه الآن في هذه الأوقات، فها هي حالهم تزداد من سيءّ إلى أسوأ، حيثما نظرت، ففي شرق كوردستان لا زال الطاغوت الطائفي ينصب لشبابنا المشانق في الساحات العامة وكأن أزدهاك حيّ يرزق ويفتك بهم متى وكيفما شاء، دون رقيبٍ أو حسيب، وفي شمال كوردستان وصل القمع حيال الشعب الكوردي إلى درجة أن السلطة الإخوانية المتزمتة تفعل ما تشاء في المناطق ذات الأغلبية الكوردية، فتطرد نواب الشعب المنتخبين ورؤساء البلديات لمجرّد أنهم كورد ذوو اتجاه فكري مختلف وسياسةٍ تعارض سياسات الرئيس أردوغان الذي يتقلّب في مواقفه كل يوم وكأنه جالسٌ خلف طاولة قمار في أحد النوادي وليس في مقر رئاسة لدولة كبيرة، ولا يكتفي الطورانيون بذلك العداء لشعبنا في شمال كوردستان، وإنما يسعون إلى السيطرة على أراضي واسعة من غرب وجنوب كوردستان يذريعة أن هذه الأراضي التي يسكنها الكورد منذ فجر التاريخ البشري كانت في يومٍ من الأيام خاضعة لسلاطين آل عثمان إدارياً، وهي ذريعةٌ تافهة لأن سوريا برمتها كانت في زمنٍ من الأزمان تابعة للإمبراطورية الرومانية، والعراق كان خاضعاً لملوك الفرس... فهل للإيطاليين والفرس حقٌ في سوريا والعراق؟

ونرى وضع الكورد في اقليم جنوب كوردستان ليس على ما يرام، رغم مرور ثلاثة عقودٍ على نيلهم الحرية التي كافحوا من أجلها عقوداً من الزمن وقدموا لها التضحيات الجسام، فالاقليم يبدو وكأنه كائنٌ برأسين (دو سري)، فالإدارة في بعض المحافظات غير الإدارة في سواها، والديون تثقل كاهل الحكومة في هولير التي تسعى جاهدة لبناء المشاريع الضخمة رغم ندرة الأموال التي تصل إلي أيديها من الحكومة المركزية، والكورد في الاقليم لم يجنوا ثمار الاستقتاء على الإستقلال حتى الآن، بل صدّهم المجتمع الدولي عن نيل استقلالهم رغم أنه كان استفتاءً ديموقراطياً حاز فيه المطالبون بالاستقلال بنسبة تقارب ال93% من أصوات الشعب الكوردي، ونرى الارتجاعات السياسية في الاقليم مع الأسف، رغم العلاقات الاقتصادية والسياسية الجيدة مع العالم الخارجي وزيارات الشخصيات الهامة في العالم للاقليم، ومن أبرزهم بابا الفاتيكان، فوصل الأمر لدرجة أن إدارة السليمانية التي في أيدي الاتحاد الوطني الكوردستاني وحلفائه تسعى لدكّ الكيان الفيدرالي الكوردستاني والتحوّل إلى أحضان الحشد الإيراني في بغداد الذين يعملون على نسف الاقليم الكوردي وإقامة "جمهورية العراق الإسلامية" كخطوةٍ لضمها للامبراطورية الفارسية، وذلك من خلال تشكيل هيئة عراقية دستورية عليا على غرار ما يسمى بمجمع رعاية مصالح النظام في إيران، وإن مجموعةً ممن يفترض فيهم أن يكونوا مندوبين عن الشعب الكوردي في البرلمان العراقي يقفون ضد إرادة شعبهم على الدوام وهم منحازون إلى الذين يريدون ويعملون لتدمير الاقليم الكوردي الذي أقّر الدستور العراقي وجوده ومنحه صلاحياتٍ دستورية محددة. فحقّ للشعب الكوردي أن يطلق عليهم اسم (الجاش الجديد) ومن السياسيين الكورد من ساهم في تنفيذ مخطط الزعيم الايراني قاسم سليماني لانتزاع كركوك (قلب كوردستان) كما سماها القائد الأسطورة مصطفى البارزاني و "قس الكورد" كما قال عنها الرئيس العراقي السابق جلال الطالباني، وفي شنغال (سنجار) الكوردستانية نجد التعاون التام بين قوات حزب العمال الكوردستاني والحشد الشعبي المعادي للكورد وكوردستان ضد إرادة شعبنا وقواه الوطنية التي توصلت إلى اتفاقٍ واقعي وعملي مع الحكومة المركزية في يغداد. إلى اتفاقٍ واقعي وعملي مع الحكومة الحكومة المركزية في يغداد.

أمّا في غرب كوردستان التي يحق لنا تسميته ب(ميتانيا) نظراً لأن تلك المنطقة كانت برمتها جزءاً من المملكة الميتانية العريقة في القدم، ينطبق المثل الكوردي على كوردنا هناك: سقط من الحمل ولا زال بطنطن – Ji hêştir ketiye û hîn jî dike hophop، فإن ثلاثة مناطق هامة وأساسية من اقليم ميتانيا تحت الاحتلال العسكري التركي وتتعرّض للنهب والسلب والتغيير الديموغرافي، بحيث بدأ العالم الحر – الديموقراطي يشعر بأن وضع الكورد تحت الاحتلال التركي وسطوة التنظيمات الإرهابية قد أصبح شبيهاً بما عليه وضع شعب الروهينغا في ميانمار، حيث التقتيل والتعذيب واغتصاب النساء والاستيلاء على الممتلكات الخاصة والعامة وطرد العوائل من منازلهم لإسكان الغرباء عوضاً عنهم، وبخاصة في منطقة جبل الكورد ومركزها عفرين في أقصى شمال – غرب ميتانيا. وهذا ما كان ليحدث لولا السياسات الخاطئة لفصائل من الحراك السياسي الكوردي منذ اندلاع الثورة السورية ضد نظام العائلة الأسدية على وجه الخصوص.

وها نحن نجد المثقفين والناشطين الكورد إجمالاً في وضع شعراء العرب القدامى وهم ينشدون أشعارهم على أطلال الحبائب، فحيثما تنظر تجد لقاءاتٍ ونقاشاتٍ وطلعاتٍ إعلامية في وسائط التواصل الإجتماعي ومقالاتٍ باللغات المختلفة وتأوهاتٍ للمطربين المتألمين بسبب ما جرى لشعبنا وما يجري حتى الآن، حيث الحراك السياسي لغرب كوردستان يسجّل فشلاً يعد فشل وكأن زعماءنا غير قادرين على تأسيس منصةٍ مشتركة تليق بالأوضاع التي يعيش فيها شعبنا الآن، أو لا يرغبون في بنائها أصلاً.

إلاّ أن قلوب الكورد مفعمة بالآمال في أن نوروزهم في هذا العام بعد أكثر من 2600 عاماً من دحر طغيان أزدهاك سيكون بدايةً للتحرير والخلاص من نير العبودية للآخرين، فإن راية كوردستان تخفق على ذرى جبالنا المروية بالدماء، وحيث نرى تجمعات وتظاهرات ولقاءات الكورد، في شتى أنحاء العالم، ونشيد أي رقيب نسمعه في كل اجتماعٍ للبيشمركة ولمتسبي الأحزاب ومدارس الكورد، وصور القادة العظام وفي مقدمتهم الرئيس الشهيد (القاضي محمد) والرئيس الخالد (مصطفى البارزاني) في كل مناسبة قومية كوردية في العالم، والآلاف من شبابنا يسعون كل يومٍ جديد لتعلّم لغة آبائهم وأمهاتهم التي حاول الطواغيت منعها والتضييق على الذين يكتبون بها لعقودٍ طويلةٍ من الزمن. وهذا دليلٌ ساطع على أن الكورد أمةٌ متميّزة عن سواها وتكافح من أجل حريتها واستقلالها وهي مستعدة لدفع الثمن كما قال عنها جواهر لال نهرو في رسالةٍ بعث بها من السجن لابنته.

نعم، إن الغناء وانشاد الشعر على أطلال الماضي الكوردي مهمٌ لأن القوم الذي ينسى تاريخه لن يستطيع بناء مستقبله بشكلٍ صحيح وجيد، وفقدان الأمل يدفع بالإنسان إلى اليأس والقنوط والضياع. لذا على الكورد النضال من أجل إعادة إحياء كل النقاط المضيئة في تاريخهم وتذكّر كل المذابح والانتكاسات والهزائم المريرة وجداول الدماء التي سالت منهم على طريق الحرية، كما عليهم الاستمرار في اتحادٍ وتضامن واتفاق بين سائر مكوناتهم وطبقاتهم وطوائفهم ومذاهبهم لانتزاع ما هو حقٌ لهم أسوةً بكل شعوب الأرض من دون أن يفقدوا الأمل.

وأهمس هنا لهم بألا يقنطوا من رحمة الله...

فإنه لا ييأس من رَوحِ الله إلا القوم الكافرون...

في يوم المرأة:

النساءُ تُقتلُ أم تنتحر في بلادنا؟

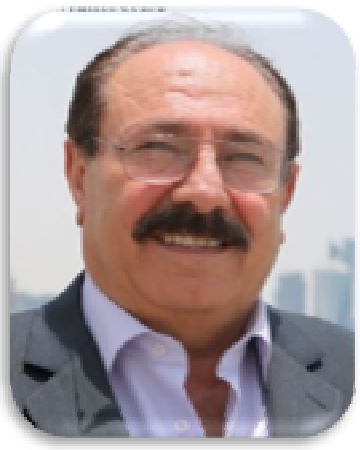

كفاح محمود كريم

ربما كان عنوانا صادما لكنه في واقع الحال يُعبر عن مأساة كبيرة تتمثل في ارتفاع نسبة ما يسمى بالانتحار لدى النساء، وفي معظم المجتمعات من المدينة الى الريف، رغم ارتفاعها في كثير من الاحيان في المدن والبلدات الصغيرة، الا انها تعكس نمطا مخيفا اذا ما عرفنا بعض الحقائق التي تؤكدان معظمهن يُدفعن الى عملية تقتيل انفسهن خارج ارادتهن، أي بمعنى هناك عملية قتل مع الاصرار والترصد والتنظيم وهي جريمة كبرى وإن خففتها بعض الاعراف والتقاليد، والمشكلة الأكبر هي ان حالات الانتحار ارتفعت تدريجيا منذ 2003 وحتى اليوم، حيث تُشير دراسة لمركز البحوث التابع لمجلس النواب العراقي نشرت عام 2014 تحت عنوان "انتشار الانتحار في العراق – اسباب، ومقترحات" تسجيل 1532 حالة انتحار بين عامي 2003 و2013،

بالاعتماد على إحصائية "مجلس القضاء الأعلى"، وبمقارنة تلك الأرقام مع ما سجلته المفوضية العليا لحقوق الإنسان للفترة بين 2015 و2017 والبالغة أكثر من 3000 حالة، نكتشف تضاعف حالات الانتحار مرات عدة، خاصة بين النساء، وبحسب إحصاء مجلس القضاء الأعلى، فقد واصلت أعداد المنتحرين تصاعدها عاماً بعد آخر، إذ سجل عام 2013 النسبة الأعلى لحالات الانتحار بـ439 حالة انتحار، تلاها عام 2012 بـ276 حالة انتحار، ثم عام 2011 بواقع 253 حالة، و2010 بـ161 حالة، وعام 2008 بـ103 حالات، و2009 بـ95 حالة، ثم عام 2007 بـ64 حالة، و2006 بواقع 51 حالة، و2005 بـ46 حالة، و2004 بـ31 حالة، و2003 بواقع 13 حالة.

أعود الى يوم او عيد المرأة الذي اعتدنا على الاحتفال به والتنافس فيه على القاء الكلمات الطنانة خاصة من بعض الرجال، ولن أخوض في تفاصيل يوم المرأة أو عيدها بقدر اهتمامي بأمرٍ آخر، ربما يُكدِر هذا العيد ويفرغه من محتواه وهو أكثر أهمية ربما لأنه يتصل بشكلٍ مباشر بحياة المرأة ووضعها في مجتمعاتنا الشرقية عموماً وباستثناءات لا تخضع للقياس العام، فمعظم من ينادي بحقوق (الحرمة) إنما يتجمل كذباً وادعاءً أو أنه يبغي منفعة لا علاقة لها أبداً بالنساء وخاصةً اللائي من حوله. حيث يمارس ازدواجية لا مثيل لها في إعطاء وجهين مختلفين تماماً، فهو ينادي في المحافل العامة بحقوق المرأة والمساواة وما إلى ذلك من كليشة المجتمعات المخملية التي ينفش فيها ريشه أمام نساء خلق اللّه، بينما يمارس دور دكتاتور شرقي مع زوجته أو معيته من بنات آدم وحواء.

هذه الاستثناءات ربما كما قلت لا تخضع في حجمها الحقيقي لأي قياسٍ يُذكر، والدليل على ذلك هو هذا الوضع المتردي لوضع النساء في ظل دولة تأسست منذ ما يقرب من قرن من الزمان وما زلن صاحبات تاء التأنيث الساكنة أكثر سكوناً من تائهن ومراوحة في مكانهن، بل قل معي إن أوضاعهن في تقهقرٍ مستمر منذ أصبحن يمثلن عقلية الرجل في مجلس النواب ويتبرع لهن بعدد محدود من المقاعد التي لا تمثل في حقيقتها إلا ثقافته، ومع جلّ الاحترام لمبدأ تمثيلهن في المجالس التشريعية إلا أن ما حصل ويحصل في بلاد كانت تتعامل مع النساء قبل خمسين عاماً أفضل بكثير مما هو عليه اليوم، ولعلّ ارتفاع معدلات ظاهرة قتل النساء أو كما يطلق عليها انتحارهن يؤكد بما لا يقبل الشك دور الرجل الرئيسي في هذه المجازر المشرعنة تحت أبوابٍ شتى، فما من امرأة مقتولة أو منتحرة إلا وكان ورائها رجل دفعها للانتحار غصباً عنها وخارج إرادتها...

وقد أكدت كثير من ملفات الانتحار النسائي إنهن قتلن بأسلوبٍ انتحاري، أي بمعنى وضع السم بالقوة في أجوافهن أو حرقهن، وقد استمعت ذات يوم قبل سنوات إلى اعترافات امرأة حول كيفية وفاة ابنتها المنتحرة، والتي انتشرت دعاية في القرية بأنها على علاقة برجل من غير دينها، قالت أمها إنّ والدها قال ادخلي ابنتك في الحمام وحينما أدخلتها إلى هناك كان يحمل صفيحة من النفط الأبيض سكبها عليها بالكامل ثم أشعل فيها النيران وقفل باب الحمام وأجبرني أنا أيضاً على مغادرة البيت، حتى عدنا بعد ساعات لكي نرى كومة من الفحم، وبالتأكيد قيدت القضية لدى القضاء الخاضع لأعراف البداوة والعشيرة ضد الفتاة ذاتها متهماً إيّاها بأنها قد انتحرت غسلاً لعار أبيها، وهناك الكثير الكثير من هذه الجرائم التي تقع في مجتمعاتنا تحت سقف العادات والتقاليد بينما يمارس القضاء أبشع أدواره في التستر عليها وإشاعتها تحت مبررات وأعراف بالية وكاذبة ليس إلا!

ويبقى السؤال الأكثر مرارة حول هذه الازدواجية القاتلة لدى كثير من الرجال والنساء في موضوعة الموقف من حقوق المرأة كإنسان يعيش في مطلع الألف الثالث، ويجبرها على الموت انتحاراً لأسباب واهية وكاذبة وخارجة عن الشرع الذي لديه آلية لو نفذت كما أراد الله لما شهدنا قتل امرأة كل قرن من الزمان، وبعد ذلك هل أن الربيع العربي والكوردي والإيراني والتركي وغيرهم ممن يشابهنا ربيعاً ذكورياً ليس إلا، وأن كل ما يحصل الآن هو مجرد تغيير في الأسماء والعناوين، بل أن ما يحدث اليوم في كل من العراق واليمن وسوريا وليبيا وغيرهم، يعيد النساء إلى حقل الحريم والقتل انتحاراً تحت مظلة أعراف وقضاء تقيّده قوانين الخيمة والصحراء والقبيلة والقرية!؟

هل قتلتَ يوماً شاعراً كبيراً؟

فراس حج محمد

دائماً، أفكر بهذه المسألة على نحو جَدّيّ جداً، أمتعض إذا ما وصفني قارئ بأنّني نزاريّ السمت والأسلوب والنهج، أصاب بالخنَس في داخلي، كيف لي أن أُبْعد نزاراً أو درويشاً أو أدونيس أو أيّ شاعر على شاكلة هؤلاء عن حوافّ قصائدي وأن أتخلّص من وهجهم الشعريّ؟ ليس بُغضاً لهم أو كرهاً لشعرهم، بل حبّاً لذاتي، وتقديراً لمشروعي الشعريّ الذي أمضيت زمناً طويلاً وأنا أدافع عن أحقيّة وجوده في سياق الشعر الحديث.

قد يشعر بعض الشعراء بالزهو، وقد تمّ تشبيههم بأدونيس، أو درويش، أو نزار قبّاني. يبدو هؤلاء الشعراء هم وحدهم مقاييس الشعر في العصر الحاضر. بشكل عامّ لا أرى في صالح الشاعر أن يقال له إنّك تشبه أدونيس أو درويشاً أو نزار قبّاني. هذا يدلّ على التقليد وفقدان الشاعر لصوته، فلم يكن ناجحاً كشاعرٍ بالقدر الكافي؛ ليكون هو نفسه مدرسة خاصّة متفرّداً بصوته، ولم يستطع بشعره أن يُنسي القارئ تلك الأصوات الراسخة في عالم الشعر. إنّه وجهٌ آخر مخفيٌّ من وجوه الرداءة.

ربّما الجهل بعوالم الشعر هو الدافع لتأطير الشاعر الجديد في قوالب قديمة، أو مدارس معروفة، أو لعلّه الاستسهال وعدم الاطلاع الكافي. كيف لشاعرٍ أن يشبه شاعراً آخر؟ لا أظنّ أنّ الفكرة مقبولة، كأنّ الشعراء نُسَخ عن أصل. لن يكون الأمر في صالح الشاعر المنسوخ، فهو ليس منسوخاً فقط، بل سيكون ممسوخاً أيضاً. نعم إنّه ممسوخ، فمَن مِن الشعراء يرضى لنفسه أن يكون منسوخاً ممسوخاً عن أيّ شاعر، ولو كان شاعراً عظيماً؟ إنّ أسوأ طعنة في قلب الشاعر أن يقول له قارئٌ إنّك تشبه درويشاً أو أدونيس أو نزاراً أو لوركا. إنّها طعنة مسمومة ليس لها شفاء إلّا بالصمت المطبق. من وجد ذلك فليبتعد عن لغته القديمة، ويفتّش له عن لغة جديدة وبحر جديد يغرف منه جنونه العبقريّ. أو فليصمت، ولا يعيد إنتاج اللغة ذاتها أو الصورة عينها، لأنّه لن يكون ماهراً إلى حدّ إخفاء الأصل، سيكون عمله تشويهياً من طراز قلّ نظيره.

الشاعر الحقيقيّ هو من إذا قرأه القارئ يُحدث لديه غربة ودهشة وضياعاً في اللغة والصورة؛ تُنسي المتلقّي كلّ الدراويش الدرويشيّين والأدونيسيّين والنزاريّين. كأنّه يَقُدّ لغة جديدة، غريبة عن كلّ لغة معروفة. لغة له وحده، من صخره هو، من منجمه، من معمله، من تجاربه، من لحمه الحيّ؛ فيها رائحته هو، وبصمته هو، لا يسير على منوال أحد، بل يخترع له طريقاً بكراً معتمة تضيئها عيناه، وتحفر مسربها يداه. يشقّها بالمغامرة، فيكون قائداً، ولا يهمّه بعدها من سار فيه وتبعه. فمن رضي أن يكون تابعاً في الشعر، فإنّه سيظلّ ذليلاً بين أيدي القرّاء وعقولهم وتصنيفاتهم وأوصافهم العابرة، سيعيش شاعراً مُقزَّماً، ومصنّفاً. إنّ خير الشعراء شاعر أربك المشهد والنقّاد جميعاً، واحتاروا أين يضعونه، وفي أيّ تصنيفٍ يحشرونه، وعلى أيّ منهجٍ بحثيّ يقلّبون قصائده، ليولد وحْدَ نفسه، لا شريك له في شعره لا من قريب ولا من بعيد، كافراً كفراً مطلقاً بشركاء الصنعة الشعريّة.

ليس هناك ما هو أخطر على الشاعر من شعر غيره. على الشعراء أن يفرّوا من الشعر، ولا يقربوه، إذ ليست مهمّة الشاعر أن يقرأ شعر غيره. ولا أن يتذوّق قصائد غيره، ولا أن يتأمّل مجازات غيره، بل إنّ الشعراء مفسدة لذائقة الشاعر الخاصّة، فكلّ قصيدة مكتوبة هي اقتراح جماليّ للغة أصبح باهتاً بمجرّد ولادته، لا يُلتفت إليه عند الولادة القادمة ولا يُحفل به، ولا يطمح إليه شاعر حقيقيّ ليكون له؛ لئلا تختلط مع ذائقته الصانعة شوائب صنعة غيره في كلّ اقتراح جماليّ مولود، فيتوه، ويُصاب بالدوار وبالصرع، والمسّ المرَضيّ، ويصبح لا شعراً أعطى ولا بيتاً أبقى!

هؤلاء الشعراء الثلاثة (أدونيس، درويش، نزار قبّاني) شكّلوا مدارس راسخة في الوعي الجمعيّ للقارئ في فترة زمنيّة ممتدّة لأكثر من نصف قرن، كيف للشاعر الجديد أن يتسرّب إلى الوعي الجمعيّ ليزحزح أولئك الشعراء عن مركز تفكير القارئ، وأن يُوجد له مقعداً بجانبهم؟ عليه أن يفكّر بالكرسيّ/ الشعر الذي سيتركه في العقل، ليكون شاعراً راسخاً يُشار إليه، أسوة بهؤلاء "المدارس" من الشعراء. فلا تترك صورة هشّة للكرسيّ في عقل القارئ، فإنّك عندئذ لن تستطيع الجلوس على كرسيّ هشّ موضوع في عقل قارئٍ اطمأنّ إلى ما لديه من كراسي الشعراء الراسخين.

كم يحتاج الشعراء الجدد إلى قتل الشعراء الكبار، ليولدوا بحرّيّة دون قيد أو شرط أو تصنيف عرّضيّ ظالم. ولكنْ، هل سيعرف الشعراء الجدد كيف يُقتل الشاعر الكبير؟

حرية الإعلام

أحمد مرعان

لستُ إعلامياً، ولا أعمل في هذا المجال..

_الإعلام المهني: نقل المعلومة بحيثياتها الواقعية من الأرض والموقع عبر وسائل إعلامية (صوت، صورة) إثباتاً للرأي العام من قبل الصحافة..

_الإعلام المضلل: يبغي تحقيق أهداف معينة، ولجهة محددة، ضمن أجندات تخدم أطراف لها مصالح خاصة، من خلال إعطاء صورة مضللة للحدث ذاته..

_الصحافة الصفراء: تضليل الحقيقة بوجه آخر يخدم مصلحة الصحفي نفسه، أما لغايات مادية أو شهرة أو خدمة لمؤسسات بذاتها، ومرتبطة بجهات معينة..

عموماً للصحافة أسس ومعايير وأخلاق، وفق المنهج التعليمي للصحفي، بعيداً عن المحسوبية، وتحقيق السبق الصحفي لإعطاء الصورة الحقيقية للإعلام لإجراء التقاطعات اللازمة، وتحديد ماهية الهدف من خلال استجماع مجموعة الآراء، والاستخلاص إلى النتائج التي تهدي إلى صوابية الموقف والقراءة الصحيحة لوضع الحلول المناسبة والمعالجة، ونقل المعلومة بأمانة مهنية وحيادية مطلقة للصحافة (المسموعة، المقروءة، المرئية) لتكوين النظرة الشمولية لدى المتابع..

والملاحظ عدم وجود تلك الصفة لدى أي صحفي لتحقيق الهدف، لا على الصعيد المحلي ولا على الصعيد الدولي..

كلهم يعملون ضمن دائرة مؤسساتية تخدم سلطة البلد التابع له، وإلا سيوضع على الرف بعيداً، ولا يؤخذ منه أي تحقيق صحفي، ويهمل ويتناسى كل مجهود قدمه، وحتى لا يسمح له بالمشاركة ما لم يكن مقرونا بموافقة من الجهات الرسمية ذات العلاقة..

إذاً: أين ممكن أن نلاقي تلك الصحافة المزعومة والمدعومة والمعتمدة..

هذا ما يشكل خطراً على تلك المهنة، التي هي مصدر المعلومة للاحتكام الى ما قيل وقال، ويبقى الأثر الصحفي دون قيمة وفي مهب الريح، إن لم يكن مستنبطاً من واقع الحدث..

فإن كنت صحفياً، لا يسمح لك بنقل الخبر من الرقعة جغرافية (موقع الحدث) إلا بموافقة الجهات المعنية والمسؤولة عن تلك البقعة، وربما تنعت بتهمة الخيانة والعمالة لجهات أجنبية، فيكون مأواك الزنازين والمعتقلات..

فأي صحفي سيخاطر ويغامر بحياته ولقمة عيشه، مقابل كلمة حق عند سلطان جائر..

ومنه سيكون عدم كفاية الأدلة لدعم التقرير الصحفي ان لم يكن حراً ومباحاً وله ما يريد، وبحماية القانون الدولي، أما تسمية السلطة الرابعة للصحافة ليس إلا ضحكاً على الذقون..

وما نراه على وسائل التواصل الاجتماعي من بث برامج وآراء لمواضيع مختلفة من وحي الأحداث على الأرض، تُعزى إلى أنها لا تمثل سوى رأي صاحبها القائم على البث، ولا تعتمد من الجهات الرسمية لأخذها بعين الاعتبار، والبناء عليها، لتكون مسوغة للتأثير على القرار من قبل السلطات التي يحتكم إليها..

وبالتالي كيف الخلاص من تلك الظاهرة المقيدة بأيادي سلطات الأمر الواقع، وفق الرقعة الجغرافية، والتي لا تمثل إلا المتحكمين بمصير القائمين عليها، مع أن المادة الإعلامية تكلف عبئا مادياً ومعنوياً علي الصحفي الحر لنقل المعلومة، فنرى في أغلب الدول المتحضرة والمتطورة وجود رسوم على متابعة الوسائل (راديو، تلفزيون) لدعم الصحافة، ومع هذا فهي تفتقر إلى المهنية اللازمة إلى حد ما، ما لم تكن تابعة لمؤسسات إعلامية معتمدة ومرخصة، أو لأحزاب ذات تأثير في التمثيل ضمن الدولة القائمة..

وما نستنجده من الجهات صاحبة القرار بحماية الصحافة الحرة ودعمها لنقل المعلومة بحيادية مطلقة إلى الرأي العام، لتكون ذات وقع حقيقي للحدث، لتكوين فكرة لدى المتابع على مبدأ: البيِّنةُ على من أدّعى..

فإن صُلحت هذه السلطة، صُلح المجتمع كله ../..

دور الشباب والوطنيين في بناء المجتمعات

خالد بهلوي

عبر التاريخ وخاصة في مناطقنا حيث هيمنة التفكير والعقلية العشائرية إذا أحدهم قتل شخصا اخر في حالة غضب او لأخذ ثأر معين، يقضي حياته خائفا يترقب أي لحظة ان يقتّل. ويصبح يشك بكل انسان يراه ويعتقد انه العدو وينوي قتله، لا يهدأ له بال هو واسرته في بيته ولا يشعر بالأمان والاستقرار. فماذا عمّن قتل وعذّب وظلم مئات الالاف على مدى سنوات متتالية!؟ هذا الظالم الذي يحتكر القوة والسُّلطة والسلاح والاعلام. ومع كل ذلك فهو خائف. يرتجف من الشعب عندما يتحرك ويطالب بالإصلاح او الديموقراطية الحقيقية خاصة إذا كانت مطالبهم انتخابات نزيهة شفافة أو تغيير النظام الشمولي الذي مارس بحقهم على مدى سنوات كل اشكال الظلم والطغيان.

عندها يجد الحاكم الحل الوحيد ان يسجن من يدعو للحرية والديموقراطية وإذا كان الناشط يعيش في الخارج يسجن أقاربه. النظام الشمولي يخاف حتى من أقرب الناس له خشية أن يتآمروا عليه. لا يثق بأحد.، ينام في أحضان الكوابيس ليل نهار، وفى تاريخ حكومات الشرق الاوسط من قتل ابنه أوأخاه او والده او ابعد والده بقوة ليستلم السلطة مكانه!!.

حان الوقت ان يكتب تاريخ الكثير من الحكومات العربية الفاسدة من جديد بقلم الحرية والسلام والعدالة؛ لهذا كان القرار الثوري الشجاع الذي اتخذه الكثير من الشباب وقاموا بانتفاضات وثورات في كثير من الدول ليفتحوا طريق جديد إلى المستقبل ويبنوا دولة مدنية وديمقراطية مستقلة ذات سيادة كاملة تعطى الحقوق والواجبات فيها على أساس المواطنة والحقوق المشروعة لكل الأقليات المتعايشة عبر السنين خاصة بعد سنوات طويله وشاقه من الفقر والاضطهاد والظلم. لهذا يعتبر نهوض الشعوب حالة طبيعية للبدء بالتغيير الفعلي ووضع الأسس الصحيحة للديمقراطية والسلام والكرامة والحرية.

امام تضحيات ونضالات الشعوب لم تستطع الكثير من الانظمة الشمولية الظلامية رغم طغيانهم وجبروتهم المعهودة ان يستمروا بالحكم ويكسروا إرادة التغيير والحرية في أعين شعوبهم الذين ينظرون للمستقبل بواقعية لهذا كانت حركة الشوارع والمدن والقرى عامة وشامله لإنقاذ الانسان من الظلم والديكتاتورية بأشكالها المختلفة والانتقال لواقع يتحقق فيه تطلعاتهم في العيش بحرية وسلام ورسم خطوط مستقبلهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ما حدث في هذه الثورات ان القيادة لم تتاح للوطنيين المخلصين رغم التضحيات الجسام التي قدمت والاف الشهداء وملايين المهجرين قسرا الى اصقاع المعمورة: المأمول ان التضحيات يجب أن تتدفق وتنساب في مسارات التغيير الجذري وتحقق شعارات الكرامة والحرية والديموقراطية

فبدون طاقات الوطنيين والمخلصين وخاصة الشباب لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تخطو التغييرات خطوات متسارعة نحو المستقبل وتحقق النهضة الثقافية والسياسية والاقتصادية وإصلاح العلاقات الإقليمية والدولية ،كما حدث في الكثير من دول العالم التي شهدت ثورات وفتحت المجال للوطنيين المخلصين حتى ظهروا قدراتهم وتمكنوا من قيادة اوطانهم بمفاهيم حديثة تتناسب وطموحات وحقوق شعوبهم المغلوب على امرهم عبر المؤتمرات والمنتديات والبرلمانات والمنصات الإعلامية المختلفة .

أننا نعيش عصر التغيير وإعادة تشكيل حكومات وبرلمانات يجب ان تمثل شعوبها بشكل حقيقي وتدافع عن حقوقها وتسعى لتحسين وضعها بشكل مستمر لبناء مجتمع إنساني حر لكل المواطنين

سينوغرافيا الموت

هند زيتوني

لم يعد الحُبّ الخالص موجوداً. الحب الذي يقل فقط متاح الآن. نتجرعه مع القهوة الرخيصة، كالسجائر الرديئة التي تصيبنا بالسعال المزمن. كالجنس المحرم الذي نمارسه وراء الجدران. هذه الأرض لم تعد تنفع لشيء. إلّا للدوران بشكل عكسي. يبدو أنها تدور باتجاه قبلةٍ الموت. نستيقظ في الصباح نكتب كل يوم في صفحة الفيسبوك لروحه السلام والسكينة ولكم طول البقاء من بعده. (والله طول البقاء صارت دعوة سيئة في هذا الوقت! جرب بس أنت وحظك لو حابب تبقى، ذنبك على جنبك).

نخاف أن ندخل إلى الواتسأب ليقال لنا الصديق الذي كان على جهاز الأوكسجين سلّم أنفاسه المتقطعة. وقرّر أن يمتطي قطار المحطة الأخيرة. قد تذهب النساء لشراء بعض الحاجيات ويعدن إلى المنازل بأكفان بيضاء.

لقد أصبحنا أبطالاً حقيقيين؛ لأننا نخرج كل يوم لنواجه أيامنا السيئة، ومصائرنا الخفية التي تخبئ لنا الحظ المنكوب. مثل بلادنا المهزومة.

نحن نكرر كل شيء، نقف في طوابير الخبز ولكننا نخشى من دقيق الفجيعة. نقف وراء الجنائز لنؤدي تمارين الموت. ندعو السماء كي ينتظر عزرائيل قليلاً لنسدد الفواتير الثقيلة التي تحتاج ربما لسنوات ضوئية لتسديدها.

نشتري الرصاص والمدافع وليس في جيوبنا ثمن سندويشة فلافل. ندع فتات القهر على طاولات الأطفال. ليذهبوا إلى النوم بمعدة خاوية. الأطفال الذين يحلمون بأرجوحة العيد وكعكة الميلاد. نهدم المدن لنعيدها للعصر الحجري. الرجل البدائي كان إنساناً محظوظاً لم ترتجف الأرض من تحته كل يوم بالمدافع الثقيلة والانفجارات. ضربة سكينة سريعة بيمشي الحال، لو كره شخصاً أو أحبه حباً قاتلاً وأراد الخلاص منه.

نطلب من المخرجين، والممثلين والنحاتين والفنانين أن يحضروا لسينوغرافيا الموت وليس للمسرح الحقيقي. الفن الحقيقي الآن هو التفنن بتعذيب البشر والإبداع بإيجاد ميتّة مختلفة لهم كل يوم، انفجار بقنبلة، انفجار من القهر من الجوع، من الانتحار، من التعذيب اليومي المريع والجري وراء لقمة العيش المستحيلة.

يبدو أن الإله غير غاضب منا كثيرا فهو يأخذنا بالتقسيط المريح ليريحنا من هذا الكوكب المريض والمتعفن. ننظر إلى السماء فلا نرى إلا نجوماً ذابلة يكتسحها الدخان. والأرض ترحب بقتلاها وكأنها تحتفل بعرسٍ جماعي من أجل مكافحة وحش الغلاء. في عيون الشباب أحلام مقتولة وآمال مبتورة. أفواه تطلق أنين الجوع الذي حل بدل عويل الرصاص. وكأن الفرج أصبح كمن ينتظر القيامة الكبرى.

أنا الآن جرحٌ عظيم في هيئة امرأة، فتاة، أو سيدة.

حزينة على شعبٍ أصبح يمشي ويتحدث مع نفسه.

نظرة فلسفية حول التنازع

ريبر هبون

يلتقي الخصوم و الأبرياء ليساعدوا بعضهم بالتزامن مع حرب بعضهم بعضاً، ليتم إثبات خيرية الإنسان في ماهيته، من كونه في الجيش مجرد مأمور، يعيش تناقضاً لاذعاً بين أن يكون ذلك الآتي لإنجاز مهمة حسب الطلب والأوامر، وبين أن يكون ذلك الإنسان الذي ما يلبث أن يستيقظ ليعبر بصدق عما يخالف المهمة، وهو أن البشرية في احتضار واستنزاف جراء حروب عبثية لا تجلب سوى الدمار العام لجميع الأطراف، حيث الوجود سفينة، ودمار جزء منها لو بسيط يعني فناء من على ظهرها.. فالانتصار للإنسان يعكس في مضمونه ثقافة عالية المستوى، ويتجلى من خلالها إرث الحضارة العاقلة التي بشر بها المعرفيون منذ الأزل، واستطاعوا صونها عبر اعتمادهم على التواصل الفكري وتدشين أواصر الحب عبر أسسه المتينة، بالتزامن مع أفعال السلطة المولعة بالحروب والاحتكار الربحي، فعقد الأواصر الفكرية المشتقة أساساً من العلوم الإنسانية يعطي دلائل يمكننا اختزالها فيما يأتي:

• إيجاد البديل الحقيقي عن مظاهر التنازع الإيديولوجية التي سادت الخطاب القومي، والمذهبي وإبراز قيم الحياة الفعلية عبر البحث عن خيرية الإنسان وطبيعية دوافعه الأولى، فيما لو تجلت، حيث اعتمدت الكتابة المعرفية على إظهار النداء الروحي الجمالي الخارج من مدركات الإنسان المعرفي في إنهاء الكوارث التي تتم بيد الإنسان.

• تتضمن أيضاً التعريف بالإمكانات الفعلية للإنسان في مواجهة العوائق التي تحول ما بين ذاته وقناعاته الطبيعية، ولاشك أن التعاطي الإنساني للمأساة، والتعاطف معها، هو نشاط حقيقي وجداني لممارسة الطمأنينة المفتقدة في زمن الحرب والتصارع الوحشي ..

• الاعتماد على التعريف بجودة الفعل الإنساني المتأتي من روح الطبيعة التي يجسدها الإنسان الساعي لعقد الأواصر الطبيعية بينه وبين الضحية، عبر تجسيد مظاهر هذا التعاطف الأمر الذي أحالنا لتفسير الدوافع التي تقف وراء عملية صناعة الخير، وهو إحقاق الجمال الكامن لدى الإنسان الطبيعي..

• السعي وراء فعالية الطبيعة الخيرية لدى الإنسان، وتجسيدها، على دوافع الرغبة والهيمنة التي يتم استثمارها لاستنزاف موارد الشعوب، والتحكم بها، عبر التصارع القويم ضد ممارسات تتم عن ضعف لابد من محاربته، والانتصار ما أمكن لقيم السلام الحقة..

• بيان حقيقة السلم الطبيعي المستوطن نفوس الجماعات الهاربة من البطش والتي تشكل المرأة النسيج الرئيسي المتأثر بكل انهدام على مستوى المعايير الأخلاقية المنتهكة في الحروب، وكذلك خلق الحلول الواجب العمل بها، لتخليص المجتمعات من إفلاس المنظومة الربحية، لهثها وراء المنافع على حساب الدمار على كل المستويات.

الكوارث المحتملة على الجماعات الفقيرة هي بمثابة الألم الأكثر تجلياً، فهم يندفعون لمواجهته بأبسط ما لديهم من إمكانات، لكن الأمر الأكثر ألماً هي عقلية المتنفذين الجاثمين على صدورهم، المنكبّين على أرزاقهم واحتياجاتهم، بدلاً من أن يقفوا إلى جانبها، وهذا ما يجعلنا نذهب للتحليل حول صراع الطبقات الاجتماعية، في تفسيرنا لتلك التداخلات فيما بينها ، والتي تفرز فيما بعد هذا الانقسام الاقتصادي والاجتماعية والصراعات من باب عرض الفلسفة السياسية الماركسية، الساعية بدورها لمعالجة هذه الإشكالات التي تصيب المجتمعات منذ القديم، حيث أن الحكومات هي وسائل معاداة لحياتها وعملها ولعل كارل ماركس وفريدريك انجلز هم الذين أكدوا الإنتشار العالمي لهذا المفهوم، حيث أشاروا مراراً في حديثهم عن هذا الموضوع الكبير بتمثلهم بنتيجة أن هذا الصراع المعقد هو محرك التغيرات الإجتماعية والتاريخ الحديث.

تجسيد حقيقة هذا التنازع الرهيب بين أرباب القوة والفئات المنكوبة، تلك المعانية من الفقر و شظف العيش، الشرخ الطبقي يشير إلى حقيقة أن الحكومة الاستبدادية القائمة هي من تعزز الهوة بين الطبقات، ولعل اللعب على وتر التحايل المكشوف على المجتمعات المنكوبة هو الأمر الذي يسهم في خلخلة المعايير والقيم الأخلاقية داخل المجتمعات بشكل عام، مما نجد السلطة إزاء ذلك تقوم ببث ونشر تصرفاتها السلبية داخل أوساط المجتمع وفئاته، حيث تحول بعضهم إلى تابعين لها، وهؤلاء التابعين يقومون بأداء مهمة أكثر شناعة منها، إذ أنهم يقومون بتحويل النهب والسلب إلى قانون مستدام، وهذا هو الأبشع والأسوأ في تاريخ المجتمعات، ناهيك عن الفقر لما له من تداعيات ونتائج كارثية في حياة المجتمعات، مما يجعلها في حالة قلق واغتراب كلية، عن القانون الضامن لحقوقها الطبيعية.

الشعب هو المسؤول عن فساد مرؤوسيه، وصمت الجماهير قادها لتكون كالقطيع الذي يذعن لرعاته، حيث تلك السلطة هي التي تلتف حولها مظاهر محاباة الأقارب، والمحسوبيات، الأمر الذي يجعل من باقي الفئات تعاني الحرمان، إثر تفشي الرشوة والابتزاز، وتحول المدن لمحميات مافيوية يديرها متنفذون يمارسون سطوة النفوذ والاحتيال، ولاشك أنهم على الجانب الآخر منشغلون بنشاطات إجرامية أخرى كالاتجار بالمخدرات وغسيل الأموال والدعارة، ضياع الحقوق والجهود في تلك المؤسسات الخامدة من أي حراك ونهضة وإنعاش، فالسلطة قامت بتلقين بعض فئاتها بحب التبعية والمحاباة، وكذلك عمدت عبر رجالات الدين إلا جعل الطاعة العمياء للمرؤوسين من طاعة الرب، وهكذا تم تحقيق مبدأ التبعية الخالصة بين الجماهير وسلطاتها، لهذا فالمجتمع يتحمل أوزار الظلم الواقع عليه، لعجزها عن تفهم عللها، حيث تصوير الذل القائم يعتبر بحد ذاته مدخلاً لرؤية نقدية لا تكاد تتوقف،

فغاية الكتابة الحقة هي تحريضها للعقل على التمرد والقفز للأمام،فانغماس الذات في نواقصها، لاسيما وإن كانت غارقة في أتون السياسة وأعرافها، أمر يعم الذهن في أقصى ساعاته، لاسيما وإن كانت هذه الذات تعي الحياة الطبيعية دون التواءات وانحرافات فردية عن قيم الحياة الخامة، فهي الأكثر تعرضاً لحقيقة الألم الواقع، فالحوادث على الدوام تؤثر في موازين العمل، وتشي عن حقيقة الصراع التي تتناقلها الأجيال عبر أطوارها المختلفة، حيث يحدثنا هنا عن الصراع بين أعضاء حزب أو جماعة حول استثمار المبادئ شكلياً دون هوادة، حيث تتجلى تلك الأبعاد المتناهية التعقيد في خضم هذا الجدل الذي يعم روح الشخصية الناعتة نفسها بالغباء حيث أن الصراع بين الفئات وفق مفهوم الأكثرية والأقلية لا يكاد يهدأ، بل هو في تصاعد ليكشف لنا بطريقة ما عن حقيقة الصراعات السلطوية التي تستنزف حقيقة المبادئ التي يتحلق حولها الأفراد بغية تحقيقها، ليتجسد لنا الصراع بوجهه الحقيقي، في أي الفئات ينتفع أكثر على حساب الباقين وعلى نحو متشابك، الأعضاء ممن يعيشون خضم الصراع المعيشي هم الأكثر معاناة تحت الضغط النفسي الفردي في ظل الجماعة، في الحديث عن مختلف الجوانب المتعلقة بهذا التنازع العبثي بين طبقة تعاني التخمة وأخرى تعاني الجوع، وفي خضم هذه الطبيعة المعقدة، تتداخل كافة الجوانب ببعضها، لتؤلف سيلاً لا منقطعاً من التوتر والاحتقان المتشابك والذي له بلا شك تأثيرات متعددة تنم عن كثافة في الكدح والعنف وما يتخلله من قلة حيلة وضبابية في الأفق، إذ تتشرذم الأصوات وتعلو وينعكس صداها على ذاتها دون معنى، ويبقى الحل عالقاً في الجو، حيث تعرّف دائرة المعارف الأمريكية الصراع بأنه:

"حالة من عدم الارتياح أو الضغط النفسي الناتج عن التعارض أو عدم التوافق بين رغبتين أو حاجتين أو أكثر من رغبات الفرد أو حاجاته"، لكنه هنا بالمعنى السلطوي بات يعكس ذروة الاحتقان والتنازع حيث أن الصراع بين طرفي القضية المتخم والجائع، له دلالة طبقية بعيدة، فانعدام التوافق والتوازن في حياة الفئات وانقسامها على احتكار القوت هو ما أفضى لحقيقة هذا التنازع الخطير، فالحديث حول الكفاح يمثل المطلب الأكثر معيارية في حياة التنظيمات بيد أن التنافس على الألقاب والأوسمة أيضاً بادٍ، حيث يأخذ الصراع أبعاداً متعددة تعكس عدة رغبات يدور بعضها في فلك الكفاح الجماهيري، وأخرى غايتها كسب المواقف ولفت الأنظار حول ردات الفعل ومعطياتها في المعنى السياسي العام، فالأفراد والجماعات ماضية في تدشين هذا الصراع سلوكاً ومبدأ، والجبهات متعددة منها ما هو بمواجهة الخارج، ومنها ما يتم داخل الحزب الشمولي ذاته بمعزل عن التحديات الخارجية، ولعل الوجهان المختلفان للصراع الداخلي والخارجي متشابكين ومتداخلين بأشكال معقدة ومتباينة، وبجميع الأحوال فالصراع يتركز في النهاية بين طرفين يشتركان في القوة ذاتها والعنفوان ذاته في إتمام هذا التنازع القائم، عاكساً بمجمله صراع الطبقات سياسياً أو قبلياً أوديناً، واللا توافقية هي التي تطفو على السطح في كل ميدان ففي قاموس الكتاب العالمي، فإنه يعرف الصراع بأنه "معركة أو قتال، أو بأنه نضال أو كفاح، خاصة إذا كان الصراع طويلاً أو ممتداً."

إن الانزياح نحو الحب والوجدانيات عموماً هو بمثابة البحث عن السكينة المفقودة في زمن يتداول النزاعات دون معنى، لعل في ذلك اجترار تلقائي للصراع دون وازع، الأمر الذي يشكل للإنسان رغبة مستدامة للخروج عن هذا الصراع، والبحث عن معنى آخر خارج هذه الدائرة المعقدة، فالتشبث بالحب هو الملاذ الأخير الذي يمكن للمرء أن يوظفه ليتفادى شح الإحساس بالمرارة وانعدام الأمل.

حوار مع الشاعرالسوري المغترب
محمد زاده

أجرى الحوار: نصر محمد

في إطار سلسلة الحوارات التي اقوم بها بقصد إتاحة الفرصة أمام المهتمين بالشأن الثقافي والإبداعي والكتابة الأدبية بشكل عام و الذين يعانون من ضآلة المعلومات الشخصية عن أصحاب الإبداعات الثقافية. لذلك فان الحوار معهم يتيح للجميع التعرف عليهم عن قرب

حوارنا اليوم يقود إلى سفر شيق يهب خصوبته للمتلقي بوصفه شهادة حسن النية في مصاحبة القصيدة لأسرارها الخبيئة بطيوبة نادرة. كما تحكمه الشساعة في طرح قضايا إبداعية وجمالية وتخيلية متعلقة بالإبداع. وزمن الكتابة والذكريات العتيقة مع طفولة وأول قصيدة طرية في بهو الذاكرة محكومة بدهشة الحنين.

هو حوار في اللغة وبها مع شاعر خبر أهوال المخاطرة في جب القصيدة. صاحب فتنة اللغة الشعرية منذ عقود منتشيا

بالكلمة العميقة. منقبا. جوالا. منعزلا. مندهشا.هادئا. وديعا صاحبا. ضاجا بالحياة. مشاكسا. مستسلما لنداء الشعر واقاصيه الرحبة والرحيبة.

انه الشاعر الكردي السوري المغترب في ألمانيا ضيفنا وضيفكم لهذا اليوم

محمد زادة شاعر ومسرحي كردي سوري مقيم في ألمانيا منذ سنوات.... من مواليد قرية معبطلي التابعة لمحافظة حلب السورية عام 1870 عمل مخرجا لفرقة المسرح الجامعي مابين عام 1992 / 1996. صدر له: "أمراء الوهلة الأولى" و "تماثيل الظل" و "التدوين الخامس للعمر" و "تفاصيل الملل"، وهذا الاخير كانت عبارة عن عصارة ألمه وغربته وحنينه محاولاً لملمة ماتبقى من أنقاض الروح عبر المجموعات الثلاثة السابقة.

لا تدخل الخمسين وحدك

غادر منزلك بهدوء
أنزع أسمك من على الجرس
أتركه فارغاً كالحياة في داخله
لا تخف من ضيف مباغت
سيتصل بك يسألك عن أسمك
قف أمام أي بيت يسكنه عدة أشخاص
قف بثقة
ظهرك للباب
يدك على مقبضه وكأنك تسحبه
تأمل المارة لثوان
وأمضي وكأنك تسكن هنا
مع كل هؤلاء
لا تدخل الخمسين هكذا
بيدين مكسورتين
بحظ يائس
ووطن لا يضع الورد على قبور الحالمين
مزّق هذه الذاكرة
أنسى بيتك
ألم تخرج الآن من بيت يسكنه عدة أشخاص
وعلى الجرس أسماء لاتينية
أغلق هاتفك
غنّي الأغاني التي لا تفهما
ولا تتابع أخبار الموت
فلو مات حارس حديقة في الصين
ستقرأ بعد يومين بأنه نازح من سوريا
ولو سقط نيزك على هذه الأرض الواسعة
سيسقط في مدينتك
ولو طافت الأرض في السنغال
سيموت عجوز من حلب
أنسى أنك عشت خمسين عاماً بالصدفة
ووصلت بلاداً تحب الشجر والطرقات السريعة
والشقق الصغيرة المصممة لشخص واحد
وانسى الجيران الذين لا يرمون السلام
ورهبة الهدوء بعد الثامنة
والموسيقى التي تدل الشرطة إلى بيتك
أنسى كل هذا
ولا تدخل الخمسين وحدك
أوقف أية امرأة عابرة
أية سكّيرة
أو عاهرة
أمسك يدها لخمس دقائق
قل لها أخاف أن أدخل الخمسين وحدي
أرقص معها التانغو
عذّبها وأنت تشدّ على خصرها
تأكد من أنها حيّة
ثم عد إلى بيتك
عد ولو بعطر امرأة على أصابعك
ولا تدخل الخمسين وحدك.

نص الحوار

س _ سأفترض الآن انك تقف مع الشعر في مكان ما ، وإنني التقيكما معاً دون موعد، وإن الشعر سيعرفني عليك. ماذا تتوقع أن يقول الشعر في تعريفه وتقديمه ل محمد زادة؟

ج – سيقول أنا النافذة الوحيدة التي يطل منها محمد زادة على عالمه الداخلي، وأنا تفسير أحلامه وماضيه وحاضره، وبمعنى أدق سيقول .. أنا صندوقه الأسود.

س _ أسألك عن الكلمات الأولى .. الطفولة.. الزمان الأول .. المكان الأول. البيت .. ماهو التأثير الذي لا ينسى الذي تلقاه الشاعر من هناك وكيف كان؟

ج – الطفولة هي المكان الآمن الذي يعود إليه محمد كل حين محاولاً اللقاء ، هناك الزمان الأول، هو الذي بدأ بطيئاً وترك أثراً لكل الزمان.

البيت هو المكان الذي سكن الرأس، المكان الذي لن يمسه الأذى كل الزمان..

التأثير الأول كان من الحكايات والملاحم الكردية وأبطالها الذين كنت أتخيل أشكالهم بدقة ثم من طبيعة عفرين بجبالها وأنهارها التي زرعت فيني روح التأمل مدى الحياة.

س _ أود أن اسمعك وأنت تتحدث عن اللغة. علاقتك بها. قربك منها. كيف تحب أن تتحدث عن اللغة في الحياة وفي الشعر. من منكما يتحدث من خلال الآخر. أنت أم اللغة، أم انكما تتحدثان معاً؟

ج _بما أن اللغة أداة معرفية ووسيلة من وسائل التفاهم أحاول دائماً أن تكون بسيطة وجميلة في آن، علاقتي بها عميقة من حيث الاستخدام التصويري والتشكيلي كما لو أنها ريشة، ولا أحب اللعب اللغوي وإبراز المهارات، أريد لأي طفل أن يفهم لغتي، أنا أتحدث من خلالها لكنني أجعلها تحمل بصمتي وهويتي، وهي جزء لا ينفصل عني.

س _ قصيدة النثر عربياً في معركة دائمة. وأحياناً تأتي بعض الصرخات من أسماء رائدة لم تستسغ هذا المسار وسلمه الطويل أيضاً. أعني مسار قصيدة النثر. هل قدر هذه القصيدة أن تبقى غريبة في الثقافة العربية؟

ج- الشرق يتعامل مع كل جديد على أنه مستورد وحتى مفهوم الحداثة نتعامل معه بهذا الأساس، لكننا ننسى العامل الزمني، أقصد الفارق الزمني بين الشرق والغرب فهم يسبقوننا بمئة سنة تقريباً، وبهذا هم سباقون في المقارنة مع الشرق، لكننا لو بنينا جداراً يفصل بين الشرق والغرب فسنرى أننا سنصل وحدنا إلى الحداثة ولكن سنستغرق وقتاً أطول منهم بكثير.

أما عن بقاءها غريبة فهذا الأمر لم يعد موجوداً لأن قصيدة النثر أثبتت أنها الأكثر قراءة وسرعان ما يتقبلها الفرد ويتغنى بها، أما عن المسار فهو منقسم مابين مقلدين للنثر الغربي ومجددين ومنهم من أضافوا لقصيدة النثر الكثير.

س _ من الملاحظ ان وتيرة نشر مجموعات شعرية غدت متسارعة. مقابل تراجع النقد. ما تفسير الشاعر محمد زادة لهذا التراجع النقدي؟

ج _سؤال مهم صديقي نصر .. فالأدب يحتاج للنقاد وكلما برز النقاد برز الأدب لكننا نفتقد للنقاد، وهذا أمر مخيف يضع القارئ في حالة شك أمام ذائقته الشخصيه، والتفسير هو أن نقاد قصيدة التفعيلة أخذوا وضعية المزهرية من الشعر الحديث بل وحاربوه، الأمر الذي خلق فراغاً في الساحة النقدية، ويحاول بعض النقاد القلائل بمفردهم دفع الحالة النقدية إلى الأمام لكن هذا لا يكفي لأنهم قلّة أمثال الشاعرة جوانا إحسان بلحد والدكتور خالد حسين والشاعر والناقد محمد المطرود.

س _ ما أحب الأوقات إليك في الكتابة، وما تأثير الليل عليك انطلاقاً من مقولة "الليل وحي الشعراء"؟

ج- لا وقت لدي للكتابة، فأنا أكتب في مكان وزمان، أمّا الليل فيساعد على خلق الهدوء الذي نحتاجه وقت الكتابة.

س _ الشاعر محمد زادة إلى أي مدى يعني لك الشعر؟ وبنظام حسابي أين موقعه في حياتك؟ وكيف ترى المشهد الشعري العربي حاليا؟

ج- الشعر يعني لي الاستمرارية في الحياة، إذا توقف الشعر توقفت الحياة عندي.

المشهد الشعري العربي والكردي في حالة تجريب وتخبط، وهذا الأمر مهم في سيرة الشعر لأنه في النهاية سيسفر عن تبلور تجارب شعرية كبيرة، فأستطيع القول: إن التجربة العربية في الشعر في حالة جيدة الآن، أما التجربة الكردية فهي ضعيفة للأسف رغم وجود بعض الأسماء لكن هذا لا يكفي لثقافة شعب.

س _ يقول الشاعر "لويس أراغون" لولا الشعر لأصبنا جميعاً بالسكتة القلبية.. أليس العالم بدون شعر خراب وحواء. ما رأيك بهذه المقولة من وجهة نظرك الشعرية؟

ج- هي مقولة جميلة لها معنى آخر في حياة أراغون، فهو من أشهر شعراء المقاومة الفرنسية ضد الألمان، ورأى في الشعر سلاحاً يستطيع المرء أن يحارب به، من وجهة نظري كم ستكون الحياة بائسة بلا شعر، فالشعر فلسفة الوجود، والشعر فسر الحب والحياة أكثر وأعمق من الفلاسفة وهذا اعترافهم بأن الشعر سبقهم.

س _ هل لك أن تعطينا فكرة حول الأثر الذي تركته إقامتك الألمانية في قصيدتك وما الذي أحدثته هذه الإقامة من تحول في شعر سبق له أن تشكل في فضاء مكاني آخر؟

..... التتمة ص 20 .....

حوار مع الشاعرة السورية

سهام الغباري

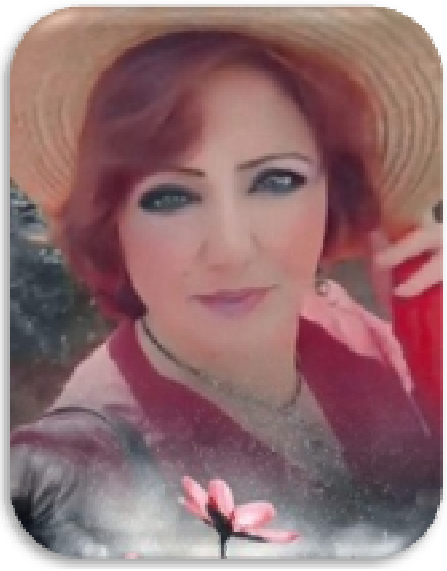

أجرى الحوار: نصر محمد

شاعرة تتميز بوضوح نصوصها والتكتيك اللغوي باستخدامها المفردة المفرطة بالجمال البعيدة عن الترهل القريبة من الابتكار. فهي لها موهبتها المتفردة في تأثيث بيتها الشعري وتزيينه بالفكرة والصورة والتكثيف والانزياح. هي الشاعرة السورية سهام الغباري ضيفتنا وضيفتكم في برنامج ضيف وحوار لهذا اليوم.

الشاعرة سهام الغباري من سورية مواليد 1975... مقيمة في ألمانيا.. متزوجة ولديها خمسة أولاد

أبْحَث عَنْكَ....

فِي خلجات نَفْسِي فِي صَفْحَةِ الذِّكْرَيَات

تَتَقَلَّب امواجي هَائِجَة بَيْن وِزْر النوايا

حَتَّى احضن ما تبقى مِنْ آثَارِ رعشتي

الَّتِي أَصْبَحَتْ صَامَتْه وَلَا أَتْقَن الصَّمْت

أَسْتَغِيث بصراخ تَعْجِز الرِّيَاح عَلَى إسْمَاعه

أَنْظُرُ إِلَى نَفْسِي كَم أَنَا سَفِيهة فِي نَظَرِ نَفْسِي

أُقَاتِل كبريائي

لِأَنَّهُ لَا يَتَفَاعَل مَعِي عِنْدَمَا أَحْدَثَه عَنْك

أبْحَث عَنْك ....

كفجرية تقتحم عُيُون النَّاظِرِين لَعَلَّهَا تَلْتَقِي بِمِحْرَاب مُلَطَّخ بِالحَنِين

أَحِنُّ إِلَيْكَ فِي ظُلَمَاتِ اللَّيْل الداكن أَنَام مَع يَمِينِي الَّذِي يكرسح أَعْضَاء جَسَدِي

أَثْقَل عَلَيْهِ فَأَنَا زائرته الْجَرِيحَة

مِنْ فِقْدَانِ يَنْشُد لَحْنٌ اللِّقَاء

أَيْنَ أَنْتَ وَمَتَى تكون رَاحَة يَمِينِي قَبْلَ أَنْ تَكُونَ ضَيْف قَسَاوَة الشَّوْق الَّذِي لَا يَرْحَمُ

أبْحَث عَنْك ...

ك الطِّفْل الشَّرِيد

الَّذِي مَالَ الْغُرُوب

فَأَرَادَهَا وَهُوَ مِنْ بَعْدِ الْحُلُمِ لَا يَرْغَبُ بدهشة الْحَقِيقَةِ الَّتِي

تَنْبِيه بِخَسْف قَلْبِه الصَّغِير

الَّذِي دَنَت للملائكة لِلطُّلُوع

مِنْ بَحْثِهِ المتعب

كُلُّ هَذَا وَمَازِلْت

أبْحَث عَنْك....

نص الحوار

س _ كل أول خطوة ثمة تمرد يصاحبها. كيف كانت أول خطوات تمردك في مجال الاتجاه للشعر والأدب ؟

ج _ اول خطوة للتمرد في مجال الشعر كان يجب أن أتمرد على مشاعري وأحاسيسي بشبيه الذي يخوض ثورة حتى يحررها بين حروف العتب والنقد، وكان يجب أن أكون جريئة إلى حد ما حتى أجعل القارئ يشعر بالراحة والاستمتاع عند قراءته لخواطري المعذبة.

س _ لكل شاعر طفولة راعفة بالحب والشوق. ما هي أبعاد طفولة الشاعرة سهام الغباري وكيف التقت بكراسة الشعر؟

ج _طفولتي يا ليتها تعود حتى أخبرها كم ظلمتني، كنت فتاة شقية بين إخوتي وصاحبة مشاكل لا تنتهي مابين الطلاب والأساتذة، ولكن كل الطلاب كانوا بحاجتي لكتابة المواضيع المدرسية، فكان تعبيري لمادة الموضوع دافئة جداً وتحمل عواطف جميلة تشبه جمال الشمس والأرض والقمر، وكنت ذكية جداً في حفظ الأناشيد في مادة القراءة ومازلت أرددهم في أنفاسي.

س _ ما دور. العلم. الخيال. الطموح. في بناء القصيدة وانبعاث فضاءاتها. كيف تتشكل القصيدة عند سهام الغباري؟

ج _ لا تكفي ثقافة الكتب في التعبير عن الشعر وعن ذاتك إنما الشعر هبة ربانية لا تحتاج الى ثقافة وربما تحتاج الى عفوية تامة حتى تعبر عن إحساسك من دون قيود أو جواجز تجعلك تتوقف عندها.

فالشاعر والمشاعر كالطير الحر لا يقبل الإمساك به بل يجب أن يعبر مابين الأرض والسماء والوديان والبحار والمحيطات والحدائق حتى يكرسح الطبيعة ويجمعها في جعبته ويتغزل بها كيف يشاء ومتى شاء.

وتشكيل القصيدة عندي تشبه الفتاة التي تعشق حبيبها الى حد الجنون حتى تكتب عنه ما يليق بعشقها الكبير بكلمات تليق بجمال القصيد أجمل ما في الوجود هم العشاق إنهم عصافير الجنة.

س _ لمن كانت تقرأ الشاعرة سهام الغباري في بداية اهتمامها بالكتاب؟

ج _ كنت اقرأ للشاعر الكردي وهو أمير الشعراء احمد شوقي وللشاعر الشغوف والشفاف نزار قباني شاعر النساء فهو الوحيد الذي أعطى للأنثى حقها في مدحها بكامل الأوصاف التي تسعدها.

س _ هل تجدين ذاتك داخل القصيدة. أم أنت تواقة لآفاق إبداعية أخرى ك كتابة القصة أو الرواية؟

ج _ أجل، أرى ذاتي بالقصيدة في كل مرة، لأن الشاعر لا يستطيع أن يكتب حرفاً إذا لم يكن بالحالة، وطبعاً يكون الشاعر في معظم الأحيان حزين، فهو يجمع بين الحب والحرب والفراق واللقاء والبعد والمسافات والأشواق التي لا ترحم...

لهذا نرى الشاعر حزيناً أكثر في كل مرة، يبدعنا بإحساس مشاعره التى تميز الحب بحبل الشوق والانتظار والعذاب القاتل.

ولقد بدأت بكتابة القصة قبل فترة، فوجدت استقبالاً جميلاً، يشجعوني على أن أكتب القصص، وكانت القصة بعنوان "العاشق الخائن".

س _ كثيراً ما يعلنون وفاة الشعر ك جنس أدبي. هل تعتقدين إن للشعر مستقبلاً؟

ج _ عندما يموت الحب بين الأرواح التي خلقها الله، عندها فقط يموت الشعر... الشعر هو بداية الجمال لكل الفصول والطيور، والروح المهاجرة.

س _ ما هي الموضوعات التي تتطرقي لها في كتاباتك الأدبية بشكل عام؟

ج _ان الموضوعات التي ألجأ إليها كثيرة، فعادة أحب الكتابة، عن الرحيل و العودة، الخيانة، الغياب، جمال العيون، الفراق، وعن الوطن والغربة، فأنا أحب أن أكتب عن كل ما يخطر ببالي حتى أبحر أكثر في جمال القصيدة. طبعاً، أن أعيش كل الحالات.

س _ هل تعتقدين بكتابات نسائية وأخرى ذكورية. وهل هناك فرق بينهما. من هم في رأيك أهم الكاتبات والشاعرات والأديبات قرأت لهن وتقتدين بهن؟

ج - لا أتقيد بكتابات أحد، ولا فرق عندي إذا كان الكاتب امرأة أم رجل، فأنا عند قراءتي للقصيدة لا أهتم باسم الشاعر إنما أنضم الى إحساسه وأعيش حالته، وأحياناً أشفق عليه لأنني أعلم ما هي حالاتنا نحن معشر الشعراء والكتاب، ولكن لكل منا تدفق ادبي ينجح فيه بصورة ما.

والشاعر يعلم كيف يختار المجاز حتى يبدع بالكتابة، وهناك مبدعون لا نستطيع الوصول إليهم مهما تطورنا... فسبق وقلت الشعر والإبداع هبة ربانية.

س _ ما هو رأيك بالثقافة الذكورية المنتشرة في المجتمعات العربية. والتي تقول بأن المرأة ناقصة عقل ودين. وثلثي أهل النار من النساء. والمرأة خلقت من ضلع آدم الأعوج. والخ...؟

ج _ ليس لدي وجهة نظر بين الذكور والإناث، لكن ظروف المرأة تكون في حالة طوارئ دائماً.. بيت، أولاد، تربية...

ربما لاترى الوقت الكافي حتى تكتب، فهي تبني مجتمع كامل، وبالتالي فإن أساس الرجل هو امرأة، وإن الله خلق الأنبياء من جسد امرأة.

المرأة أقوى من الرجل بأضعف الحالات، فهي تستطيع أن تواصل مسيرتها دون عون من أحد، تعتمد على نفسها في كل المواقف، تعمل بجدية تامة، وأكثر ثقة من الرجل نفسه... هل هناك فرق بين أستاذ وآنسة وهما زوجين تحت سقف واحد، من منهم يتعب أكثر؟...

عند العودة الى البيت الرجل صامت ينتظر طاولة السفرة متى تسد جوعه، وبعدها القيلولة والراحة التامة.. اما المرأة لا ينتهي عملها في المنزل الى آخر الليل..

ولأن المرأة عاطفية أكثر لهذا يقولون عليها ناقصة عقل، والكل يخاف منها ...هههههه...

س _ هل أنت مع ظاهرة الصداقة والحب والزواج. عبر صفحات التواصل الاجتماعي. وهل تعتقدي ان الشبكة العنكبوتية نعمة أم نقمة على الإنسان؟

ج _ والله أنا أؤيد ظاهرة الحب والزواج والإعجاب عبر التواصل الاجتماعي فهناك أكثر من خمسين علاقة حب زواج مع بناء أجمل أسرة من ضمن قريتي والكل سعيد مشالله عين الله عليهن وعقبال البقية.

الغربة هي أهم الأسباب للتعارف عبر التواصل الاجتماعي، فكلنا في قرية صغيرة اسمها فيس بوك، وطبعا لازم نكون محتاطين من أضرارها أيضاً، فهناك كوارث إذا تعمقت فيها من دون حذر.

س _ ما رأيك في وسائل التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية الإنترنت. الانستغرام. الفيس. أو أي وسيلة أخرى تطلين من خلالها وتتواصلين عبرها مع العالم؟

ج _ الكل منا يختار ما يعجبه من الشبكة العنكبوتية، مثلاً الانستغرام لا أستعمله إلا نادراً حالياً، نحن معجبين بالتيك توك فهو برنامج خفيف ومسلي جداً ولا تمل منه لأنو بطولاته محددة دقيقة فقط وينتهي المشوار... هههه

أما الفيس فقد أصبح الفضاء التام والمختوم ترى وتعبر على مهلك ووقت ما بدك.

س _ كيف تنظرين إلى حياة الإنسان. وما رأيك بإنسان هذا الزمان وممارساته فيما يتعلق بالحروب والصراعات وتفكك علاقات البشر مع بعضهم بعضاً. وهل تستوحين من هذه العوالم نصوصاً شعرية؟

ج _ أنظر الى حياة الإنسان بعين العطف، فهذه الحروب قد أهلكت العباد والبلاد، لا راحة لنا في الوطن من الغلاء، ولا راحة لنا في الغربة من همومها، لقد أصبحت الحياة في كف عفريت اليوم عايش وبكرا ميت والله يساعد الناس في سورية بالذات...

لا تعليق السكوت احسن لقد كتبت عن هذا الكثير في بداياتي ولكن الحالة أصبحت عادية 10 سنين ومازلنا ننتظر الأمل في إنهاء الحرب، والحرب لازالت قائمة، لهيك تدهورت حياة الانسانية... ما ضل خير ولا بركة وراحة.. الله يهون عليهن.

س _ من سوريا إلى ألمانيا .. لاشك إنها تجربة تحمل الكثير من الشجون والحزن لديك. لو تحدثينا بإيجاز عن هذه التجربة؟

ج _ دعني وانصرف

عن اجابة هذا السؤال

الغربة حلوة مو إلنا لا أهلها

نحن شعب روحاني بنحب الخلطة الضيوف

الضحك المناسبات

الافراح ابوابنا كلها مفتوحة

لكل الضيوف

عنا الكرم عنوان لمبادئنا

عنا العشرة قيمتها

في الغربة كل شيء مفقود

بتعيش لحالك ما في انسجام مع جيرانك

لا أطباعهم مثلنا ولا معيشتهم مثلنا

بنتخلف كتير عن بعضنا، لا حبيناهن ولا هن حبونا، وغير هيك كلو كذب

س _ كيف هي علاقتك مع ذاتك. مع أحلامك وعوالمك ومع الآخر. هل ثمة توازن في هذه العلاقات. وكيف تحققين هذا التوازن أم إنا تجدين صعوبة في تحقيق الوئام والتوازن مع هذه العوالم المشتركة؟

ج _ انا وذاتي أصدقاء مخلصين مابنخون بعضنا، إذا القصيدة مو جميلة بقول لحالي مو جميلة.. ولما بقرأ لحدى مبدع بعترف مع ذاتي انو هو مبدع أكتر مني، يعني ما بكابر على ذاتي ومتفاهمة مع ذاتي كتير... أحلامي إنني أشوف السلام في وطني سورية وأشوف كل الناس بخير، وأحب أن أتقدم الى الأمام بنجاحي إن شاء الله... وأن أكتب شعر وقصائد وقصص إلى أن أصل إلى الرواية.

س _ ما هي أحلامك وطموحاتك التي تتمنى تحقيقها وكذلك ما هي طموحات وأحلام المرأة السورية بشكل عام التي تتمنى ان تحققها لنفسها؟

ان أصل الى الرواية فهذا هو حلمي، ولا بد لي أن أصل إليه لو بعد حين، أما أحلام المرأة السورية فنحن نتمنى السلام والأمان والاستقرار في كل بلاد الدنيا ومن كل بقاع ارض، وإن شاء الله تخلص الحروب ونرجع إلى بيوتنا ونموت على ترابنا يلي كبرنا عليه...

وأخيراً أشكر الجميع على هذا الحوار الشيق الجميل الذي يجرف سيل الاحساس النبيل الى أعماقنا الطاهرة، وأتمنى السلامة للجميع.

تتمـة : حوار مع الشاعر السوري المغترب محمد زادة

ج- منذ 24 سنة أعيش هنا وهذا يكفي لأن تكون قصائدي حزينة طابعها الحنين الدائم للمكان الأول، والتحول الوحيد هو هذا الحزن الذي طغى على كتاباتي.

س _ ظهر اسمك أوائل التسعينات مع مجموعة أسماء حققت لاحقاً حضوراً متمايزاً في المشهد الشعري والثقافي.. أتحدث هنا عن محمد المطرود. ابراهيم حسو.. لقمان ديركي.. حليم يوسف.. وغيرهم. هل تنتمي إلى جيل أو حساسية إبداعية جماعية؟

ج- في منتصف التسعينات ظهر إسمي مع ظهور كتابي الأول في حلب عن دار الصداقة وكتب عنه حينها في جريدة تشرين الكاتب والقاص نجم الدين سمان بعنوان (صوت جديد ينتمي لجيل التسعينات) الكتاب قدمه الناقد محمد جمال باروت، وبهذا وحده أنتمي إلى جيل رغم أنني لا أنظر للموضوع سوى من زاوية زمنية فقط

س _ الذات حاضرة دوماً في تجارب الشعراء. إلى أي حد استثمرت سيرتك الشخصية في تجربتك الشعرية. كيف يحضر الشاعر بدون أن يثقل حضوره النص الشعري؟

ج –الذات هي التي تكتب والشاعر هو الذي يوظف ظهورها في قصائده، أنا موجود في كل كتاباتي بنسب مختلفة يفرضها الشعر علي في كل نص.

س _ النزوع نحو قصيدة التفاصيل اليومية جعل من قصيدة النثر تتجه نحو الثرثرة والفراغ. في حين أن أصوات نقدية الآن تطالب بمنح القصيدة بعداً معرفياً أوسع. بمعنى ترسيخ قصيدة حداثية مثقفة.. إلى أي مدى تتفق مع هذه الآراء؟

ج-التفاصيل اليومية هي قصائد ولكن علينا إلتقاطها بدقة وإظهار الجانب الجمالي لها كي لا تتحول إلى ثرثرة. هذه وظيفة الشاعر الجيد، ولا أتفق مع هذه المصطلحات فهناك شعر أو لا شعر.

س _ عملية اختيار عناوين القصائد صعبة. وأحياناً كثيرة تؤرق القارئ. كيف يختار الشاعر محمد زادة عناوين قصائده. وهل من طقوس معينة في الاختيار؟

ج- أهم ما أشتغل عليه هو العنوان .. لأنه العنوان

هناك عناوين هي قصيدة بحد ذاتها، ويجب أن يكون العنوان من روح القصيدة هذا ما أشتغل عليه، أنا ودائماً أختار عناويني من لحظات الذروة في القصيدة.

س _ محمد زادة هل كتب بلغته الأم. وهل يعتبر إبداع الكاتب الكردي الذي يكتب بغير لغته الأم إبداعاً كردياً؟

ج –لم أكتب بلغتي الكردية إلا بعض القصائد، ولكن تمت ترجمة قصائد لي إلى الكردية، برأيي الإبداع لا ينتمي للغة إنه إبداع فقط لكن هوية المبدع هي التي تعني انتمائه للغة ما، بمعنى آخر هل جبران خليل جبران كاتب أمريكي أم عربي؟، سأجيبك على هذا السؤال .. هو كاتب عربي رغم أنه لم يكتب بالعربية، وهل جوزيف كونراد انكليزي .. سأجيبك على هذا السؤال .. لا هو بولندي كتب بالانكليزية، و هل نابوكوف روسي أم أمريكي، وهل رفيق شامي سوري أم ألماني، فكيف سأكتب بلغة لم أدرسها منذ الطفولة ولم أقرأ آلاف الكتب لتصير ذاكرتي والعقل الباطن تعتمدها في اللاشعور.

من أبرز العوامل التي تجعل الكاتب متقناً للغة التي يكتب بها هي القراءة المكثفة إلى أن تدخل عقله الباطن وتأخذ مكانة لغة التواصل لديه وكيفية التعبير، الكاتب يحتاج إلى قراءة يومية لمد الذاكرة بالصور والمفردات، بينما نحن لم يتوفر لدينا هذا العامل الرئيسي فكانت لغتنا محكية فقط وكنا نتكلم بها داخل المنزل حصراً، ولم نقرأ سوى عدة كتب باللغة الكردية آنذاك فكانت المكتبة الكردية فقيرة لأنها ممنوعة، ولهذا لم يحالفنا الحظ.

برأيي هناك شعر عالمي وهناك شاعر كردي أو عربي أو انكليزي أو ألماني أنا أعطي الهوية للشاعر وليس الشعر.

لوحة للفنان التشكيلي سردار حسو

نهايـة رجل حزيـن

د.آلان كيكاني

لا أدري كم من المسافة سرنا خلال ثلاث ساعات متواصلة كانت فيها سياراتنا رباعيات الدفع تعلو ثم تهبط تلال رملية في صحراء مترامية الأطراف تتوالى فيها الكثبان الرملية وتترى وكأنها أمواج محيط لا نهاية له. وكل ما أعرفه هو أن نظام الـ (جي بي إس) أهدانا بعد عماء إلى وجهتنا التي ننشد. وعلى الرغم من أننا كنا في فصل الربيع، إلا أن مظاهر الحياة على طول الطريق كانت فقيرة للغاية، واقتصرت على بعض السحالي والضبان التي فرَّت مذعورة من جحورها عند سماع هدير محركات السيارات، وعلى بعض الأعشاب التي جادت بها المسافات الفاصلة بين الكثبان بعد أن تكرمت السماء بما يكفي من الأمطار في الشتاء الماضي. على أننا عندما اقتربنا من الهدف شاهدنا بعض الغربان والنسور تحوم في الفضاء وعلى علو منخفض.

كان المكان المنشود غريباً، تحسبه مسرحاً من صنع الطبيعة: ساحة دائرية بسعة ملعبٍ لكرة القدم تحيط بها تلال رملية من جميع الجهات، ويعبّر فيها الربيع عن نفسه ببضعة أزهار من شقائق النعمان وبعض الأعشاب المتناثرة هنا وهناك. وفي وسط الساحة تنتصب خيمة صغيرة تقوم على عمود واحد، وعلى مسافة خمسة أمتار من بابها يرقد رجل ميت، في حوالي الخامسة والخمسين من العمر، يرتدي ثوباً بنياً، ينتعل نعلين أسودين من الجلد، ثلاثة أصابع من قدمه اليمنى مبتورة جراحياً في أوقات سابقة، بشرته سمراء، ولحيته شيباء طويلة لم تُمسَّ منذ شهرين على أقل تقدير، وشعره الأشيب به صلع غير مكتمل، ولاتزال يده اليمنى تقبض على سيخ معدني كان يحرك به الجمر المتقد قبيل وفاته، وأمامه كومة من الرماد، وفي وسط هذه الكومة إبريق شاي لايزال مليئاً بالماء.

لم يكن الانتفاخ قد أصاب الجثة بعد، لكن الصلابة قد دبت فيها حتى بدت وكأنها هيكل من خشب لا مفاصل فيه. وفي جيبه في ناحية الصدر عثرنا على عقاقير خافضة لسكر الدم، وأخرى مضادة للاكتئاب، وأخرى لعلاج ارتفاع الضغط الدموي ونقص تروية القلب. أما في جيوبه الأخرى فكان ثمة كمية من المال، وعود من السواك، ومسبحة من العاج، وكيس تبغ، وقداحة معدنية عتيقة الطراز. ولم نشاهد في جسمه أثراً لكدمةٍ، أو رضٍ، أو جرحٍ، أو ما يمكن أن يكون أثراً لعضة أفعى أو لدغة عقرب. وقد قدّرتُ زمن الوفاة بأقل من يومين. وكل هذه البيانات كتبتها في تقرير طبي بناء على طلب من الشرطة، الذين راحوا يبحثون بدورهم عن أي دليل جنائي يمكن أن يكون السبب في موت الرجل.

في داخل الخيمة شاهدنا حصيراً ممدوداً وعليه فراش وحيد، ولحاف ووسادتين، وسجادة صلاة عليها مصحف. كما شاهدنا في أحد أركان الخيمة حقيبتين فيهما أثواب بالية ومتسخة، وأخرى جديدة لم تستخدم بعد، وأغذية معلبة، وكمية من الخبز الجاف، وقنينة من زيت الزيتون، وكيساً من القهوة، وآخر من الرز، وعلبة من الشاي، وكمية من التمر، وعدة قطع من الصابون، وجراباً فيه تبغ، وفي أحد جيوب إحدى الحقيبتين عثرنا على هويةٍ شخصيةٍ، وشهادة لقيادة السيارات، ورخصة لامتلاك سيارة لاند كروزر بيضاء. وفي ركن آخر شاهدنا مجموعة من العلب البلاستيكية الكبيرة، بعضها فارغ وبعضها لا يزال مليئاً بالماء، وإلى جانبها مجموعة من أواني المطبخ، وموقد موصول بجرة غاز. وعلى العموم فإنَّ بساطة الخيمة وما في داخلها كانت تعيد المرء قرناً إلى الوراء على أقل تقدير.

وثق رجال الشرطة كل مشاهداتهم كتابة وتصويراً. ثم خرجنا من الخيمة نستقصي محيطها، وصعدنا التلال الرملية المجاورة ووجدنا خلف أحدها سيارة لاند كروزر بيضاء جديدة، رباعية الدفع، مركونة هناك دون أن يكون فيها أحد. قصدناها وفتحنا أبوابها فكانت خالية إلا من كومبيوتر محمول وهاتف آيفون، كانا موضوعين على الكرسي المجاور لكرسي السائق، ولم يكن هناك أي أثر يذكر حول السيارة، مما حدا بأحد رجال الشرطة أن يفترض أن أحداً لم يلمس السيارة منذ عشرين يوما على تقريباً، فقد محت الرمال آثار أقدام السائق الذي أركنها هناك بشكل كلي، ناهيك عن تراكم الغبار على الزجاج الأمامي والمقود والكراسي والكومبيوتر المحمول والآيفون. وقد بدا من رخصة التمليك التي عثرنا عليها في الخيمة قبل قليل أن الرجل الميت هو مالك السيارة. ولكن السؤال المحير الذي علق في أذهان رجال الشرطة هو لماذا ركن الرجل سيارته خلف الكثبان الرملية ولم يركنها جانب خيمته التي يعيش فيها رغم سعة المكان؟

وكان قائد شرطة المحافظة قد اتصل بي قبيل ظهر ذلك اليوم، بصفتي طبيب الجراحة المناوب في المستشفى العام، وطلب مني مرافقة فريق من الشرطة كانوا في طريقهم إلى منطقة صحراوية بعيدة للتحقيق في وجود جثة رجل في أعماق الصحراء عثر عليها بعض هواة صيد الطيور والضبان والذين قاموا بتحديد إحداثيات الجثة وإرسالها إلى الشرطة مع بعض الصور. وكان لدى رجال شرطة المحافظة الذين رافقتهم أسماء بعض الرجال الذين اختفوا في أوقات سابقة دون أن يتمكنوا من العثور على أي أثر لهم، رغم إلحاح ذويهم وشكاويهم المستمرة وتذمرهم من بطء الحكومة في عملية البحث عنهم. وكانت الأسماء محفوظة في أرشيف في إحدى السيارات.

ولما عدنا إلى سياراتنا مصطحبين معنا جثة الرجل الميت، اطلع أحد رجال الشرطة على الأرشيف ووجد أن اسم الميت يتطابق مع اسم رجل اختفى منذ ثلاثة أشهر تقريباً. وقد اتصل هذا الشرطي بمسؤولي المحافظة المعنيين بالموضوع وأشعرهم بكل ما لديه من معلومات قبل أن ندير سياراتنا ونعود إلى المدينة.

مع آذان العشاء عدنا إلى إدارة شرطة المحافظة بعد رحلة شاقة ومضنية استمرت أكثر من عشر ساعات. وكانت مهمتي قد انتهت بعدما عزوت للمعنيين سبب الوفاة إلى سكتة قلبية أو دماغية معتمداً في تفسيري هذا على الموت المفاجئ للرجل بينما كان يحرك الجمر المتقد بحديدة كانت في يده. وقد صُلي على الرجل في اليوم التالي ووري الثرى بعد أن قام الطب الشرعي بتشريح جثته والتأكد من أن الوفاة قد حدثت بصورة عفوية دون أن يكون فيها أية جناية.

إلا أن الموضوع لم ينته عند هذا الحد، فقد قام أحد الصحفيين الفضوليين بإعداد تقارير يومية عن حياة الميت ونشرها في جريدة محلية دأبتُ على شراء نسخة منها كل يوم لمتابعة القضية التي صارت تعنيني بشكل أو بآخر.

وهكذا عرفت أن الرجل كان زوجاً لثلاث نساء، لكل واحدة منهن بيت فسيح مستقل يحف به الخدم والحشم وتقف على بابه سيارة فارهة لها سائقها الخاص. وأنه كان أباً لستة عشرة ولداً، أكبرهم مهندس في الثلاثين من عمره وأصغرهم في الرابعة. وأنه كان موغلاً في الغنى، ويرأس مجلس إدارة شركة تجارية كبيرة وعابرة للقارات، ولها فروع في أكثر من عشرين دولة. وأنه كان، وبحكم طبيعة عمله، كثير التجوال والتطواف، وما من دولة لها اسم على خارطة العالم إلا وزارها تاجراً أو سائحاً أو مستطلعاً. وأن موقعه هذا قد فرض عليه نمطاً معيناً من الحياة سِمَّتُه السباق الحثيث مع الزمن وعدم توفر الكافي من الوقت للقيام بالواجبات الاجتماعية والنشاطات الشخصية، وهكذا انصرف الرجل، رغماً عنه، عن عائلاته وأولاده وأقربائه وأصدقائه، وقطع صلة رحمه بوالديه العجوزين فلم يتواصل معهما إلا لماماً، وأهمل صحته إلى حد أنه كان ينسى الاهتمام بأسنانه فلا ينظفها إلا مرة في الأسبوع، ويغفل عن قياس ضغط شرايينه ويسهو عن معايرة السكر في دمه بعد أن ألمت به أمراض خطيرة ومهددة لحياته.

وفي استطلاع للصحفي قال عنه بعض أقرب الناس إليه أنه كان لا يجد متسعاً من الوقت ليرفه فيه عن نفسه، وحتى المسجد الذي كان يبعد عن مكتبه مسافة مئة متر كان لا يقصده إلا بسيارته توفيراً للوقت والجهد.

وهكذا داهمه مرض السكر وهو في الثامنة والثلاثين من العمر، لكن الرجل بقي على إهماله وتقاعسه وانشغاله بما يعتبره أهم وأجدى، فلم يزر طبيبه إلا عند اشتداد المرض به وإعاقته له عن أداء واجباته اليومية، أو عندما كان يلح عليه البول ويدفعه إلى التردد على المرحاض عشرات المرات في الليلة الواحدة. ولم يزل التاجر الثريُّ في تهاونه مع المرض واستخفافه به حتى صار التموّت الصامت الممزوج بالقبح يغزو أصابع قدميه ويسير باتجاه الكعب، فاضطر بعد حذر الأطباء وإنذارهم له بالأسوأ إلى الموافقة على بتر ثلاثة منها، وظل في المستشفى شهراً كاملاً حتى برأ جرحه وصار يمشي على عكاز وهو في الرابعة بعد الاربعين.

ولم ينته صاحبنا بعد من مرض السكر ومشاكله وعقابيله ومضاعفاته حتى اقتحمه مرض آخر لا يقل عنه خطورة وإزماناً، وأعني به ارتفاع الضغط الدموي، وصار كاهل الرجل ينوء تحت عبأين ثقيلين لم يعد يتحملهما، فأدرك بعد فوات الأوان ضرورة تغيير أسلوب حياته وفق تعليمات طبيبه الخاص المتضمنة القيام بالتمارين الرياضية بصورة يومية، والترفيه عن النفس قدر الإمكان، وإعطاء الجسم حقه الكافي في الراحة، والابتعاد عن تناول الوجبات السريعة التي تقدمها سلاسل المطاعم العالمية المعروفة.

وكان احتشاء عضلة القلب له بالمرصاد بعد أن فعل الضغط والسكر فعلهما في جسمه، ومعه دخل الرجل في حلقة معيبة تجر فيها المصيبة أختها، وهكذا بدأ طائر الموت ينقر قلبه بين الحين والآخر برشقات من الخثرات، تأتي وتروح، تاركة وراءها رجلاً مثقلاً بالهم والغم، يلاحقه هاجس الموت في كل دقيقة وهو لم يزل في الخمسين من العمر.

وهل تأتي هذه المصائب بغير العنانة إذا ألمت بصحة رجل، حتى لو كان هذا الرجل شاباً؟

وهل هناك كارثة أجل وأعظم من العنانة إذا أصابت رجلاً له ثلاث زوجات أصغرهن في الثامنة والعشرين؟

ما حصل هو أن صاحبنا صار يتردد على جملة من الأطباء في اليوم الواحد وينهي يومه بزيارة عيادة طبيب الجراحة البولية متأملاً الحصول على إذن بقضاء ليلة حمراء مع إحدى نسائه. لكن حبة الفياغرا التي يتم اللجوء إليها عند محاولة حل مثل هذا المشكلة لا تصلح لمن يعاني من مرض الضغط.

وماذا بعد؟ هل بقي غير الاكتئاب؟

أضاف الرجل إلى قائمة زياراته الدورية عيادة الطب النفسي، وزاد على جعبته المثقلة بالأدوية عقاقير مضادة للاكتئاب وأخرى محسنة للمزاج. وما كان يمر عليه اليوم إلا ويكون قد تجرع العشرات من مختلف أنواع الحبوب والحقن. وعندما أدرك أن كل ما يتناوله من علاج لا يمكن أن يعيده إلى سابق عهده، تسرب اليأس إلى أعماقه وتعشش فيه. فسلّم مفاتيح عمله إلى ابنه البكر بعد أن مُني بخسائر فادحة نتيجة تغيبه المتكرر عن حلبة السباق في مضمار التجارة. وقبيل تغيبه بعدة أيام كان سائراً برفقة عكازه في إحدى مزارعه فانزلقت قدمه على بقعة من النفط وسقط على الأرض، وفج جبينه وظل يشكو من صداع حاد حتى يوم اختفائه.

وقد ختم الصحفي آخر تقرير له بالقول:

"قرر السير نحو المجهول... ودون أن يخطر أحداً بقراره غاب فجأة مع سيارته... وعبثاً تم توزيع اسمه على المطارات ومنافذ الخروج البرية والبحرية... بل وفشلت كل محاولات العثور عليه قبل أن يكشف الصيادون عنه ميتاً إلى جوار خيمته في أقاصي الصحراء".

فيما بعد التقيت برجال الشرطة الذين اصطحبوني معهم في رحلة الاستكشاف عن الرجل الميت عندما أحضروا سجيناً مريضاً إلى المستشفى وقمت أنا بعلاجه. وكان لغز تركين الرجل لسيارته خلف الكثبان خارج الساحة التي بنى فيها خيمته لازال غامضاً عندهم ودون إجابة.

أما الجواب الشافي لهذا اللغز فهو الذي سمعته لاحقاً من طبيب استشاري لأمراض النفس في برنامج تلفزيوني حين قال معلقاً على حكاية الرجل الميت:

" ربما وجد صاحبنا المأوى والملجأ في حضن ثقافة الآباء والأجداد بعد أن أذلته الحضارة الحديثة التي عايشها بكل زخارفها. وبما أن السيارة جزء من هذه الحضارة فقد تركها خلف الكثبان كي لا تقع عينه عليها وهو يعانق أسلافه من خلال حياته المتواضعة التي صنعها لنفسه وعاشها خلال الشهور الثلاثة التي سبقت وفاته ".

صباحكم أجمل/ كور عمامة التلال

"الحلقة الثانية

بقلم وعدسة: زياد جيّوسي

رغم الفترة الزمنية التي مرت على جولتي في بلدة كور الا انها لم تخبُ بتفاصيلها وتراثها وقصورها التي تشكو من الوحدة والشيخوخة من الروح والذاكرة، ولعل انشغالي بمقالاتي التي نشرت عن بلدة سلواد لبؤة الجبال وانشغالي بكتاب جديد سأحيله للنشر أخر قليلا بوح الذاكرة والأمكنة عن كور، لكنها بقيت وكما كانت منذ الطفولة رغبة لم تفارقني ابدا حتى تحققت، فالتجوال في ربوع الوطن والتوثيق بالكلمة والمقال والعدسة رسالة امارسها بجهد شخصي منذ ستة عشر عاما، يرافقني فيها بعض ممن يسكنهم الوطن كمرافقين للجولات حينا ومضيفين ومرشدين دوما، فواصلت جولتي في بلدة كور مع صديقي ومرافق جولتي صديقي الأستاذ سامح سمحة ومضيفنا الرائع الأستاذ فريد عصمت الجيوسي، فخرجنا الى خارج قصر الشيخ يوسف واكد والذي تحدثت عن تفاصيله وذاكرته التاريخية وهموم الوحدة والاهمال الحالية في الحلقة الأولى، لنواجه زاوية القصر التي تهدمت وقد تم بناء جدار استنادي حولها وبعض الشباك المعدنية فوقها وبجوارها من قبل برنامج الأمم المتحدة الانمائي وبتمويل من البنك الألماني الإنمائي/ جمهورية ألمانيا الإتحادية، لنتجه بعدها لمشاهدة القصر من المنطقة الخلفية حيث امتداد على طول مائة متر، وفي اسفل الواجهة الخلفية توجد أربعة بوابات منها ثلاثة مستطيلة الشكل وأعلاها سقف حجري على عرضها من قطعة واحدة، وبوابة قوسية الأعلى على النمط التقليدي للبناء وست فتحات صغيرة كطاقات ربما كانت تستخدم للدفاع عن القصر على ارتفاع الطابق الأول إضافة للتهوية، بينما النوافذ فقط في الطابق الثاني وهذه البوابات في اسفل الجدار متصلة بساحة القصر، ويظهر أنها كانت مبنية من ناحية أمنية تسمح بمغادرة القصر حين حصول أي طارئ على البوابة الأمامية، وظهر القصر مطل على مساحة من الأرض بها شجرة واحدة ومحاطة بالردم ويظهر ان هناك من يستغلها لزراعة بسيطة، ولكن يمكن استغلال هذه المساحة لحديقة جميلة لو وجدت جهات تشرف على هذه القصور وهذا القصر وترميمه.

كور بلدة ضاربة بالقدم ولا يعود تاريخها فقط الى تأسيس مشيخة الجيوسي وتحولها لمركز قيادة مشرف على قرى الصعبيات ومركز لملتزمي الضرائب لصالح الدولة العثمانية، فهذه المنطقة والتي يسميها البعض "محور الصعبيات" والبعض يطلق عليها إسم "محور الكفريات" لوجود مجموعة من البلدات التي تعود للفترة الكنعانية قبل الآف الأعوام ويبدأ اسمها بكلمة "كفر" بفتح الكاف وليس الضم وهي كلمة آرامية كنعانية تعني القرية، ومنها كفر عبوش وكفر جمال وكفر زيباد وكفر صور، اضافة لوجود آثار رومانية وبيزنطية في كور والبلدات المحيطة من طولكرم حتى عزون، ومن هنا دار أكثر من حديث عن أصل تسمية كور بهذا الاسم، ومعظم من تحدثوا عن ذلك أشاروا الى المعنى العام والمنتشر (كور الحداد) وهو آلة النفخ التي يستخدمها الحدادون بصناعة الأدوات المعدنية، حيث أشار أكثر من شخص أن كور اشتهرت بصناعة السيوف والأسلحة المعدنية.

لكن موقع كور على ارتفاع حوالي 400م عن سطح البحر وموقعها المتميز اعطاها ميزة الظهور من مسافات بعيدة، فحين صعدت إلى سطح قباب قصر الشيخ عبد الله الابن الأكبر للشيخ يوسف الواكد رأيت كم أن بلدة كور بموقع مطل وكاشف للمناطق المحيطة حتى البحر المتوسط، وكونها كانت مسكونة قبل المشيخة من عشيرتين رحلتا عنها بعد تأسيس المشيخة، وكون بيوتها من الحجر الأبيض وهو لون حجارة المنطقة، ولعدم وجود أي مصدر تاريخي موثوق لتسمية كور نسبة لآلة النفخ لدى الحدادين، إضافة أن مهنة

الحدادة كانت منتشرة في فلسطين وليس في كور وحدها إن وجدت بها، فلا يمكن منح هذه الاسم بتقديري الشخصي فقط لكور، وكون كلمة كور في المعاجم العربية القديمة مثل لسان العرب والقاموس المحيط وغيرها من المعاجم العربية تعني الكثير من المعاني، نجد أن المعنى الأقرب هو من "شد العمامة على الرأس" فكور ستظهر للرائي من المسافات البعيدة كما عمامة بيضاء مشدودة على الرأس فهي مشاهدة لكل البلدات المحيطة وتميزت بحجارة البناء البيضاء قبل المشيخة وبعدها حين بنيت القصور الضخمة، وورد في لسان العرب أن هذا الاسم"العمامة" ورد كصفة في حديث للرسول عليه السلام، ووردت بنفس المعنى بالقرآن الكريم في سورة التكوير "وإذا الشمس كورت" أي جمعت جمعا.

من قصر الشيخ يوسف الكايد اتجهنا الى جواره الى قصر الشيخ محمد من أبناء الشيخ يوسف الواكد، وهذا القصر أطللت عليه من سطح الطابق الأول لقصر الشيخ يوسف واكد، وهالني وأنا أنظر اليه أن يصبح خرابة ومعظمه آيل للسقوط، فاتجهنا اليه ودخلت للساحة الخربة بين ما تبقى من جدران وأنا اشعر بكم هائل من الألم يجتاحني، فهل يترك هذا التاريخ وتترك هذه المباني التراثية الضخمة والمتميزة شكلا وتاريخا وموضوعا لعاديات الزمان وعوامل أخرى لعبت دورها بهذا الحجم الكبير من التلف والخراب؟

قصر الشيخ محمد كما كل قصور كور التاريخية مكون من ساحة بها ابار الماء والقصر يلتف من حول الساحة مع بوابة كبيرة وضخمة وجدار يحجب الساحة والدور الأول من القصر، لكن البوابة والجدار أصبحا أثرا بعد عين، ولم يتبق الا المبنى على يمين القصر ويظهر انه استمر فترة من الزمان حيث جرى اغلاق واجهته المكونة من قوس كبير وفتح بوابة عادية فيه للدخول، وأعتقد أنه هجر بعدها فلا أثر يشير للحياة فيه والنباتات التي تلعب دورها في تخريب هذه المباني التاريخية تنمو بين حجارة القصر وعلى سقفه وقبابه، وتم بناء بيت صغير عادي بجواره مع بعض أشجار الزيتون بجوار ساحة القصر، وعلى يسار المبنى الذي أشرت اليه ساحة القصر وهي تعاني من الخراب والحجارة المتساقطة وتنمو بها النباتات البرية بكثافة اضافة لوجود الكثير من الأشياء المرمية بساحاته مما يزيد من كآبة المشهد ويثير الحزن والألم في الروح، والقصر كما نمط قصور كور يتكون من العديد من الأقواس الحجرية المرتفعة ويتم الدخول لساحة صغيرة تحت القوس حيث اماكن السكن والاستخدام ببوابات قوسية صغيرة، تدخل الى طابقين والأول له بوابة قوسية كبيرة ومنه يتم الصعود للقسم العلوي حيث المنامة ونافذة تطل على الخلف من ارتفاع يسمح بالتهوية ولا يسمح لأحد برؤية ما بالداخل، والملاحظ أن قصور كور والتي كان يضمها سور يحيط بها جميعا، متباعدة بمسافات عن بعضها بسبب الطبيعة المحافظة جدا لأهل كور وتشددهم بالمحافظة في العلاقات الإجتماعية وفيما يتعلق بالمرأة.

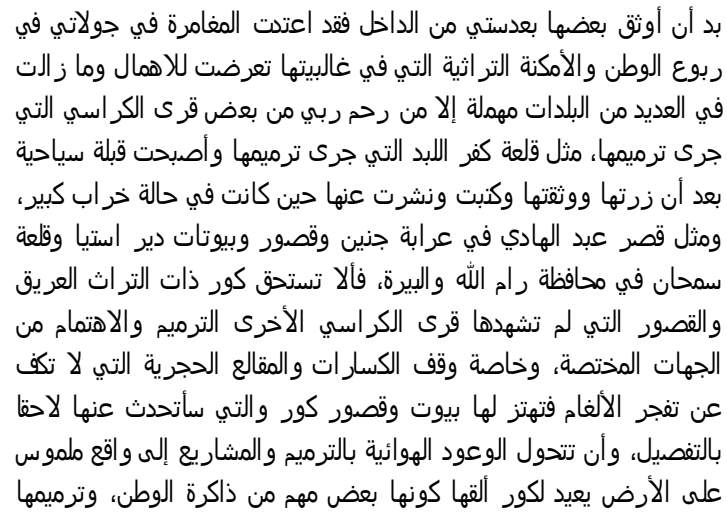

وما بين قوسين من أقواس القصر الضخمة والمرتفعة كان هناك قسم جار عليه الزمان أيضا وواضح ان قوسه جرى اغلاقه وفتح مكانه نافذة مستطيلة وباب مستطيل وأعلى المبنى قد تساقطت حجارته، وعلى أعلى بعض البوابات وحول بعض النوافذ ما زالت بقايا النقوش والزخرفيات الحجرية المتميزة والرموز التي تشير لمكانة صاحب القصر موجودة، تحيطها أطر منقوشة من الحجر بشكل جميل، لكنها بدأت بالتساقط والضياع بكل ما تحمله من تراث جميل ومتميز، وجميع أنحاء القصر بنيت على نظام العقود المتصالبة والأحواش المتجاورة داخل القصر، حتى تسمح للخصوصية لسكان القصر أن تكون موجودة وكذلك طبيعة الاستخدامات المختلفة.

وكان الدخول لهذه الأمكنة مغامرة مع وضعها المؤلم والمؤسف واحتمالية سقوط بعض من حجارتها مع الحالة المزرية التي وصلت اليها، لكن كان لا بد أن أوثق بعضها بعدستي من الداخل فقد اعتدت المغامرة في جولاتي في ربوع الوطن والأمكنة التراثية التي في غالبيتها تعرضت للاهمال وما زالت في العديد من البلدات مهملة إلا من رحم ربي من بعض قرى الكراسي التي جرى ترميمها، مثل قلعة كفر اللبد التي جرى ترميمها وأصبحت قبلة سياحية بعد أن زرتها ووثقتها وكتبت ونشرت عنها حين كانت في حالة خراب كبير، ومثل قصر عبد الهادي في عرابة جنين وقصور وبيوتات دير استيا وقلعة سمحان في محافظة رام الله والبيرة، فألا تستحق كور ذات التراث العريق والقصور التي لم تشهدها قرى الكراسي الأخرى الترميم والاهتمام من الجهات المختصة، وخاصة وقف الكسارات والمقالع الحجرية التي لا تكف عن تفجر الألغام فتهتز لها بيوت وقصور كور والتي سأتحدث عنها لاحقا بالتفصيل، وأن تتحول الوعود الهوائية بالترميم والمشاريع إلى واقع ملموس على الأرض يعيد لكور ألقها كونها بعض مهم من ذاكرة الوطن، وترميمها سيجعلها قبلة للزوار والسائحين

في جيوس بلدتي وفي وكني الجميل وأمام حديقتي وشجرات التين والبرتقال والليمون أجلس على الشرفة في هذا الصباح قبل أن تشتد درجات الحرارة، أحتسي قهوتي واتمتع بنسمات عابرة وأستعيد ذكرى زيارتي لبلدة كور وما سيكون من حديث في الحلقة الثالثة، وأستمع لشدو فيروز: "على باب منوقف تنودع الأحباب نغمرهن وتولع ايدينا بالعذاب، وبواب بواب شي غرب شي صحاب، شي مسكر وناطر تيرجعوا الغياب، آه البواب.. في باب غرقان بريحة الياسمين، في باب مشتاق في باب حزين، في باب مهجور أهلو منسيين، هالأرض كلها بيوت، يا رب خليها مزيني بيواب و لا يحزن و لا بيت ولا يتسكر باب".

فأهمس: صباحكم أجمل، صباح حلم آمل أن يتحقق في كور، صباح أجمل يا وطن..

قيـود

.قصة قصيرة

ريبر هبون

استولي الذهول على أعين من حولها وهم يشاهدونها تأكل سندويشة الكباب بينما تمشي بين الجموع في تلك التلة، حيث يقام عليها عيد نوروز، فلا تستلذ بطعم الكباب إلا حينما تمشي، تأكل السندويشة بيد وتسحب يد ابنتها باليد الأخرى، صاح عريف الحفل..

- للمرة الألف أنادي كل من أضاع الأطفال التالية أسماؤهم، المجيء عند خشبة المسرح وأخذهم، بعضهم يصرخ وينادي ماما.

الجو مشمش للغاية كأن الصيف تسلل للربيع واغتصبه على مرآى آذار.. روائح العرق المنبعثة من إبط المارة تلسع الأنوف المرهفة والأجساد الثقيلة الحاملة كروشها باتجاه أماكن شوي الكباب والفروج المتبل.

حيث يطيب للبعض الاحتفال بنوروز عبر عقد حلقة رقص وآخرين يبدؤون بالشواء، أما الثوريون فلا يبارحون المسرح لمشاهدة الرقصات الشعبية والأغاني الحماسية.

الام وابنتها أشد لصوقاً من بعضهن، حيث لم تدخل الابنة المدللة سن المراهقة حتى راحت تقول لجاراتها وقريباتها:

- مهر ابنتي غال جداً، ولن أعطيها إلا لابن الحسب والجاه.

تسابق أبناء الضيعة في خطبة ابنتها لأبناءهم، حيث كانت تتم الخطوبة و الفسخ تبعاً للصلات الاجتماعية وتقلباتها، فحين تكون العلاقات جيدة تتم الخطوبة وحين تسوء يتم الفسخ، يقول عماد ابن عمها ساخراً:

- هذه المدينة تنشغل في عقد الخطوبة والزواج على الأطفال منذ خروجهم من رحم أمهاتهم.

يدور الحوار بينه وصديقه يسأله فؤاد:

حدثني عن ذلك، يبدو هذا طريفاً ومحزناً في آن.

يتنفس الصعداء ويكمل: لنتابع حديثنا ونحن نتمشى، الهواء في المدينة الجامعية يبدو منعشاً، طقس خريفي مزين بأوراق الأشجار الصفراء وحديث يشبه غموض الخريف وشجونه.

- كما تشاء لنمشي.

كنت أعيش نهاية قصة حب عشتها بألم ولم أشفى منها، أعاني عبراتها وأعيد في ذهني لحظات الوجع والخيبة، ضاق بي ذلك ذرعاً فهممت أقول لأمي مستسلماً للفراغ العاطفي

- سأتزوج بمن تختارينها لي زوجة

- حقاً بني،ذلك يسعدني حقاً.. سأذهب وأخبرهم عن رغبتنا في سعاد ابنة عمك الجميلة.. لكن بمجرد إخبارهم بذلك، يعني أنك لن تستطيع العدول عن قرارك المصيري هذا، إن حدث وغيرت رأيك ستحدث مشاكل عائلية فيما بيننا نحن بغنى عنها.

- كما تشائين، أنا أيضاً أرى أنها فتاة جميلة وأحس انها مناسبة لي .لكن جل ما أخشاه أن تكون مرتبطة ذلك سيكون محرجاً.

- لا تقلق، إنها بنت أبيها وأمها ولا تتحدث كفتيات اليوم مع الشبان، لا يتجرأ على الاقتراب منها أحد.. كن واثقاً.

يتدخل أبي بعد أن سمع كلامنا

- هم لن يصدقوا رغبتنا بابنتهم سيجلسونها على فخذيك ما إن نطلبها لك.

- فؤاد يضحك من هذه العبارة... .أكمل أكمل.....

بعد ذلك أحببت فتاة بشكل لا يصدق، وزاد ارتباطنا لدرجة كبيرة، لقد كانت من مدينة أخرى مجاورة، فأخبرت والدتي بعد ذلك أنني وقعت في حب جاد وصادق، وإني والفتاة عازمين على الزواج.

صرخت بأعلى صوتها حتى ظننت أنها فقدت عقلها، كيف تعشق وأنت تدرك أنك لابنة عمك وأننا تحدثنا بشأنها.

الوالد أكمل بحنق:

- هل جننت يا هذا، أتريد جعلنا أضحوكة بين الناس

بعد برهة صمت، أردف فؤاد:

- ماذا جرى بعدها

- أمام الاستنكار المستمر من والدتي من جهة وعناد حبيبتي وسوء حالتها الصحية من جهة أخرى، انتهت علاقتنا بألم مرير، عدت مجدداً لعزلتي وفراغي القاتل، لم أجد من طريقة لمنح نفسي فرصة استقرار أفضل إلا الاتصال بابنة العم المدللة ومحاولة التعرف عليها عن قرب، لنرى ما إن كانت ملائمة لي أم لا..

كانت تقيم في المدينة الجامعية بينما كنت أتردد من فترة لأخرى إلى هناك، إلا أن النتائج لم تكن محمودة..

توقف عماد عن الحديث، حينما شارفت الشمس على المغيب وبرد الجو، كان يغص حلقه من تذكر خيباته المتلاحقة، سعاد تمتلئ كبراً ودلالاً وإعجاباً بنفسها، كامتلاء نهديها، وحمّالة الصدر المحشوة التي أضفت على النهدين الكبيرين حجماً أكبر، تلبس بنطالاً أسوداً فاحماً أعطى للأرداف والورك شكلاً كروياً أشبه بدولاب الدراكتور الذي كنا نضعه تحت برميل المازوت في الشتاء.

طلب عماد منها موعداً في المساء ليتمشيا قليلاً، خيل إليه أن قريبته ستعوضه عن خيباته من الفتيات الغريبات، ولكونها ابنة العم ومن ذات اللحم والدم، فإنها ستكون له بلسماً ودواء.

جاءه اتصال سعاد بغتة بينما كان داخل التواليت الجامعي يحاول التغوط إثر إمساك حاد، كأن الاتصال إشارة إلى لقاء لن يكون كما هو متوقع، خرج من التواليت بعد أن لبس على عجل وقام بغسل يديه والتقط الموبايل بيده المبللة:

- أهلاً سعاد كيف حالك اليوم

- بخير وأنت

- أين أنت

- أنا عند الجناح رقم خمسة، تعال إلى هناك وسآتي إليك بعد أن تصل.

- حسناً.

أحس بنبضات قلب العشاق حين سمع صوتها الطفولي الممتزج بحرائق أنثى تطفئ برد الليل بزفيرها، تصافحا ومشيا حول المدينة بحديث عابر غير مفهوم، لم تستمر المواعدة سوى نصف ساعة قفل بعد ذلك راجعاً، أحس ببرودها طيلة حديثها شبه الحذر معه، تذكر ما قالته والدته إليه:

- إنها تتمنع وتخجل فعليك بالصبر بني، إنه دلال الأنثى.

بين فترة وأخرى راح يرسل لها رسائل قصيرة، ولم ترد عليه، يتصل بها ليدعوها لمعرض الرسم، تعتذر منه: أنا لا أحب الرسم... بعد مرور الوقت راحت ترسل له رسالة:

- لا تحاول معي أخي

أحس بخيبة ثقيلة هدته، كأنه استدرج لفخ التقاليد، أو كأن خيبته في العشق جعلته يترنح على مذبح الأعراف الاجتماعية، فضول كبير سرى بداخله وأراد أن يعرف ما سبب رفضها له، للرفض انعكاسات سلبية على الذات، حينما تأتي على نحو فج ومبهم.

ألح بعد فترة ركود أن يلتقيها ويفهم منها كل شيء، فالموضوع بات فضولاً وتحدياً له ولأهله.

- سعاد أود أن نلتقي ولو لمرة أخيرة، ثمة أشياء يجب فهمها ووضع النقاط على الحروف بعد ذلك.

- لا بأس، انتظر اتصالي غداً، تصبح على خير.

- وأنت بخير .

استيقظت متأخرة من نومها، ارتدت ثيابها، تزينت كأنها تتهيأ لعرس، إنه عرس حقيقي، فاليوم ستنفض عن نفسها قيداً يكبلها، لوّنت شفتيها بالزهري مع لمعة خفيفة، بالغة بوضع مسحوق البودرة على وجهها، وبدت ملامحها كمن وضعت وجهها في كوب طحين أبيض، ارتدت نضارتها الشمسية الكبيرة وخرجت إليه تقابله.

جلست قبالته على ذلك المقعد الرخامي، ووضعت ساقاً على ساق، رفعت

بهرين أوسي

رائحة الموت

في المكان اليوم رائحة غريبة لاتشبه عطر غرفتي في مكان العمل رائحة مختلفة اختلاف الوجوه الموجودة هنا عيون تملأها الدموع وبعض من همس مجنون يتناثر في أجواء المكان منذ بداية الثورة المزعومة وجثث القتلى على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم تمر من هنا عابرةً إلى عالم أخر لكن رائحة هذا اليوم تختلف عن كل الموت المار من هنا...
اليوم موت مختلف موت بطعم الندم الكل يبكي عجزه عن إنقاذه اخرجوا التابوت ملفوفاً بعلم اسرع أخونه إليه مزقوا العلم واخرجوا علماً بشمسٍ صفراء لفوا بها التابوت جلس أحدهم يبكي ضعفه حملوه وخرجوا من المكان تاركين ذلك العطر الخفي منتشراً في المكان.

حريق

رائحة القلوب المحترقة ملأت زوايا المدينة الجريحة جروح أبنائها دخان النار التي أشعلت في قلب قامشلو وصلت قبة السماء أصوات البكاء ترتطم بالقلوب المفجوعة ليعود صداها إلينا أكثر ألمنا وأعمق جرحاً فقدنا الكثير من زملاء العمل كانوا قرروا مغادرة المكان هنا والعمل في المستوصف بحثاً عن بعض الراحة حالة الجنون والهذيان بأسماء شهداء المستوصف نالت من كل سكان قامشلو مر الشهداء المحترقون بنار لقمة العيش أمام أعين ذويهم وهم يهذون بحثاً عنهم بين انقاض المكان حلماً احترق بين جدران المستوصف

الفن كسلاح قوي بعد فشل السياسة

فنانات يقدمن في عرض فني رسالة كردستانية

تقرير : سلطانة داوود

أحيت الفنانة الكوردستانية. ابنة زاخو هافين السندي نشاطاً نسوياً مائزاً، أبهرت من خلاله المشاهدين، عبر عرضها المميز بها في مدينة كولن الألمانية، الذي افتتحفي 12 اذار و سوف يستمر حتى العاشر من نيسان.

استوحت الفنانة فكرة عملها الفني من إحدى الروايات الكوردية للكاتبة (كاروش طه) والتي تتطرق فيها إلى مأساة وأوجاع الكورد وإلى وضع المرأة الكوردية، ودورها في حلبة الصراع السياسي المثقل بتبعات الواقع المؤلم لكوردستان، وتمحورت الفكرة التي ركزت عليها الفنانة هذه المرة، من خلال تسليط الضوء على المرأة الكوردية وزيها الكوردي الذي يعكسفي طياته قضية شعب كامل ذاق الأمرين من ناحية ورمز الأنوثة في كوردستان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قامت الفنانة بطلاء الفساتين بالكلس الأبيض، لإخفاء معالمها، بقصد محو الهوية الكوردية، لتبين عمق رمزية الزي الكوردي الذي يرمز إلى الهوية والوجود والبقاء، لتعكس عبر هذه اللوحة ممارسات الدول المحتلة لكوردستان.

الفنانة.. اختارت ست نساء كورديات من كل أجزاء كوردستان المحتلة، ليرمزن إلى قضية كاملة، و ألبست النسوة الست الفساتين، تاركة خشبة المسرح لهؤلاء النسوة، ولم تعد هنا الفنانة تملك شيئاً آخر سوى انتظار العمل المسرحي الذي لهن، لأنهن الآن أجدر بأداء الدور الحقيقي للعمل، فأصبحن كهنى حية متحركة. بيضاء، و يمسكن، وبصلابة، بأيدي بعضهن البعض، بشكل عفوي، لتؤدين أدوارهن كحالة مسرحية فنية، تعبيراً عن وحدتهن، وتحديهن للمصاعب، وتحركهن حتى تساقط هذا الكلس من الفساتين، كي تتخلص الفساتين من الكلس، وتظهر القضية والرمز اللذان يفرضان نفسيهما بكل قوة، ولتكون، بالتالي، ألوان هذه الفساتين هدفاً سياسياً للعدو. كانت الفنانات تتحرك ليس للاستمتاع بل كان في عيونهن القهر والتحدي، وفي كل خطواتهن إرادة التغيير من أجل زمن ما.

واضطر هذا المشهد المثير الذي يعجز اللسان عن وصفه المارة والجمهور على الوقوف والاقتراب من النساء الكرديات، ليقفوا بصمت، و يتابعوهن وهن يتمايلن من الألم، على أنغام الطبل والمزمار "الزرنة".

ان مثل هذه الأعمال الفنية والمسرحية تجسد الجمال، وتستطيع أن تكون أقوى أشكال الفن والخطاب، و المقاومة، في وقت استاء فيه الشعب من الساسة.

Havin Alsin

أقامت هافين السندي، حتى الآن، عشرات الأنشطة المنوعة

وعشرات المعارض الفنية، وهي خريجة جامعة إسن. قسم العلوم الطبيعية والكيمياء، ومن ثم اتجهت إلى أكاديمية الفن التشكيلي، لتنهي تخرجها، وهي عضوة في أكاديمية الفن التشكيلي، ومحاضرة في جامعتي دسلدورف و شتوتغارت الالمانيتين، قسم الفن.

الميـديـون والأكـــراد

.الجزء الأول.

جان كورد

علاقة الكرد بالميديين

"الميديون - الأكراد - كانوا سكان الجبال من أصل ايراني، اشتد ساعدهم في القرن السابع قبل الميلاد، بحيث أنهم بعد موت الملك الآشوري آشور بانيبال قد شنوا الحرب على شعبه ودمروا مدينة نينوى عام 612 ق. م" (1)

هذا ما يمكن قوله في الوقت المعاصر باختصار عن الميديين، كما وصفهم لنا الأستاذ فاضل خليل في كتابه السياسي عن الأكراد اليوم .

ويمكن دعم هذا الإتجاه في عقد أواصر القرابة بين الأكراد الحاليين والميديين القدامى بما تركه لنا المؤرخون والمؤلفون الآخرون، فالأستاذ الكبير - عليه رحمة الله - محمد أمين زكي في كتابه (تاريخ الكرد وكردستان ينقل عن الأستاذ (سايس) في (التاريخ العام للمؤرخين - الجزء الثاني) بأن: "الشعب الميدي عشائر كردية تقطن شرقي بلاد آشور، حيث كانت حدود موطنها تمتد الى جنوبي بحر قزوين" (2) "وبالنظر الى وطن الشعب الميدي ولغته، يتضح تماماً أن الشعب الميدي هذا أصل قريب جداً للكرد" (3). وينقل عن مشير الدولة في كتابه الفارسي (كتاب ايران قديم) قوله بأن "لغة الميديين كانت نفس لغة الشعب الكردي الحالي أو أساسها على الأقل ." (4)

ويرى المؤلف الألماني غونتر دشنر Guenter Dechner الذي كتب عن الأكراد كتابين هما (أبناء صلاح الدين) و (الأكراد: الشعب المخدوع) بأن عملية الإندوجرمانية لشعوب طوروس وزاغروس (الميتاني والكاسيتي) قد تقدمت مع توغل الشعب الآري الى هذه المنطقة في الألف الثانية قبل الميلاد.. إلا أن الميديين تمكنوا من فرض تأثيرهم اللغوي نهائياً على منطقة الأكراد الحالية، بدءا من الألف الأولى قبل الميلاد .. ثم يقول : "ومن واقع أن اللغة الكردية تظهر مؤثرات ميدية قديمة، ذهب مينورسكي الى أن الشعب الكردي تشكل من تمازج (صهر) القبائل الميدية في غرب ايران الحالي مع المجموعات القومية التي كانت تعيش فيما مضى في كوردستان . " (5)

ويؤكد الأستاذ هانز هاوزر بأنه قد تم إيضاح أن اللغة الكردية ليست مطلقاً لهجة محلية - مثلما أشيع حتى الآن - وإنما لغة في حد ذاتها تنتمي الى عائلة اللغات (شمال - غربي) الايرانية، وهي لاتنتمي الى الفارسية، في حين أنها تظهر كاشتقاق ميدي قديم، وذلك من قبل أن يؤسس (الدايوكيون - الملوك الميديون) (6) مملكتهم في الجبال الشمالية - الغربية من آذربايجان (7).. ويختتم هانز هاوزر بحثه عن العلاقة بين الكرد والميديين على هذا الشكل : "الميديون الذين احتلوا عام 612 نينوى، لغتهم هي - اليوم - الكردية، وتأثير الميديين الثقافي في اللغات الزاغروسية وغرباً في الطوروس الأناتولي (8) عميق." وكما أثبت غ. كاميرون بأن أسماء الأمراء الأكراد الجوتيين) Goti أي الجوديين - نسبة الى جودي المحرف عن Godi لعدم وجود حرف G في اللغة العربية التي جاء بها القرآن الكريم وتحدث عن بداية جديدة للعنصر البشري بعد الطوفان، حيث يقول عن سفينة نوح عليه السلام: {واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين} سورة هود/ 44)(9) في شمال ووسط سلسلة زاغروس قد تأثرت لدرجة كبيرة بالميدية. اللغة الميدية أصبحت لغة مدنية من خلال تفاعل عناصر لغوية مختلفة للعشائر الجبلية وكان من تأثيرها تمركز خليط عنصري وسياسي، وفي النتيجة يمكن القول بأن ولادة الشعب الكردي بدأت مع نمو اللغة أولاً، هذا الشعب المزيج من أعراق وقبائل جبلية."(10) ثم يؤكد على أنه: "لولا اللغة الميدية لما كان ثمة شعب كردي اليوم (11)".

أما الباحث والمؤرخ الألماني الذائع الصيت البروفيسور فرايهير ف. آيكيشتيت فإنه لايعتمد في دراساته في الصحراء وحيوية الأجناس على اللغة والموطن فحسب لاثبات مقارناته بين الأقوام، وإنما على التشابه في الشكل والوجه خاصة. إنه يضع أمامنا لوحة معدنية من كنز الأوكسوس عليها نقش لمحارب ميدي من القرن السادس قبل الميلاد الى جانب صورة فوتوغرافية لزعيم موكري من أكراد القرن العشرين، وويتوصل من خلال هذه المقارنة الى نتيجة مفادها التشابه التام بين مواصفات وجه المحارب الميدي القديم والكردي الموكري الحديث اللذين لهما نفس اللغة الميدية القديمة.

لذا واستناداً الى ما ذكر، يمكن القول بأن الأكراد ينتمون الى الميديين الذين اختلطوا بسكان كردستان الأصليين من الميتاني والجوديين، وطناً ولغة وأصلاً، وهم ذلك القوم الذي لعب في إحدى المراحل التاريخية المبكرة دوراً حاسماً في دك امبراطورية عتيدة هي الامبراطورية الآشورية عام 612 ق. م، مثلما لعب دوره في التصدي للمغول وفي طرد الصليبيين من المنطقة فيما بعد.

الميديون الأوائل وعلاقتهم بالآريين

مما لاشك فيه أن سفينة نوح (عليه السلام) قد استوت على جبل الجودي الذي يقع في كوردستان المركزية. وهذا يعني أن كوردستان تشكل "مهد البشرية" كما وصفها بعض الرحالة، بعد الطوفان الشهير الذي يحدثنا عنه القرآن الكريم. ولا تزال بالقرب من جبل جودي (Godiyien) قرية تسمى ب(هشتانيان) أي قرية الثمانين ويروى بأنها القرية التي سكنها نوح عليه السلام من ضمن ثمانين شخصاً. وفي مدينة جزره بشمال كوردستان قبر يزوره الناس يذكر بأنه قبر سيدنا نوح عليه السلام، ولقد زرته أيضاً في عام 1992م .

ولذا فقد كانت بلاد ميديا وفارس مسكونة من قبل شعوب عريقة في القدم، قبل وفود الآريين الى المنطقة بعصور طويلة لا يعلم مداها إلا الله وحده، وحيث تم الإنتشار الآري في المنطقة في وقت متأخر جداً.

ويرى هومل Hommel بأنه من المحتمل أن كانت المنطقة الواقعة بين القفقاس وعيلام، ومعها جزء كبير من أرمينيا وكل الهضبة الميدية، في وقت مبكر مسكونة من قبل مجموعة سكانية موحدة. ويعتمد في ذلك على الدراسات اللغوية لسكان المنطقة الذين كانت لهم قرابة لغوية. (أنظر كتاب هوميل: Homel: Gesichte des alten Orients, S.34

وهنا يجدر بالذكر أن اسم ميديا الذي ظهر في وقت متأخر باسم عيلام، قد تم بعد أن انصهرت العناصر الميدية بالآريين صهراً كلياً، وأطلق اسم عيلام على البلاد الميدية من قبل الفرس أقرباء الميديين، واختفى بعد ذلك في العصر الساساني.

وحول اسم البلاد الميدية يقول المؤرخ يوستين فون براشيك: "اسم البلاد (ماتا) أو (مادا) يشهد بأن المنطقة التي استوطنها الآريون في وقت متأخر كانت مسكونة من شعب آخر تم تسميته تبعا للأرض من قبل جيرانه. أنظر كتاب يوستين فون براشيك ص 20:

Geschichte der Meder und Perser bis zur makedonischen Eroberung, Band 1 und 2, 1968/ issenschaftlishe Buchgesellschaft- darmstadt.)

وعليه فإن إسم البلاد هو مادا وليس اسم الشعب أو الشعوب التي سكنت هذه البلاد ، إلا أن شعوب هذه البلاد قد سميت بالميديين نسبة الى الأرض التي سكنوها . ولقد تعرض سكان هذه البلاد الأصليون باستمرار الى هجرات خارجية وحروب استعمارية من أقوام مختلفة، كما كانت الحال في البلاد المجاورة، وشكلوا تحالفات قبلية - عسكرية ، وأقاموا دولا أو أشباه دول، إلى أن اقتحم الآريون المنطقة وسيطروا عليها كاملة، وطبعوا البلاد بطبائعهم الإجتماعية والثقافية المتميزة عن طبائع الشعوب الأخرى المجاورة لبلاد ميديا وفارس.

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يرى بأن الآريين أنفسهم كانوا يحملون اسم الماداي (آماداي) التي لا تزال لها - حسب ما نظن - إشتقاقات لمدن كردية منها (آمادية وآمد)، إلا أن هذه البلاد كانت تدعى لدى الآشوريين، منذ زمن سبق الهجرات الآرية، ببلاد (مادا) وسكانها كانوا يعتبرون ، نسبة الى تلك البلاد ، ودون تفرقة بين طوائفهم بالماداي أو الميديين.

ويرى غ . ماسبيرو G. Maspero الذي اكتشف آثار الهجرة الآرية في اللوحات الآشورية التي بقيت سليمة، بأن شالمانسار الثاني الذي غزا البلدان الفارسية وتقدم فيها شرقا عام 841 ق. م صوب مناطق لم تكن معروفة لدى الآشوريين من قبل واصطدم هناك بشعب الماداي. ولقد تتبع ماسبيرو هذه الوقائع فاكتشف بأن شعب الماداي هذا قد استولى من قبل بقوة السلاح على الهضبة الميدية، على طريق هجرته من الشمال الى الجنوب. (أنظر كتاب: G. Maspero, Histoire ancienne des peuples de l'orient)

ويرى براشيك بأن حدود ميديا قد ترسخت خلال زمن طويل جدا ، فقد " ذكرت ميديا تحت اسم ماداي عند شلمانصار الثاني 860 - 824 ق.م ..." (أنظر براشيك ص - 10).

ويحدد براشيك هذه البلاد (ماتاي - ماداي) في توسعها القديم أيضا على الشكل التالي: الجبال الصخرية (موزي) تحدها من الغرب، وهي ميزو في خورخوران، وجاغاتو مع جبل كوهي جهل جسمى Kohî cehil çesmî أو قمم التلال الثلاثة تشكل الحدود الشمالية - الغربية لماداي، بينما تحدها من الجنوب وديان دوليت آباد وخورم آباد .

ونجد تدقيقا لدى ماركوارت Marquart في موضوع حدود المملكة الميدية على الشكل التالي:

- من الجنوب : مسيرة خمسة أيام من أكباتانا Agbatana عاصمة الميديين التي تدعى الآن همدان - أي الى مدينة رابسا Rapsa

- من الغرب : سلسلة جبال زاغروس

- من الشمال : حدود ايلبورز Elburs

- من الشرق : مداخل البحر الكاسبي وحدود بارث .

(أنظر : Marquart, Untersuchungen zur Geschichte von Eran II, S. 20)

ولا بد لنا أن نتعرض في هذا المجال الى علاقة الميديين بالآريين الذين يشكل توافدهم على هضبة ايران وكوردستان عنصرا هاما في تغير مجرى التاريخ الإنساني في هذه البقعة من الأرض .

---

(1) فاضل خليل - الأكراد اليوم - دار أوروبا - فيينا 1985 ص 13

Fadel Khalil, Kurden heute, 1985, by Europa Verlag - Wien, S. 13

(2) محمد أمين زكي ، تاريخ الكرد وكردستان ، الجزء 1 ، ص 69

(3) نفس المصدر ص 70

(4) نفس المصدر ص 71

(5) غونتر دشنر - الأكراد : الشعب المخدوع - 1991 ص 65 - 66

Guenter Dechner, Die Kurden : Das betrogene Voolk, Ulstein Sachbuch 1991, S. 65- 66

(6) كلمة دايو - Dayo تعني بالكردية (المعطي) وهي مشتقة من فعل الماضي (دا - DA - أعطى) ومن ناحية أخرى فإن ديو - Dêw تعني بالكردية الشمالية إله خرافي وعملاق .

(7) هانز هاوزر - كردستان - ص 45

Hans Hauser, Kurdistan, 1975, S. 45, by Albert Iangen Mueller Verlag

(8) حرف الأتراك كلمة آناتوليا اليونانية Anatolia الى كلمة آنا ضولو لتعني عندهم أرض الأم أي تركيا ، وهذا مخالف للحقيقة التي نعلمها وهي أن الأتراك قد جاؤوا من شمال الصين الى المنطقة .

(9) ملاحظة لجان كورد

(10) هانز هاوزر - كردستان - ص 61

(11) نفس المصدر ص 64

..... يتبـــع .....

فراشة أحلام بشارات

زياد جيوسي

في البدء لا بد من الإشارة إلى أن المكتبة العربية تفتقر إلى حد ما أدب الأطفال والفتيان، فدور الكتاب مهم جدا في حياة صغار السن ويلبي حاجات يحتاجونها، وهذا ما تربينا عليه منذ الطفولة في عصر لم نكن نعرف الكهرباء ولا التلفاز ونقرأ على ضوء "لمبة الجاز"، وكما قال المؤلف د. نجم عبد الله كاظم في مؤلفه الضخم "رواية الفتيان" عن أدب الفتيان: "تمتلك رواية الفتيان خصوصية لا يخطئها قارىء ولا ناقد. أهم ما يكمن وراءها علاقاتها برواية الكبار وكتاباته بشكل عام من جهة وبقصص الأطفال والكتابات الموجهة لهم بشكل عام من جهة أخرى. وهذا يعني بالضرورة أنها تقوم على مقومات وخصائص فنية وموضوعية هي بدورها نتاج عناصر هذا الفن واشتغالها الداخلي الخاص وطرق معالجة كاتبها لموضوعاتها"، وفي نفس الوقت نفتقد إلا إلى القلة القليلة من النقاد المختصين بأدب الطفل، وهنا نجد خروجاً عن المألوف بوجود رواية كاملة مقدمة للفتية من الجنسين بقلم الكاتبة الفلسطينية أحلام بشارات، وهذا يعني أنها مقدمة لجيل ما قبل مرحلة الشباب إذا أخذنا بعين الاعتبار أن بعض التصنيفات تضع عمر الفتية بين الثامنة والثامنة عشرة من العمر، وفي نفس الوقت لا بد من الإشارة إلى أن استخدام عبارة "رواية للفتيان" مجردة تعطيها الجانب الذكوري وتنقص من حق الفتيات، فكان الأجدر أن تعنون بعبارة: "رواية للفتيان والفتيات"، وإضافة لذلك لا بد أن أشير إلى التوفيق الكبير باختيار اسم الرواية، فاسمها: "إسمي الحركة فراشة" وهو أحد فصول الرواية، وهو اسم يشير إلى مرحلة الطفولة الجميلة وأحلامها وأسرارها البريئة، فكل الأطفال يولدون كالفراشات ولكن عوامل البيئة والمجتمع هي التي تغيرهم، لذا كان العنوان موفقاً فصور الطفل الذي سيكبر ويصبح فتى أو فتاة محلقا كالفراشة التي تبدع في تحليقها بين الزهور والجمال.

قسمت الرواية إلى عدة فصول وكل منها يحمل عنواناً مختلفاً والتي شكلت بمجملها رواية تحمل سمات العمل الروائي، وليس مجرد لقب الرواية، وقد تمكنت الكاتبة ببراعة من استخدام لغة عربية سليمة، لكنها سهلة بعيدة عن التعقيد بما يتناسب مع المرحلة العمرية للقراء، وابتعدت عن اللهجة المحكية مما يدفع القراء لتشرب عبارات عربية مكتوبة بأسلوب جيد، ومع هذا فقد وقعت الكاتبة بخطأ استخدام كلمتي "ستي وسيدي" في بعض المقاطع وليس في كلها بديلا عن كلمتي "جدي وجدتي"، وهما الأصح لغوياً رغم أن الكلمتين في البداية مستخدمة بكثرة في اللهجة المحكية، وكتبت الرواية بأسلوب مازج الجد بالهزل والفكاهة بالبكاء والحلم بالواقع.

أيضا في حلم بطلة الرواية كانت تخفي حلمها بالسفر خارج فلسطين وبشكل خاص عن أختها تالا التي ستثرثر بذلك للجميع، وعن زميلتها بالمدرسة "ميس" حتى لا تسمع منها أن السفر خارج فلسطين حرام لأنها أرض الرباط، وفي هذه إشارة واضحة إلى تيار سياسي يترك تأثيره، وحبذا لو تمت الإشارة أن مغادرة الوطن لا تجوز من زاوية التشبث به خوفا من أطماع المحتل، ففلسطين وطن بكامله وليست فقط عبارة أرض الرباط المرتبطة بمفهوم ديني.

تمكنت الكاتبة بمهارة من انتقاد عدد كبير من السلوكيات للأمهات والأهل بشكل عام، فانتقدت الثرثرة لدى النساء وتقزيم مستقبل الفتاة الصغيرة بالزواج فقط حين تكبر، كما انتقدت الكبار ممثلين بالأم التي تبخل بشراء منشفة صالحة، وزوجة العم التي تتباهى بالمشتريات إلى درجة التبذير، وفي نفس الوقت تمكنت الكاتبة بأسلوب سلس من الإشارة إلى الكثير من التساؤلات البريئة التي تدور بأذهان الفتية والأطفال دون أن يعرفوا لها سببا ولا يجدون إجابة شافية لو سألوا، مثل ألآم بطن زينب أختها الكبيرة ولم تعرف الجواب إلا حين بلغت مبلغ النساء، وفي الجانب الاجتماعي أشارت لعدة مسائل منها الفروق في الحياة والسلوك بين القرية والمدينة.

وفي الجانب الوطني تمكنت الكاتبة أن توصل الكثير من الأفكار بأسلوب سلس مثل عمل والد بطلة الرواية في مزرعة عند المحتلين، في الوقت الذي يرسل أطفاله إلى المدارس ليتعلموا تاريخ قضيتهم ومجازر الاحتلال، وكذلك الإشاعات التي تخرج وتصف البعض بالعمالة للمحتلين، أو تنعكس على أسرة العميل الحقيقي وهم لا ذنب لهم، وكذلك مشروعية أو عدم مشروعية السرقة من عند المحتل، وكذلك بإشارة راوية النص إلى مأساة الاقتتال الداخلي بين اقوى قوتين في الوطن في ظل الاحتلال، وكذلك الحديث عن سرقة البحرين والبحيرة في فلسطين، وعن الشوق الذي تملكها لبلدها في سفرتها الأولى مع والدها إلى عمَّان، وعن الفارق بين معيشة الحواجز واستشهاد الأطفال وقتلهم بدم بارد من جنود الاحتلال. كما أن الإشارات للعوامل النفسية لدى هذا السن، تمكنت الكاتبة من الإشارة إليها بمهارة، فأشارت إلى سلوك بطلة القصة بارتداء ملابس أمها سراً

وخاصة قميص نومها، أو تلوين وجهها وهي تجرب أحمر الشفاه، أو نتف بعض الشعر من الحاجبين سراً، وتساؤل الطفل سالم الذي استشهد أبوه حول نوم عمه في سرير أبيه، وهو لا يدرك انه تزوج من أمه، وكما قالت والدة بطلة الرواية: "عليه أن يستر عِرض أخيه"، فتثير هذه الكلمة التساؤل في ذهن الطفلة: "يبدو العِرض وكأنه كارثة مثل الإحتلال"، وكذلك السؤال حول استشهاد نزار.

يمكن القول أن الكاتبة تمكنت من خلال حبكة روايتها من وضع كم كبير من الأسئلة والتساؤلات التي تدور في أذهان الفتية من الجنسين، فكانت كالفراشة تدور في أذهان الفتية والبحث عن تساؤلاتهم، مما يجعل من هذا الكتاب مادة هامة على الأهل أن يطلعوا عليها أيضا وليس الفتية وحدهم، من أجل أن يعرفوا كم التساؤل في أذهان أبنائهم ويجيبوا على هذه التساؤلات بدون أن يستمعوا للأسئلة، وخصوصا أن هذا الجيل الآن مطلع على الكثير من خلال التلفاز والفضائيات والشبكة العنكبوتية.

وفي النهاية لا بد من الإشارة إلى مهارة الكاتبة في الخاتمة بعد ابداعها في فصول الرواية والتي أحتفظ بها منذ كانت مشروعا لرواية، فقد توحدت روح بطلة الرواية مع روح الشهيد، وحلقا معاً كفراشتين نحو القدس وقالت: "نبت لي جناحان فصرت فراشة"، ولا بد من الإشارة إلى أن إضافة المصطلحات المستخدمة وتفسيرها كان مسألة هامة حتى تسهل على الفتية فهم المعاني، وأعتقد أن وجودها في أسفل كل صفحة ورد فيها مصطلح سيكون أفضل من وضعها وكأنها فهرس في نهاية الرواية، فالكاتبة باتجاهها بعدة كتب لهذا التصنيف من الكتابة، اختطت طريقا صعبا وحافلا بالأشواك، لكنها تمكنت بجدارة أن تتجاوز حقول الألغام فيها، علما أن الكاتبة أصدرت العديد من قصص اليافعين منها جنجر ومصنع الذكريات، وترجمت لها ثلاثة روايات للانجليزية بما فيها هذه الرواية.

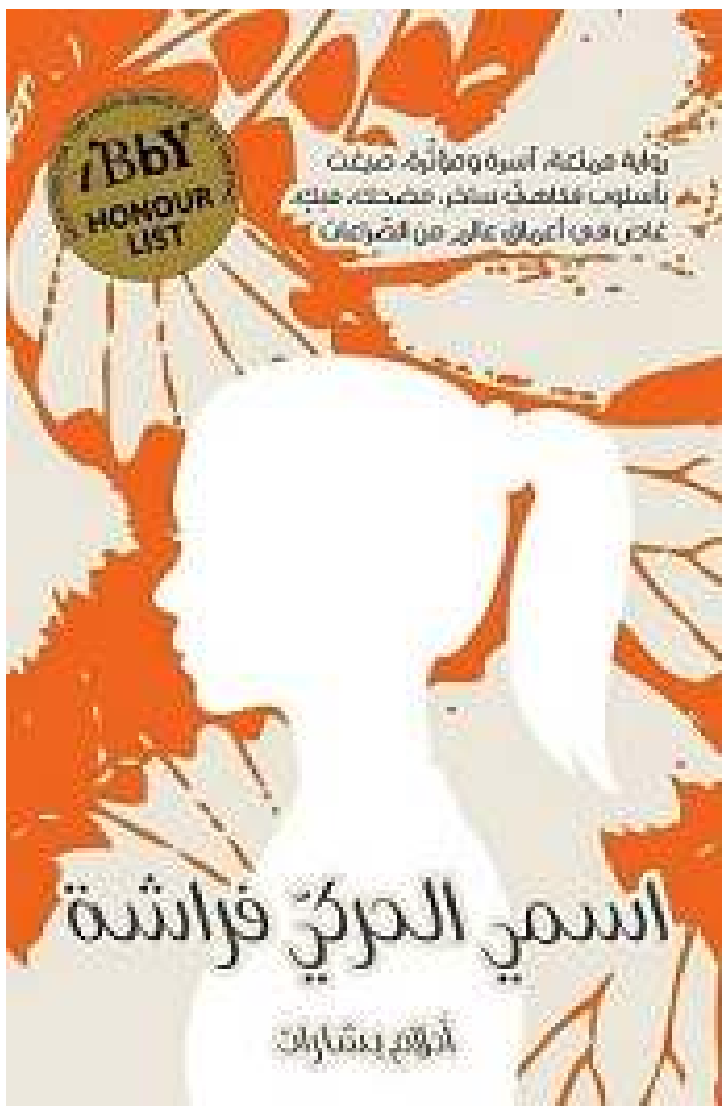

كتاب جديد يروي حكاية إيفا شتال حمد

تقرير: فراس حج محمد

صدر في حيفا بالتزامن مع الذكرى الرابعة والأربعين لمجزرة تل الزعتر كتاب "إيفا شتال حمد- أممية لم تغادر التل"، أعده وقدم له الأستاذ المحامي حسن عبّادي، ويقع الكتاب في حدود مئة صفحة من القطع المتوسط. أشرف عليه فنيا الفنان الفلسطيني ظافر شوربجي، صاحب دار مجد للتصميم والفنون، وراجعه وحرره الكاتب فراس حج محمد.

تتألف مادة الكتاب من شهادة لايفا شتال حمد حول المجزرة التي وقعت في الثاني عشر من آب عام 1976 واستهدفت مخيم تل الزعتر وخلفت ما يزيد عن ثلاثة آلاف ضحية غير الجرحى، وتحدثت إيفا في شهادتها عن رحلتها من السويد، وهي في العشرين من عمرها، إلى لبنان لتعمل ممرضة في إحدى المستشفيات الفلسطينية التابعة للجبهة الشعبية. كما تحدثت عن المعركة التي دارت في المخيم وعن استشهاد زوجها يوسف حمد ومصير عائلته، وتتابع إيفا سرد قصة المجزرة التي تسبب القصف في بتر ذراعها وفقدانها لإحدى رجليها وإسقاط جنينها. رحلة من العذاب ترويها إيفا بوصفها شاهد عيان على ما حل بالمخيم وأهله، تغص بالكثير من الأحداث والتفاصيل.

كما اشتمل الكتاب على رسالة بعثتها إيفا وزوجها نستور للمحامي حسن عبادي وزوجته، يعبران فيها عن مشاعرهما خلال رحلتهما إلى فلسطين عام 2018، حيث شاركا في فعاليات خاصة بذكرى المجزرة، ويتحدثان في الرسالة عن الأماكن التي زاروها في فلسطين والأشخاص الذين التقيا بهم.

أما القسم الثالث من الكتاب فقد جمع فيه معده حسن عبادي مجموعة من الكتابات التي كتبت حول مجزرة تل الزعتر، فأعاد نشر ما كتبه الدكتور يوسف عراقي في كتابه "يوميات طبيب من تل الزعتر" عن "الهجوم الكبير" على المخيم، ومن كتاب بسام الكعبي "تل الزعتر يقاوم التغييب" يثبت عبادي نصا بعنوان "السويدية إيفا شتال: وفاء بقامة أممية"، في حين يختار من كتاب الدكتور عبد العزيز اللبدي "معاناة إيفا واستشهاد زوجها يوسف" من كتابه المعنون بـ "حكايتي مع تل الزعتر"، وتحت عنوان "حب في زمن الحرب" تكتب تغريد الحاج نصا تحدثت فيه عن علاقة إيفا بيوسف. وينتهي هذا القسم بقصيدة الشاعر الفلسطيني معين بسيسو "أقطع كفي" التي كتبها عام 1976.

ويختم الكتاب بألبوم صور للناشطة السويدية إيفا شتال حمد، وتوثق تلك الصور رحلتها إلى فلسطين ومشاركتها في فعاليات الهلال الأحمر الفلسطيني وزيارتها للمدن الفلسطينية.

الملامح التاريخية لشعوب شرق المتوسط

- الكرد نموذجاً -

الحلقة السادسة.

خورشيد شوزي

الأمير شرف خان البدليسي عام 1596م في كتابه "شرف نامه" والذي نشر لأول مرة في بطرسبورغ في عام 1860م يقسّم الكرد حسب لهجاتهم إلى أربعة فروع:

1- الكورمانج (بلهجتيها الشرقية والغربية، ما يُعرف اليوم الكورمانجية والسورانية).

2- اللور 3- الكلهور 4- الگوران

الميجر سون في كتابه "قواعد اللغة الكردية" يقسّم اللغة الكردية إلى أربع لهجات، هي: الكورمانجية، الكورانية، اللورية، الزازية، وقسم الكورمانجية إلى شمالية وجنوبية.

أما إدموند فهو ينسب كل اللهجات الكردية من الناحية العملية إلى مجموعتين أساسيتين:

1- المجموعة الكورمانجية:

- **اللهجة الكورمانجية الشمالية:** ويتكلم بها الكرد الذين يسكنون شمال وغرب الخط الممتد من جنوب شواطئ بحيرة أورمية إلى منحنى الزاب الكبير حتى التقائه بنهر دجلة. أي في المناطق الشمالية والغربية من كردستان، وهي اللهجة التي يتكلمها معظم الكرد في تركيا ماعدا المنطقة المحيطة بديرسم حيث تستعمل اللهجة الزازية)، وكرد محافظة دهوك (باديان) في إقليم كردستان، والمناطق الكردية في محافظة الموصل، والجزء الشمالي من كردستان إيران، وجميع كرد سوريا وأرمينيا وجورجيا. والمجموعة الكورمانجية الشمالية لها لهجات فرعية، هي: البادينانية، البوتانية، الآشيتية، الهكارية، البايزيدية.

- **اللهجة الكورمانجية الجنوبية:** وتسمى بـ "السورانية" وهي اللغة الرسمية لكرد إقليم كردستان في محافظات: السليمانية و أربيل وكركوك، وفي شرقي كردستان في محافظات سنداج وأردلان ومكري وقسم من سكان محافظة كرمنشاه.

وتتصف اللهجة الشمالية التي تسمى باللهجة الكورمانجية بأنها لا تنقسم إلى لهجات ثانوية أخرى كما أنها تمتلك أيضاً ملامح متميزة واضحة، وربما كانت هي الأقدم، أما اللهجة الكورمانجية الجنوبية فلها لهجات ثانوية متنوعة أبرزها لهجتان هما السورانية (سليمانية) والموكرية (أردلان)، وتتداخل هاتان اللهجتان مع بعضهما بدون حدود واضحة.

إذاً فالمجموعة الكرمانجية الجنوبية لها لهجات فرعية،هي: الموكرية، السورانية، السليمانية، السنائية، الأردلانية.

2- المجموعة اللورية:

وتتألف من: الفيلية، البختيارية، الماسنية، الكلهورية، اللكية. وهناك رأيان بخصوص هذه اللهجات: الأول وهو أن اللوريين والبختياريين من الكرد. والثاني يعتبرهما قوميتين مستقلتين لهما صلة قربى بالأمة الكردية، لكنهما ليستا جزءً منها.

يقول الدكتور عبدالرحمن قاسملو في كتابه "كردستان والأكراد": نحن نعتبر اللور القاطنين شمال نهر (بي ديز) كرداً، وقد ثبت تاريخياً أن اللور والبختياري قبيلتان كرديتان متجاورتان من سلالة قوم (لولو) القديمة، وتعيشان في منطقة زاغروس منذ 2500 ق.م.

فالمجموعة اللورية لها لهجات فرعية، هي:

البختيارية، الماسنية، الكلهورية، الفيلية، اللكية.

3- المجموعة الكورانية:

وتتألف من (الباجلانية، الكاكائية، الزنكية، الهورامية)، وتنتشر اللهجة الكورانية بين عشائر هاورامان والكاكائيين في كركوك وعشائر الباجلان بالقرب من خانقين والعشائر الكورانية في شرقي كردستان.

فالمجموعة الكورانية لها لهجات فرعية،هي:

الباجلانية، الكاكائية، الزنكية، الهورامية.

4- اللهجة الزازاكية:

وهي لهجة متميزة يتكلم بها الكرد القاطنون في المنطقة الشمالية الغربية العليا بين ديار بكر وأرزنجان، وبمقارنة لهجة زازا مع الكورمانجية الشمالية ومع اللغات الإيرانية يرى العالم الروسي (بيوتوليرخ) أن هناك أشياء كثيرة خاصة من حيث الصوت واللهجة تبدو للمرء كما لو أنّ الزازاكية لغة مستقلة. ورغم هذا الاختلاف الموجود يرى أنها لهجة وليدة من الكرمانجية.

لقد كانت اللهجة الكورمانجية هي السائدة في الآداب الكردية حتى الحرب العالمية الأولى، ولكن اللهجة السورانية أحرزت تقدماً ملموساً، فنرى قيام جمهورية مهاباد بين سنة 1946/1945م في إيران وبعد ثورة 1958م في العراق أخذ الأدب الكردي ينمو نمواً سريعاً في إقليم كردستان، وهكذا أصبحت اللهجة السورانية هي اللهجة السائدة في الإقليم، ومما يجدر الإشارة إليه أنه ليس هناك فرق كبير بين اللهجتين وهما يشكلان لغة واحدة، فلهما مفردات لغوية متشابهة، ولهما نفس القواعد.

الاختلافات اللغوية الموجودة حالياً بين اللهجتين الكورمانجية الشمالية والجنوبية، ازدادت نتيجة للحدود الدولية التي قسمت كردستان إلى أجزاء، مما أدى إلى فقدان لاحتكاك والتواصل الاجتماعي واللغوي، وهذا ما سبّب تباعداً بين اللهجتين الرئيسيتين في المجموعة الكورمانجية، والعامل الآخر المؤثر هو عدم وجود شكل أدبي موحد للغة الكردية حتى الآن، ولذلك توجد أبجديتين مختلفتين: واحدة آرامية بحروف عربية معدّلة يبدأ الرسم الخطي فيها من اليمين إلى اليسار ويمارس من قبل كرد العراق وإيران، والأخرى أبجدية لاتينية معدلة وضعها الأمير جلادت بدرخان، وتبدأ من اليسار إلى اليمين ويكتب بها كرد تركيا وسوريا وكردستان الحمراء.

كان للكرد أبجدية خاصة بهم للكتابة قبل الإحتلال العربي الإسلامي، ويذكر "إبن وحشية" (هو أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار بن عبد الكريم بن حرثيا والمعروف بالصوفي، وهو كلدانيّ الأصل، عالم بالكيمياء واللغة والزراعة، توفي في أواخر القرن العاشر الميلادي)، في كتابه (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) قبل أكثر من ألف ومئة سنة، يذكر الحروف الكردية القديمة المستعملة من قبل الكرد.

يقول إبن وحشية في الباب السابع من شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام في ذكر أقلام الملوك التي تقدمت من ملوك السريان والهرامسة والفراعنة والكنعانيين والنبط والأكراد والكسدانيين والفرس والقبط...

وفي الباب الخامس يقول:

وأما الكلدانيين فكانوا أعلم الناس في زمانهم بالعلوم والمعارف والحِكَم والصنايع، وكان الكرد يريدون مناظرتهم ومماثلتهم... ثم يقول: وإنما كانت براعة الكرد الأول في صناعة الفلاحة وخواص النبات، وهم من أولاد بينوشاد، وقد وصل إليهم سفر الفلاحة لآدم عليه السلام.

وعن الكتابة الكردية يقول:

وهو من الأقلام العجيبة والرسوم الغريبة (القلم=الأحرف)، وقد رأيت في بغداد في ناووس (تابوت حجري) من هذا الخط نحو ثلاثين كتاباً، وكان عندي منها بالشام كتابين: كتاب في إفلاح الكرم والنخيل، وكتاب في علل المياه وكيفية إستخراجها من الأراضي المجهولة، فترجمتهما من لسان الكرد إلى اللسان العربي لينتفع به أبناء البشر... ويقول: صفة قلم آخر من الأقلام القديمة وفيه أقلام زائدة، وتدّعي الكرد وتزعم أنه القلم الذي كتب به بينوشاد وماسي التوراتي جميع علومهما وفنونهما وكتبهما..

يستنتج مما سبق بأن اللغة الكردية قبل أكثر من 1100 سنة، لم تكن مجرد لغة محكية أو مكتوبة فحسب، بل كانت كذلك لغة علم منتشرة في منطقة الشرق الأوسط، حيث كانت هناك العشرات من الكتب والمخطوطات العلمية المكتوبة باللغة الكردية وتمت ترجمة بعضها الى اللغة العربية. لكن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان المتعصب العنصري، طبّق سياسة التعريب في كل المجالات، ومنع استعمال اللغة الكردية، وكلف الحجاج بن يوسف الثقفي الاشراف على تعريب الجهاز الحكومي الإسلامي وما يتبعه، فألغى اللغة الكردية كلغة رسمية لبلاد ما بين النهرين واستبدلها باللغة العربية.

أوليا چلبي المولود في إسطنبول في سنة **1611**م، يذكر ما يلي: حسب قول الرحالة المقدسي (محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي والمعروف باسم شمس الدين المقدسي، مولود في القدس سنة 947 م وصاحب الكتاب المشهور "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم")، أنه بعد طوفان نوح، تم في البداية إعمار مدينة جودي، ومن ثم إعمار قلعة شنكار /سنجار، وبعد ذلك ميافارقين وتقع شمال شرق مدينة آمد/دياربكر بين نهرَي دجلة والفرات. كان الملك كوردوم هو مالك مدينة جودي وكان من أمة نوح، عاش لمدة ستمائة سنة، وتجوّل في كافة أنحاء كردستان. عندما وصل إلى مدينة ميافارقين أحبّ هذا الملك مناخ المدينة واستقرّ فيها هناك. كان له أبناء وأحفاد كثيرون، حيث قاموا بإيجاد لغة خاصة بهم".

هذه اللغة تسمّى اليوم اللغة الكردية ويتم التكلم بها في كردستان. هكذا يخبرنا الرحالة المقدسي قبل أكثر من ألف عام عن الوجود الكردي في كلٍ من "جودي وشنكار وميافارقين"، ويخبرنا أيضاً عن وجود اللغة الكردية.

وخلاصة القول، فإن البيئة الطبيعية لكردستان بطبوغرافيتها الجبلية فرضت عليها العزلة والمحلية والانقسام، مما أثر كثيراً على عدم قيام دولة موحدة لكل الكرد خلال تاريخهم الطويل باستثناء الإمبراطورية الميدية في القرن السابع قبل الميلاد، والتي دامت حوالي قرنين من الزمن ثم خضعت للحكم الأخميني الفارسي، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن لم يحصل الكرد على استقلالهم في دولة موحدة تشمل جميع الكرد، الأمر الذي ساهم في تكريس الهوّة بين اللهجات الكردية فضلاً عن حرمانها من التدوين الرسمي في العهد الإسلامي بدءاً من القرن السابع الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر.

العوامل التي ذكرناها، لم تساعد على خلق شكل واحد ثابت للغة الكردية الموحدة، والتي رغم كل الصعوبات حافظت على قوامها، وصيرورتها، ومسارها المستقل عن اللغات الإيرانية الأخرى، ولم تأخذ من الكلمات الدخيلة إلا القليل في الحدود الطبيعية. ولذلك اختارت المجلة الفرنسية (Le Français dans le mond) المختصة باللغات في عام 2008 في عددها 355، اللغة الكردية كلُغةٍ حيّة من ضمن 88 لغة في العالم، حيث جاءت في هذا التقييم في المرتبة 31 من بين اللغات العالمية الحيّة.

أجداد الكرد:

عند هجرة الأكاديين إلى شمال وادي الرافدين (جنوب كردستان الحالية) في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، كان السومريون والسوباريون يعيشون هناك، وكانت المنطقة تُسمى بـ سوبارتو. من هنا نرى أن الموطن الأصلي للسومريين هو كردستان، وأنهم من أقوام جبال زاغروس التي هي الموطن الأصلي للكرد، وأن السومريين هاجروا من كردستان إلى جنوب بلاد ما بين النهرَين وبنوا حضارة راقية هناك. كما أن اكتشاف آثار سومرية في شمال بلاد ما بين النهرين يؤكد على أنها الموطن الأصلي للسومريين، وأن السوباريين والسومريين عاشوا معاً.

انطلق الهوريون من مدينة أوركيش التي تقع بالقرب من مدينة قامشلو في غربي كردستان. حيث استغلوا ضعفاً مؤقتاً للبابليين فقاموا بمحاصرة بابل والسيطرة عليها في فترة 1600 قبل الميلاد، ومن هذا الشعب انبثق الشعب الميتاني.

يذكر المؤرخ (سايس) بأن الشعب الميدي كان يتألف من عشائر كوردية تقطن شرقي مملكة آشور، حيث كانت حدود موطنها تمتد إلى جنوبي بحر قزوين و كانت غالبية هذا الشعب من الهندوأوربيين. كانت تحد ميديا من الشرق أفغانستان، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشمال مناطق "كادوس" فيما وراء نهر آراس، ومن الجنوب الخليج الفارسي-العربي. كانت الإمبراطورية الميدية تضم كلاً من فارس وأرمينيا وآشور وإيلام وجزء من باكستان على المحيط الهندي وغربي كردستان الحالية. تم إسقاط الإمبراطورية الميدية من قِبل الأخمينيين الفرس في سنة 560 ق.م، حيث دامت هذه الإمبراطورية لِحوالي 150 سنة.

لغة الميديين هي اللغة الحالية التي يتكلم بها الشعب الكردي اليوم، حيث يذكر العلامة مسعود محمد بأن العشائر الكردية الموكريانية لا تزال تحتفظ باللغة الميدية، حيث أن اللهجة التي يتكلمون بها هي اللغة الميدية.

يقول السير ولسون بأن الكرد هم أحفاد الميديين.. ويؤكد المستشرق الروسي فلاديمير مينورسكي ذلك في بحثه "مادة الكرد" المنشور بدائرة المعارف الإسلامية في عام 1905، ويذكر بأن الكرد هم أحفاد الميديين. ويقول ابن خلدون بأن الكرد منحدرون من الميديين. كما يذكر حسن پيرنيا بأن الميديين هم من الشعوب الآرية وهم أجداد الكرد، ولغتهم هي نفس لهجة الكرد الموكريانيين الساكنين في شرق كردستان.

كان للكرد قبل الاحتلال العربي الإسلامي لكردستان، أبجدية خاصة بهم للكتابة، حيث أن ابن وحشية* قبل أكثر من ألف ومائتَين سنة، نشر كتابه المعنون "شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام" الحروف الكردية القديمة المستعملة من قِبل الكرد. الكتاب مطبوع في أوروبا قبل قرنين من الزمن، وأن نسخة المخطوطة ترجع إلى أكثر من عشرة قرون.

* ابن وحشية: هو أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار بن عبد الكريم بن حرثيا والمعروف بالصوفي وهو كلدانيّ الأصل، عالمٌ بالكيمياء واللغة والزراعة، لا يُعرف له تأريخ ميلاد، ويرجّح أنه توفي في أواخر القرن العاشر الميلادي.. ..... يتبـــع .....

ماذا حصل للأدب الكوردي بعد الإسلام

- الجزء السابع -

د.محمود عباس

غابت الحركة الأدبية الكوردية كغيرها من حركات شعوب الحضارة الساسانية، واختفى أدباءهم الذين كانوا يكتبون باللغة الفهلوية-الكوردية، قرابة ثلاثة قرون، بعد انهيار الإمبراطورية، ولم تظهر بوادر يقظتها، وعودتها إلى الحياة، إلا بعد صراعات عميقة بين الثقافة الأصلية والقادمة، تم ذلك على يد الرواد الأوائل من الأدباء والمفكرين الذين تعمقوا في اللغة والثقافة الدخيلة ومسالك الدين الإسلامي، وتشعباته الروحانية؛ النشاط الذي أدى إلى تشكيك المؤرخين بانتماء هؤلاء المفكرين للقومية الكوردية، فنسب الكثيرون منهم إلى القوميات الأخرى، ففي مرحلة كان الجميع يختفي تحت عباءة الأمة الإسلامية في ظاهرها والعربية في حقيقتها، وبعضهم إلى العرق الفارسي، وخاصة الذين كتبوا البعض من نتاجهم بالفارسية إلى جانب العربية.

كثيرون من الشعراء والأدباء الكورد لم تتبين خلفياتهم القومية، لعدم الكتابة بلغتهم الأم، ويدرج على أن أول من أحيا اللغة الكوردية وخرق هذه المسيرة الضالة، الشاعر الصوفي الكوردي المعروف (بابا طاهر الهمذاني 935-1011م) حتى ولو كانت مبنية على لهجة من اللهجات الكوردية، فقد كتب قسم واسع من أشعاره باللهجة اللورية إلى جانب الفارسية والتي كانت لغة السلطة؛ ورغم ذلك لم يتم إثبات انتمائه لقوميته في البدايات، وكثيرا ما عرف بالشاعر الفارسي، وهو ما فعلته سلطاتها التي نهبت من التاريخ والثقافة الكوردية أضعاف ما فعلته السلطات الإسلامية العربية والعثمانية، علما أن لغة الهمذاني وقسم واسع من شعره رغم أبعادها الصوفية؛ نابعة من واقع قبيلته اللورية، مستنداً على الثقافة الفهلوية الساسانية، دامجا روحانياتها مع الصوفية الإسلامية، أو بالمسميات القومية، مخلفات الديانات الكوردية، فظلت محصورة ضمن جغرافية اللهجات، والتي بدأت اللغة الكوردية تعيد تشكيلتها، ليس فقط كبعد جغرافي بل ديمغرافي ولغوي ومن ثم كتكوين قومي، مواز لمحاولات القوميات التي أعادت إحياء لغاتها قبل الكورد بقرابة قرن من الزمن.

رغم أن المسيرة الثقافية-الأدبية الساسانية ونتاج شعوبها، حرفت كثيرا على مر التاريخ مثلها مثل السياسية، خاصة بعد سيادة الحروف العربية، أي الحروف واللغة المنسوخة بها القرآن، حروف لغة السلطة، المفروضة لتستخدم بدون منافسة، مع الإهمال المتعمد للحروف الفهلوية، حروف لغة الكفار-العجم، والمؤدية إلى تأخرها عن ركب مسيرة الأدب والثقافة، بعد إزالة كل ما هو مكتوب بها وعلى مدى قرنين وأكثر من الزمن، إلى درجة أصبح إيجاد لوحة أو صفحات من كتاب ما تحفة أثرية لا تقرأ؛ بل تعرض في المتاحف، لكنها لم تمت، وظلت محافظة على نواتها، لأنها كانت لغة حضارة وإمبراطورية، ومراكزها العلمية والأدبية كانت تحتضن الآلاف من الكتب، وهو ما كتبنا فيه سابقا وبإيجاز. وبالتالي هيمنة اللغة العربية بحروفها، والفارسية المتخلية عن الحروف الفهلوية في عهد ملوك السامانيين والغزنويين، أصبحتا مسيطرتان عن طريق سلطاتهما، وهو ما أدى إلى تراجع الأدب الكوردي وغياب اللغة الكوردية كلغة أدب، لكنهم لم يتمكنوا من القضاء عليها، رغم أنها ظلت تائهة بين الحروف ولغة الحضارة الساسانية الكوردية، ولغة الدين الجديد، لغة القرآن والسلطات الإسلامية لفترة غير قصيرة.

ففي المراحل المتأخرة من الخلافة العباسية، وبعد أنتشار الممالك والسلطات غير العربية الإسلامية، أنتبه البعض من رواد الأدب بين الشعب الكوردي، مثل غيرهم من الشعوب التي تخلت عن لغتها لصالح لغة النص، على أن السلطات الحاكمة ولغاتهم ليست فقط لا تمت إلى ثقافتهم، بل تكاد أن تقضي عليها، لذلك حاول البعض من الشعراء والأمراء الكورد، كتابة نتاجهم الأدبي بلغتهم الأم، من حس الانتماء الفكري لشعب لا ينتمي إلى تلك السلطات، والبيئة الثقافية التي عاشوها ونهضوا عليها، مستخدمين بشكل جزئي في البدايات، لغة شعبهم المتداول في الريف والمدن الكوردية، إلى جانب لغة السلطة، أو دمجهما معا في العديد من أشعارهم أو نصوصهم رغم صعوبتها، لأنها من جهة:

1- تعتبر مواجهة للغة النص، لذلك حرصوا الحفاظ على الحروف العربية، إلى جانب ضياع الحروف الفهلوية وعدم معرفتها.
2- ومن جهة أخرى معارضة لغة السلطة الإسلامية والتي كانت ترفض لغة أدبية أو ثقافة أخرى غير لغة القرآن، وبعض مثل هذه المحاولات من لدن شعوب الحضارة الساسانية أو خارجها اتهمت بالكفر، كابن المقفع، وجابر بن حيان، والكندي، وثابت بن قرة، والرازي، والفارابي، والمسعودي، والمجريطي، ومسكوية، وابن سينا، وابن رشد وابن الهيثم، وابن باجه، والطوسي وغيرهم، وهنا لا نتحدث عن فقهاء التصوف أمثال الحلاج ولا الذين نقدو الإسلام والوحي والنص أمثال ابن الرواندي وغيرهما. وفي فرض اللغة العربية كشرط من شروط معرفة الدين التي فرضتها السلطات، المؤدية إلى هدم لغات الشعوب الأخرى المعتنقة الإسلام، يقول أبن تيمية أن " اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب الأعيان ومنها ما هو واجب على الكفاية".

علماً أن العديد من المفكرين والعلماء الذين اعتنقوا الإسلام، استمروا في الكتابة بلغات شعوبهم، لكنهم كانوا تحت حماية سلطاتهم القومية، كمفكري مناطق إيران الشرقية وخوارزم، وخوزستان، وغيرها من مناطق الثغور، بين سلطة الخلافة والممالك شبه المستقلة.

إلى جانب ذلك فصعوبة أحياء اللغة الأدبية الكوردية، كتابة وقراءة، من جهة أخرى كانت:

1- تكمن في الخلفيات الناتجة من تراكم غبار القرون عليها، نتيجة الإهمال، وشبه النسيان في المجال الكتابي والتعليمي.
2- التحريفات التي تمت للكتب المترجمة، من الأدب، شعرا ونثر، والعلوم الاجتماعية والفكرية، بلغت درجة لم تعد تعرف على أنها مترجمة من مخلفات أدب الحضارة الساسانية، وهذه بحد ذاتها ذابت مع الزمن، لخلافها مع الثقافة القادمة، وما ظل فقد ملئت بالشوائب إلى درجة لم تعرف الأصل، بعد الترجمة التي تمت في عصر الخليفة المأمون وبعده.

1- فرغم ذلك، وعلى أثر ظهور الممالك والسلطات العرقية، بعد قرون ثلاث من هيمنة لغة النص الإلهي، ظهر أول الشعراء والأدباء والعلماء الكورد، واضعي الخطوات الأولى لبدايات نهضة الإبداعات باللغة الكوردية، والتي تعتبر ثورة مقارنة بأدباء الشعوب الأخرى الذين كانوا في حماية سلطاتهم، أمثال بابا طاهر الهمذاني، وعلى حريري، وملاي حسن باتي، وشعراء المرحلة الثانية: أمثال، فقه طيران، وسليم سليمان، وملاي جزيري، واحمدي خاني، وبرتوي هكاري وغيرهم.

فإحياء اللغة التي حصرت ضمن البيوت، والتي كادت أن تزول من البعد الثقافي، بكل مجالاتها، إلى جانب انزياح العديد من علماء الكورد إلى الدين الإسلامي كروحانية، والغبار المتراكم على اللغة بسبب إهمال القرون أولا، ومحاولات القضاء عليه في العقود الماضية من قبل الأنظمة المعادية لكل ما هو ليس متعلق بلغة القرآن أي العربية، أي لغة الخلافة ولغة الممالك التابعة لها؛ لم تكن مجرد نهضة فكرية، أو طفرة، بل كانت إعادة لروح الحضارة المدمرة، روحيا وثقافة وأدباً، ولذلك وقفت في وجهها معظم السلطات حينها، إلى درجة أصبحت المنهجية العدائية للعديد من الفقهاء الكورد، مسنودا بسياسة وليس لفقه إسلامي، فمنهم من أتهموا بالكفر والزندقة وكانوا في الواقع أعمق إيمانا من قضاتهم، وللخلاف الثقافي ذاته، تمكن بعضهم من خلق مذاهب في الإسلام، بتأويلات للنص، تستند على ثقافتهم ومفهومهم للدين الإسلامي، مع ذلك توسع عداء السلطات وفقهاءهم، لتشمل اللغة الكوردية وثقافتهم، إلى أن أصبح خطا سياسيا أستمر إلى يومنا هذا، تتبناه جميع الأنظمة المحتلة لكوردستان...

ولربما لا يعتب على الشعوب غير الكردية، والتي لم تكن الفهلوية الشرقية لغتها الأصلية، هذا الإهمال، والضياع، والتأخر في العودة إلى مسرح الحياة الثقافية باللغة الأصلية، لأن معظم الآثار لم تكن نتاج لغاتهم، ولم تهمهم إحيائها، ونحن هنا لا نتحدث عن لغة الأراميين-السريان وأدبهم الحضاري، ومثلهم الكلدانيين، والأشوريين التي تكاد أن تزول كليا. بل عن مسيرة ضياع أثار الإمبراطورية الأشكانية-السلوقية، والتي كانت اليونانية سائدة كلغة للإدارة والثقافة في المنطقة الإيرانية على مدى أكثر من عدة قرون، لهيمنة السلطات العربية الإسلامية عليها، في الوقت التي ظلت حية في الجغرافية اليونانية التي لم تطالها الغزوات، وبالتالي أصبحت منارة لثقافات شعوب العالم قاطبة.

أما الفارسية والتي عادت إلى الحياة بعد هيمنة المملكة السامانية على الجغرافية الشرقية للخلافة العباسية وبعد قرنين من ظهور الإسلام، فلم تكتفي بتطويرها، بل حرفت تاريخ المنطقة والحضارات والإمبراطوريات السابقة، ونسبت معظمها إلى ذاتها، أي الفارسية التي لم تظهر على مسرح التاريخ، بعد تدمير الإسكندر المقدوني للإمبراطورية الأخمينية، إلا بعد عشرة قرون، أي عند ظهور المملكة السامانية، وما نقرأه في الكتب عن الحضارة الفارسية والأدب الفارسي، ليس سوى تحريفا للحضارات الإيرانية الاشكانية والبارثية، إلى جانب تأويلهم الساسانية للفارسية، فجميع المصادر الموثوقة والآثار المتبقية، والدارج بين المؤرخين يتم أضفاء الصفة الإيرانية على تلك الحضارات، كجامع للشعوب المساهمة في بناءها، والفرس كانوا عنصر ثانوي ضمن مكونات عديدة. والجنرال الفارسي، الذي نصب نفسه شاهنشاهاً، في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، بعد القضاء على الدولة القجارية، ألقى أسم إيران على المملكة الفارسية كخدعة سياسية حاول من خلالها تنصيب نفسه على كل الشعوب الإيرانية، وهكذا أستمر تسويق التاريخ بتحريفاته.

وما يتم استخلاصه من المعلومات المتناثرة والتي لم تطالها التعتيم أو التدمير أو التحريف أو نجت من مصائب الإهمال، والواردة ضمن أمهات المصادر التاريخية، هي أن أجداد الكرد والذين عرفوا تحت أسماء قبائل مختلفة، مثل غيرهم من الشعوب المجاورة، كانوا العنصر الفعال في الإمبراطورية الساسانية، وبالتالي أصحاب الحركة الأدبية الثقافية، بعد القضاء على الإمبراطورية الاشكانية، وكانوا رواد الحضارة الساسانية، قبل الإسلام، بعكس ما يروج له اليوم العديد من المتربصين بالكرد، بتغييب العنصر الكردي والترويج للمكون الفارسي على أنهم ورثة الحضارات الثلاث المتتالية المنوهة إليها.

وما تم تداولها من الكتب الأدبية المتنوعة ما بين الشعر وروايات الأساطير والدينية والعلمية، والرسائل ولغة الدواوين حتى قرابة القرن الثاني الهجري، تشهد على ما نحن بصدده، فقد ورد ذكر العديد منها ضمن كتب معظم مؤرخي تلك المرحلة، منهم من دون أسماء الكتب التي اطلعوا عليها والتي ترجمت بعضها إلى اللغة الفارسية مثلها مثل اللغات الأخرى ومنها إلى العربية. والرواية الدارجة بين، صالح بن عبد الرحمن، المعين من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي وبين مسؤوله الكوردي (زادان مروزخ) مدير الدواوين في العراق الذي قتل بعدما شكي به عامله صالح، وبقتله قضى الحجاج على اللغة الكوردية المتبقية كتتمة لمخططه، تعريب دواوين الخلافة، وأتبعها شبه فتوى إسلامية، قيل فيها أن كل من يحرق أو يتلف كتابا عجميا-مجوسيا ستكون له حسنات في الأخرة. مع ذلك استمرت اللغة الكوردية وظلت بعض الكتب متداولة حتى مرحلة الترجمة في عهد المأمون، ومنها ما تم ذكرها في حلقات سابقة (ويين كورد، أويستا، جيهانكير ورستم، ودين كورد، وخوتاي نامه، وغيرها الكثير)

والسؤال المحير هنا لماذا لم تقم قائمة لتلك الأثار الأدبية فيما بعد إلى بعد مرور قرون عديدة، ولم تنهض اللغة الكردية كلغة أدبية كما كانت عليه المراكز الحضارة الساسانية، وعلى مدى القرون اللاحقة لظهور الإسلام، إلا على شلك فئات متناثرة، وبين أثر وأخر قرون، وعلى مناطق جغرافية متباعدة؟ رغم ظهور ممالك وإمارات كردية، لا تقل أهمية وقوة عن الأمارة السامانية أو الغزنوية وغيرهم الذين استطاعوا أن أحيوا تاريخهم وآدابهم وطوروا لغاتهم، بل منهم من نهب من أدب الشعوب الأخرى وفي مقدمتها أدب الشعب الكردي. ونحن هنا لا نتحدث عن لغة الحوار بين المجتمع الكوردي، أو لغة الدين الذي ظل تمارس ضمن المراكز الأزداهية-الإيزيدية، والزرادشتية، والصابئة، والمستمرة إلى يومنا هذا، ولا عن الأدباء والمؤرخين الكورد الذين كتبوا باللغة العربية أو الفارسية، وهم كثر. ولربما لا يحق الحكم عليهم، فالعوامل الفارضة ذاتها كانت أرهق مما هي علينا الأن، مع ذلك لا زلنا كحركة ثقافية بعيدين عن قدرة إحياء مجد أدبنا الكوردي، والأسباب عديدة لسنا بصددها الأن. لكن ما نستقرئه؛ أن غياب الكتابة والقراءة بها، ومن ثم زوال الفهلوية الساسانية عن الساحة، بحروفها، ونصوصها الروحية والدنيوية كتابة، أدت إلى تأخرها عن ركب الحضارة الأدبية، وبالتالي عدم قدرة الأدباء الكورد العودة بها إلى الحياة، فحل محلها الحروف العربية رغم شبه عدمية الأخيرة بالنسبة لما كانت عليه الحضارة الساسانية بلغتها وأدبها، والمراكز الثقافية التي دمرت ضمن المدن الساسانية ومحتوياتها، وما كتب عنها تؤكد ما نحن بصدده.

..... يتبـــع .....

منير محمد خلف

اللوحــة

هربتْ من اللوحـات وانتبـذتْ
في القلب متّكـأً لها وَلَهَا
سرقتْ قميصَ الأرض وانتهكتْ
إحرام سرّي حين قبّلَهـا..
مسكُ العنـاق.. ولا أرى بـدلاً
من ريشتـي لا لن أبدّلَهـا
وتأمّل الياقوتُ سندسَهُ
فاستوحشت مقلي.. فكبّلَها
هي غصة في اللوحة انفجـرتْ
منها ..على.. فيها..إلى..ولهـا
هي كوكب الأسماء يحملني
ويضيء في الدنيا مجاهلَها
كالموجـةِ الجذلى تشاطئنـي
وتعيـدُ للأنفاسِ ساحلَهـا
مدّتْ يديهـا كي تصافحنـي
فمددتُها روحي لأحملَها
من أحلك الأحـزان أنقذهـا
فتدكّ في قلبـي معاولَهـــا
قلبي على ليـــــــلايَ في قلـقٍ
ليـلاً أتى قيسٌ وأهملَهـا
سأظلّ في محرابهـــــــا أملاً
للنّفس أهفـو كي أؤمّلَها
وأظلّ أنحت خلسة وجعـي
وأظلّ أحيا .. كي أدلّلَهـا
وأظلّ أصعد في الهوى ألقاً
درجَ المعانـي كي أعلّلَها
وأجـوب في آلائهـا غـــــــرِداً
وأصيد في الذّكرى أيائلَها
قد جاءت الألـوان راعشـة
من ملمسٍ في الكفّ أوّلَها
تأويـل صبّ لا يفارقهـــــا
إن صحّ نطقاً راحَ رتّلَهـا
من أشرف الألوان أنشئُنـي
ما أعذبَ الألوان ..أنبلَها
هذي ديـار العشق أرسمهـا
لا قـرّ فيهـا كي أزمّلَها
كالغصن مال نشيدها ودمي
في أسود الأيام صار لهـا..
جنحاً يطيـر اللونُ أبيضُه
من أخضري ليصيرَ بلبلَها

سعياً لمرواها أطيـر هوىً
إذ لا ترى غيري لأوصلَها..
نبضي وبعضاً من معاركه
أو غرفــةَ الإبداع مجملَها
هي صرخةٌ في اللون تطلِقُني
وتحــوك من قلقي مغازلَهـا
أنا لستُ فنّـاناً ولا دنفـاً
بالشعـر إلا كي أغازلَهـا
هي ثورة الألـوان تأسرنـي
وتثير في أرجائها الولَهـا
هي فتنة الدنيـا تؤرّقنـا
وتهزّ في غنجٍ خلاخلَها
هي لوحة لا لستُ أدركهـا
قد لا تكون وقد أكون لها
الله في العليـاء شكّلنـي
وهي الخطايا فيّ شكّلَهـا
تتزاحمُ العبـراتُ في رئتي
لتعيد للكلمـات مخملَهـا
الأصفر المحزون قـام على
سحبٍ من الأطيار زلزلَها
فأقـام في قلبي معارجـه
وأضاء في روحي منازلَها
كالعاشق المجنـون جمّلني
من لونهـا سحرٌ وجمّلَها
سبحان من سمّاك لي لغةً
سبحان من سوّى.. وكمّلَها

خورشيد شوزي

وكر للأفاعي ويتحدث إلى الغيوم
في عالم ملول شاكياً خطاياه
يرضع فيه طفل للولاء الإلهي
في ليلة متعةٍ زائلة ليشبع في داخله
وبراعم اللهب وحش متعه المقدسة
يتجرع زبدَ حقده وعيونه الغافية
في قصر الجحيم مظلمة وشاكية
يجدُ الرحيقَ كسبّاح تطربه الأمواج
في شراب الآلهة *******
يلهو مع الريح أفكاره كطيور القبرِ

أنس عبدالله

حين تحول السرقة إلى قتل!

أعوام صارت قرابين..
و صار الحب و الوفاء..
وهماً عابراً..
نكتشف أن الحرب..
لازال في البداية..
كنا نسوق الدم..
لعامل الوقت..
للجهلاء..
للأسف..
القتل هناك..
يعمل على طاقة الغل..
هذه الطاقة..
تعمل في كل المواسم..
وقودها الطائفية..
و العنصرية..
و قلوب حاقدة..
كل تلك الآمال..
تيتمت..
وهي الآن..
نشوة وهمية..
في جعبة الحرب..

لمجرم منظم..
يتلاعب بمسرح الجريمة..
يحاول كثيراً..
أن لا ينهار..
يريد أن يصل للنشوة..
التي شعر بها..
في المرة الأولى..
في مدينة حماه..
و حلب..
و قامشلو..
الآن كل قرية..
هي حماه..
كل زقاق من أحياءنا..
هي في مواسم الثمانينيات..
إلا أن تاريخ اليوم..
مختلف..
فالسارق يعاني..
عاملاً قهرياً..
و الوطن اليوم..
جثة هامدة..
لطرد الأرواح..

المتعة المقدسة

يحلقُ فوق الوجود
ويفهمُ دون عناء
لغة الزهور الصامتة
يتخذُ من مسرح المآتم محفلاً
يمجّدُ فيه الموت
يطوف في قبر نفسه منذ الأزل
شبابه زوبعة قاتمة
عبث المطر والرعد ببستانه
وأفكاره بلغت خريفها
****
أيها الألمُ
الذي ينهشُ من دمه المسفوح
الشـؤم يغني له المحبة
قلبه يرتعش كالطبل المبحوح
في مقبرة معزولة
كزهرةٍ...
تريق عطورها في الخفاء
على الأماكن الموحشة.

غمكين مــراد

على ضوء وجهكِ

على ظهرِ غيمةٍ
الحنينُ بأجنحة الريحِ
يُفشي سرَّهُ، الدخانُ
بينَ غيمةٍ وأخرى
يرسم الدخانُ بِنَفسهِ آهة الحبِّ
بقايا ليلٍ يتقلبُ في سريرِ المعنى
مُناجٍ يتأملهُ الشعرُ في قيامة المعنى:
تنبجسُ ينابيعُ الذاكرة
وتُغدِقُ على الكون عباءة الأبديةِ
وتتركُ على حافوة الليل حصاناً مُسورجاً
للانتظار
سيّان:
أن ترحلَ في المُخيَّلة
أو أن تنتظرَ فيها
خيوطُ عتمتها: أشرعةُ الوقت تخلقُ الجهات
وتختارُ غيرَها.
الفراغُ يدقُ في نعشِ الوقتِ، مسمارَهُ
وتبقى المُعضلة هل للوقتِ ظلٌّ؟
الحنينُ مع الغيمةِ يغيبُ ويحضرُ
الغيابُ تستهويه الذاكرةُ
والحضورُ تستهويه الكلمةُ
في الفضاءِ
تترجمها أنفاسُ نجومٍ
وسفرُ قمرٍ
نِزالانِ للخسارةِ:
أن تحيا دونَ حب
وأن تحبَّ دون خلودٍ.
قتالٌ بين الغيمِ
لوحة تُهيئ اللونَ للقمرِ
احتضانٌ بين الغيمِ
لوحةٌ تحجِبُ اللونَ عن القمرِ
والندى لابساً ثوبَ المطرِ
يُطيِّبُ جدرانَ الوحدة بلحن الحنينِ
لليل وجهٌ بعينٍ واحدةٍ
بؤبؤها قمرٌ
وبياضُها هالةٌ تلدُ المطرَ
أنادي في زفيري وشهيقي:
على وريدي أن يختبئَ
على شرايينِي أن تتركَ المسيرَ

لأنام مع وجهكِ عبر القمرِ
تُناجيني أعضائي:
الدمُ سكنٌ
لا ردَّ.
ما دمتُ أرهنُ الطيفَ في الحبِّ
تناديني أعضائي:
غريبًا عنك أبقيتنا
لا ردَّ.
ما دمتُ أُبعثِرُ الفراغَ وأنفخُ في المكانِ
بدّدي نظراتي إليكِ:
لا ردَّ
على نداءِ الموتِ من وراء صخرةِ الحياةِ
ما دمتِ آخرَ وجهٍ.
الغيمُ يتركُ الغيمَ
وأنا تشدُّني خيوُط العتمةِ إلى ضوءِ الكلماتِ
أركنُ في حضرة المتاهةِ
أتشفعُ لضياعي مع آلهةِ الغيابِ
أنادي:
كلُّ الخساراتِ، قرابينٌ لاحتراقِ وردةٍ
كلُّ الهزائمِ، مياهٌ لعوسجٍ تائهٍ
تناديني قصائدٌ مكنومةُ القيدِ:
أطلق سراحَ الحرفِ ليبكي
أطلِقْنا رسائلَ ممهورةً بالوفاءِ
على أجنحةِ الصمتِ
القمرُ مشدوهًا إليَّ:
أترك لعينيك وصلاً للنومِ
أنا مشدوهٌ للقمرِ:
لُغتكَ أضناها التكرارُ
عيناي سماءٌ تحضنُ أخرى
عيناي مخاضُ امرأةٍ ولهيبُ نارٍ
اتركْ أنتَ لروحك العودةَ
واتركِ النجمَ يُزيِّن الوجهَ عليكَ،
بأساورَ من نجوم
بخلاخلَ من نجوم
ببرقعٍ من خيطِ النجومِ
فتُعيدُكَ اللغةُ إلى نفسِها العاشقةِ

بدل رفـو

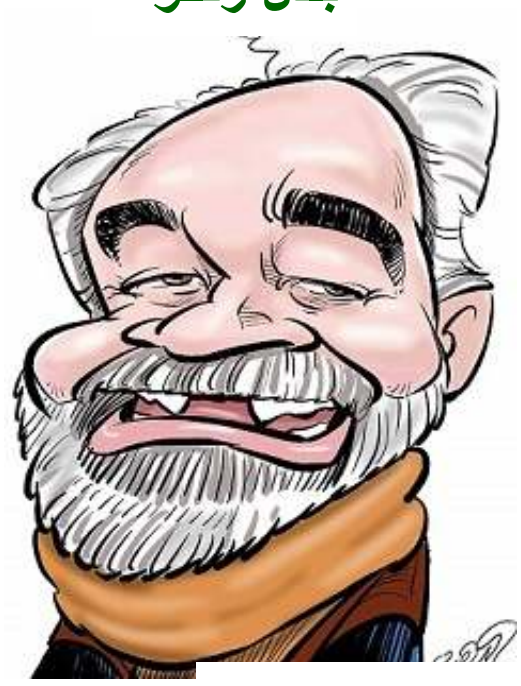

الكاميرا الخفية

الشاعر

وطنٌ يئِن في حنجرة القسوة..
يستصرخ وجعاً،
وشاعر يبحث عن قصيدة ثائرة
لتغدوا خنجراً في ذاكرة المحتل ..!
عيناه تلمعان للهفة جلى ..
لبلادٍ كأسها شهدٌ..
يلهث صوب ابواب الوطن العتيقة،
لأنفاس تراب وطن الحكايات
والذكريات ..!
واذا بصوت جهوري :
وطنك ايها الشاعر كاميرا خفية ..!!

العاشق

حلق العاشق مع الطيور..
وباقة نرجس
تتسلق مرابع كوردستان
ومدارج السماء ..!
تعانق الغيوم والذرى..
يتكأ العاشق على حزنه..
تتشابك اصابعه بخريف العمر،
يرقد بين احضان مرآة الجمال ..
لايفارق وجهها وصمت شفاهها ..
تبللا بمطر عشق ..

وحين اقتربت شفاهه اكثر،
نادى المخرج :
انتهت الكاميرا الخفية !
حينها تمزقت شرائين العاشق!!

وطن

قالوا لوطن :
رئتاك مليئتان بالحرية..
ساحاتك نضال وشموس..
نهاراتك تحرق الغربان والخوف
وتصهر الجليد..
تغتال ذئاب الليل ..
صولات ابطالك عنفوان لسحر الزمان
وراية السلام..
ضحكة اشجار لا تخشى فؤوس القتلة ..!
قررنا يا وطن ..
الاحتفاء بيوم استقلالكم..
من بعيد ..لملم الثكلى اشلاءهم ..
والفقراء دموع امهاتهم..
والعازف كمنجته..
وعلى المنصة قالوا لوطن الفقراء:
انها الكاميرا الخفية !!
حينها انبعث الشهداء من جديد
من تراب الوطن!!

———

صورة الكاريكاتير المرفقة بريشة الفنان المغربي عبدالغني الدهدوه

مصدق عاشور

لا تهاجر

فأنت مطر مكابر
وأنت بحضن أمك
قارب تعد النجوم
وسيوف الموت
فتنادي وطني
أنا عائد
أعد الموانى لمواطنها
قصائد فرحاً
فأنا لست بمهاجر
أركب البحر
أركب الرمال
ولكني لست حائر
يانسمات حبيبتي
يامن غمزتني
بحبك وحنينك
أنا لست مهاجر
إنها محطات قطار
وإني لكي عائد
لاتهاجر
فكل مراكب الموت
جدائل صبية
غار منها المجد
راسماً موجات بحار
أتاه الموجات
راسماً موانئه
قبلة صبية
مسحة وجه الحزن
بأناملها
وقالت إنك عائد

لندن
2021/03/16

كيفهات أسعد

الجميلاتُ

الجميلاتُ
هنّ من يجدن ترويضي،
يلملمن أشواقي،
يكسّرن خاطر الفراق،
يوشوشن في نفسي
كعصافير المآذن.
هنّ من أظمأ بفراقهن؛
أظمأ معهن.
وأموت حين يغبن،
وأنتِ أجمل الجميلات.

تذكري

1

وأنتِ تغرزين روحكِ في "تورتة"
جسدي كالسكين.
سيقول الناس: أنتِ شمعة.

2

يا الله لن أحضرَ قبلها؛
لن أحضرَ بعدها،
هي إيماني،
نكون سويةً في القيامة.

3

أسري إليكِ كرائحة عطرٍ،
وأعود بمعراجِ كسيحٍ.

هجار بوتاني

عتبات الربيع

أقراص نارية،
مجدولة حول الأعناق
وتيجان من الفرحة
أنتم .....
أول عود ثقاب،
وخطوات رجل فقد ساقه
عند أول خطوة صائبة
أنتم .....
ريش لحمام حلق من عتبة نوروز،
وكسرات يابسة للسجون
أسطوانات عشق
وأم تتسكع في شوارع التاريخ
بحثاً عن قلائد
وحرية

* **نوروز:** هو بداية يوم جديد وحياة جديدة بعد الخلاص من الظلم والعبودية، خلاص شعوب المنطقة عامة والكرد خاصة ً وذلك بقيامكاوا الحداد بقتل الملك ضحاك

ميلاد البداية

يوم محزم بالذكرى
وأظافر دامية تلقي بأحقادها
على أعناق المدينة
تلك المدينة الغارقة في سبات الفجيعة
سقم أحال المدينة ،
رماداً
وبقايا أشلاء خائفة
فامتطى الفارس صهوة الخلاص
يرقص
مثل لفافة بين شفتي ثائر
يعلن بداية ً
موت الموت
أوعز للجبال المتجمهرة ، هتافاً
وللحمام سلاماً
وللناس رغيف خبز

فدوى حسن

وجع الانتصار

أيها الحزن
كيف سَتُهزم . !!!؟؟؟
المهزومة
بالضعف
بالخيبة
بالظلم
من سينصفها
في مكان ما..
فراشة قتلتها اللهفة للنور
استشهدت بعزة
عصفورة
جاورت الوحدة
في قفصها الثمين
عقارب الوقت
تتكاثر
تتعانق
تلك العناكب اللعينة
نسجت شباكها
وأسرتها
مكلومة
تدندن مع حبات المطر
تراتيل الموت
في زنزانة الوحدة
مفتاحها المعطوب
الضائع
عند الحداد
و
و
الطاحونة مغلقة
مياهها عكرة
والدوائر تدور
مازالت المتاهات
تأخذ في دروبها
الأيام
ترمي بها إلى سكة القطار
يا لسخرية الأقدار
على مقامات النهاوند
الصوت المبحوح
المخنوق
يطلق الآهات

آه
آآآه من الألم
المغلف بالسلوفان
صبارة
تصابر النفس
تكابر العطش
هرمت الجذور
وماعادت تمتد أكثر
أشواك تخفي الحلاوة
والحياة
عطش وكبرياء
موت الانتظار في سراب الزمن
أرواح تناهت في ضجر
كالرمال تبتلع الحياة
تتوسد رهبة الوحدة
شمعة
باردة
تتألم بصمت
قربانا لخيالات
لظلال
تكبر على الجدران
تتقوقع في صومعة الذات
خجلة من انبلاج النور
قرنفلة صفراء
تشربت الخذلان
جفت في انكسار
صامتة
مكنونة الأ وجاع ..
أفكار كالقلائد
تزين بها جيد القصائد
تمامة
لقصة طويت كالصحيفة
لفؤاد أعلن العصيان
ردم أسواره الحصينة
قرع طبول الحرب
وحسم القضية
لقلب مات
على ذاته أعلن الانتصار

لمى اللحام

في أوج الزاوية

قاب شُهرتين أو أدنى
الشعرة الرمادية. .
نرجسةٌ طلساء
غريبة
في غيد مرايا النساء
تلد أشعاراً
و تحمل ببعضٍ من شعيرٍ و دخان
أشعتها فوق بنفسجهم
شروق شمسها،
لا يشبه مشرق شمسهم
في عُرف السباحة ببحور النساء،
هي غارقة..
رسماً؛ أبجديّ السواري
هي زفرة فارقة..
فقاعة
على أسطح زجاج الفتية،
و متذوقي الوسط.
فراستها تُخافتها
برغبتهم إلقائها يوماً في البئر!..
شمعةٌ غريبة هي في عيونهم..
شمسها تعتذر آن شروق شمسهم!
فيء شمعتها يزحف إليه ضوؤها
نُسأة يم السنون
شعرتها غدت علم إشهارٍ ،
بإطراءِ الأعوام.

فراس حج محمد

رسائل في محرقة الحذف

(1)

امرأة تحدّثني جنسياً لبضعِ دقائقَ
نلعب معاً شهوة افتراضيّة
تداعب عضوها بقليل من المساج اللطيفْ
مع شيء من الوجعِ الخفيفْ
ينزّ منها صوتها
فكأنّها ما زالت تحت فحلٍ عنيفْ
يبتكر العضو شهوته إلى آخرها
فتروي شرشفها بمائها المتدفّق الدافئ
تتكور تحت الغطاء تشعر بالبرد والخوف
تستجمع بعض قوتها وتكتب:
"احذف رسائلنا لئلا يرانا المتقون"!
أضحك منها ومنّي
فما زال في ملابسنا أثر حيّ
فكيف نحذفه كذلك؟

(2)

امرأة أخرى تضرب لي موعداً كيما أراها
في مكان علمْ
تتّقي شرّ من هم عندها
من أصدقاء مشاغبين "هكر"!
تتحدّث طوال الليل في
كثير من انزياحات اللغة العاطفيّة
نبوح بشيء من قلق حذر
كأنّ مارداً واقفاً على باب الرسائل ينظر فيها
في آخر الليل قبل أن تودّعني تقول:
"احذف رسائلنا لئلا يرانا الخائنون"
أضحك منها ومنّي
فما زال النار هنالكَ
تأكل في الضلوع وتروي بألسنة اللهبْ
فكيف سنطفئ ما تآكل من خلايانا هنا؟

(3)

وامرأة ثالثة أخرى غاضبة
تلعن في رسائلها الأسعار
والمتسوّلين
والتجار
والحكامْ
وتهذي بسيل من شتائمها
لغات الله في بحر من الأسودْ
وتذكر أسماءً لأشخاصِ الفساد
وعندما تصل الحكاية منتهاها، تقول:
"احذف رسائلنا لئلا يرانا المخبرون"
أضحك منها ومنّي
فما زالت الأسعار تأكل من جيوبي
والسجون تمكث في زوايا البيت
والشوارع مظلمة
فكيف سنشعل شمعة أخرى إذنْ
وننام دون مخافة السجّان في هذا البلد؟

(4)

وامرأة هنا على غير عادتها
أتت تدقّ جداري الأزرق
ومعها نصف حكاية من دينها المبتور
لا تحبّ الدين إطلاقاً
أخذت تفسر
ما تراءى من مشاكلها على نصوص الله
وتشتم "داعشاً" وأصحاب العمائم واللحى
وتقول بكلّ شيء دون خوف من أمير جماعة
أو حدّ سيف
أو جلدة في السوقْ
أو اتّهام الزندقةْ
تفرغ ما تثاقل من حمولتها وتختم ليلها وتقول:
"احذف رسائلنا لئلا يراها الأنبياء الخائنون"!
أضحك منها ومنّي
فما زالت نصوص الله عامرة بتقواها ونجواها
يفسّر بعضها بعضاً على الأهواء من كلّ أميرْ
فكيف إذن سنقوم بقتل الأمراء في الساحة؟

تموز،
2016

ريبر هبون

قبر العصفور

لا تبعدي إن غاب قلبي واندثر
لا تيأسي إن ذاب قلبك وانكسر
أنا !من أنا؟لا لست أعرف من أنا
منذ اقتفيت حبيبتي أثر الخطر
منذ احترفت حبيبتي عشق الدجى
منذ اشتعال الثلج في شفة القمر
إني على جسر الفرات مسافرٌ
وهواجسي تبكي على رأس الشجر
إني أحاول أن أموت من الهوى
في عالم يأوي قلوباً من حجر
عيناك أجمل غابتين تألقاً
فيك الحياة ترنمٌ عبر الوتر
بظلال جسمك غابة وصنوبرٌ
ورحيق ريحانٍ وسهلٌ منحدر
وحقول زيتونٍ تنام على المدى
عبقٌ غفى متناثراً ثم انتشر
في داخلي لا زلت باكية هنا
والحزن يسرق عمرنا في المنتظر
تبقين مثل قصيدتي مجروحةً
بدموع عينيك التي تلهي النظر
إني أرى العصفور مثلي حائراً
يرنو النوافذ مغرماً عشق السفر
شكت الطيور إليَّ عن مأساته
قد شاهدوه بقمة حين انتحر
فبدأت أنبش في الدروب وفي الثرى
عن قلبه الملقى بصمتٍ في الحفر

تشرين الأول
2008 م

صحيفة أدبية ثقافية شاملة باللغتين الكوردية والعربية

رئيس التحرير:

خورشيد شوزي

نائب رئيس التحرير:

د.محمود عباس

القسم الفني والكاريكاتير:

يحيى سلو

أكرم سيتي

الإخراج:

خورشيد شوزي

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

مؤسسة ثقافية أدبية فكرية مستقلة

تضم الكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

تسعى إلى إعلاء الكلمة الكردية وتطوير الأدب والثقافة الكرديين

كما تهدف إلى تطوير الإعلام الكردي

تأسست في 22 نيسان 2004

البريد العام للاتحاد: Rewsenbirinkurd1001@gmail.com

البريد العام للجريدة: R.penusanu@gmail.com

شروط النشر في الجريدة

- أبواب الجريدة مفتوحة امام الجميع و هي ترحب بأي مساهمة أدبية أو فكرية.
- الجريدة ترحب بمساهمات أصدقاء الكرد من الكتاب والأدباء السوريين.
- ليست بالضرورة أن تعبر المواد والآراء المنشورة عن رأي وتوجهات الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا.
- تخضع المواد المرسلة إلى تقييم من جانب هيئة التحرير في الجريدة.
- الجريدة ترفض نشر المواد الخارجة عن قواعد الآداب العامة.